دراسات

مصادر معلومات المستشرقين عن الإسلام والمسلمين

علي بن إبراهيم النملة
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

«اليوم أرانا نبهرنا هذه القمم الشامخة ونتيه في عالم الخيال لما تذكرها أقلام المستشرقين، وإن نكرتها يعترينا مركّب النقص، وفي كلتا الحالتين تصبّ هذه الدراسات في روحنا حرماناً مزدوجاً، لا نستطيع التخلص منه إلا إذا تذكّرنا السلم الذي وضعه القرآن ليتسلّقه الفكر الإنساني حتى يصل على درجاته إلى تلك الإنجازات العلمية التي تهيمن على الفكر الإنساني حتى اليوم على التقدّم التكنولوجي، ... ، وإذا تذكّرنا هذا السلّم فلنعلم أنه مازال تحت يد أو تحت قدم المجتمع الإسلامي متى ما أراد استخدامه من جديد، وبحسبنا أن نقرر أن مساهمة الفكر الإسلامي في تنمية تراث الإنسانية العلمي ليست تقدّر فحسب بإنجازات المستشرق، حسب هواه؛ بل تقدّر بالتغيير الجذري الذي أحدثه المفهوم القرآني في المناخ العقلي والبنايات العقلية منذ كلمة (اقرأ)» (*)

مالك بن نبي

(*) إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث / ٤١ – ٤٢.

المقدمة

من الظاهرات التي صاحبت ازدهار الفكر الإسلامي والثقافة حركة أو ظاهرة الاستشراق التي عنيت بعلوم المسلمون بالدراسة والتحليل، واهتمت بتراث المسلمين المخطوط منه والمطبوع، تحققه وتدرسه وتهتم به في فترة من الفترات التي انشغل فيها المسلمون عن هذا التراث، وانصرفوا إلى متطلبات الحياة البدائية في معظم المجتمعات المسلمة، حتى أصبح العلم والعلماء غرباء في هذه المجتمعات.

وإذا كان المستشرقون يمثلون هذه الظاهرة؛ فإن اهتمام معظمهم بالثقافة الإسلامية لم يبدأ من منطلق حسن، إذ يزعم الدارسون لظاهرة الاستشراق الذي يدرس الثقافة الإسلامية بخاصة أن هذه الظاهرة قد اتكأت كثيراً على «خلفية غير إيجابية» تجاه الإسلام والمسلمين، ذلك حينما نظر الغرب، منشأ ظاهرة الاستشراق، إلى الإسلام على أنه التهديد العقدي والثقافي الأول للوجود الثقافي والحضاري للغرب، الأمر الذي تجدّد الآن مع بروز ظاهرة العودة إلى الدين بين الأمم قاطبة، بما فيها الأمة الإسلامية، هذه الظاهرة التي تعارف المفكرون المسلمون على تسميتها بالصحوة. وفي الوقت نفسه يتفرّغ الغرب بثقافته القائمة على الخلفية النصرانية واليهودية للعالم الإسلامي معتقداً أنه هو العدو القادم.

ومن منطلق هذه النظرة وهذه الخلفية درس معظم المستشرقين الإسلام قصداً إلى الإساءة إليه، وذلك لتحقيق رغبة الكنيسة في الحد من انتشار الإسلام بين الأوساط الغربية بخاصة، ثم على المستوى العالمي بعامة، ومن ثم حماية الكنيسة من مزاحمة المسجد لها فيما يعتقد أنه «عقر دارها» (١). ويؤيد هذا المنحى أن طلائع المستشرقين قد انطلقوا من الأديرة والكنائس (٢). كما يؤيده كذلك أن الاهتمام الرسمي بالدراسات العربية والإسلامية قد انطلق من مؤتمر «فينا الكنسي سنة ١٢١٣م الذي أوصى بإنشاء كراسي للغات عدة ومنها اللغة العربية في أكثر من مؤسسة تعليمية عالية في أوربا» (٣).

ولتحقيق هذه الأهداف ذات المنطلق الديني المبني أساساً على نتائج الحروب الصليبية التي انهزم فيها الصليبيون، وأخرجوا من «الشرق الإسلامي» (٤) وإلى ما قبل الحروب الصليبية، كان لابد من إظهار الإسلام وأهله ورموزه كالقرآن الكريم وسنة المصطفى - ﷺ - وسيرته وصحابته وعلماء الإسلام وقادة المسلمين بمظهر غير لائق بهذه الرموز.

وفي سبيل الخروج بهذا كان لابد أن يقف ثلة من الغربيين حياتهم على دراسة الإسلام يغوصون في علومه وآدابه ولغته وتاريخه وكل ما له به علاقة «واقفين عليه مواهبهم ومناهجهم وميزانهم، مصطنعين لنشره المطابع والمعاهد والمجلات ودوائر المعارف والمؤتمرات، حتى بلغوا فيه - منذ مئات السنين، وفي شتّى البلدان، وبسائر اللغات - مبلغًا عظيمًا من العمق والشمول والطرافة وأصبح جزءاً لا ينفصل من تراثنا . . .» (٥) .

وقد خلّف هذا الاتجاه في الدراسة وراءه زخمًا هائلاً من المعلومات المغلوطة في الغالب عن الإسلام والمسلمين كانت هي «القاعدة المعلوماتية» التي بنى عليها المتأخرون من المستشرقين دراساتهم التالية، رغم المحاولات المتأخرة من بعضهم في طرق أبواب الموضوعية والتجرُّد، ولكن ظلت فكرة «تهديد» الإسلام للغرب مسيطرة، ليس على مستوى العلماء والمحيط العلمي «الأكاديمي» فحسب، ولكن على مستوى القيادات السياسية والتخطيط للعلاقات الغربية مع «العالم الآخر» التي استمدت معظم معلوماتها من الدراسات الاستشراقية المخصصة لهذه الأغراض أو الدراسات الشاملة عن الإسلام والمسلمين. ولا يزال هذا الأسلوب في استقاء المعلومات مسيطراً على الدراسات الغربية عن الإسلام والمسلمين. على أن الدراسات الاستشراقية التي استطاعت التحرُّر من هذه الخلفية تتكئ على دراسات استشراقية سابقة قليلة جداً.

ورغم محاولات التجرُّد والموضوعية التي حاولها بعض المستشرقين، وبخاصة من المتأخرين، إلا أن طبيعة دراسة الإسلام والمسلمين مهما كانت درجة التجرُّد والموضوعية فيها تستلزم توافر الانتماء العقدي فيها الذي يفرض جانبًا كبيراً من التوثيق والتوثّق من الأخبار والروايات، والتثبت من مصادر المعلومات التي تكون عادة مادة «دسمة» لتقرير موقف ما يعين على الخروج بحكم على الإسلام، بينما يتبين بعد التثبُّت والتوثّق أن هذا الحكم قد قام على معلومات موضوعة مختلقة، أو ضعيفة، أو اعتراها خلل في الرواية أو الراوي على ما هو مبسوط في علم الرجال عند المسلمين (٦) .

صعوبة الدراسة :

ويصعب في وقفة واحدة إجراء دراسة مستقصية عن مصادر المعلومات عند المستشرقين؛ وذلك لأسباب عدة، لعل من أهمها :

١ - طول المدة التي قام فيها المستشرقون بدراسات عن الإسلام والمسلمين، منذ نشأة الاستشراق إلى اليوم، فإذا افترضنا أن البدايات العلمية للاستشراق تعود إلى سنة ١٣١٢م فإن المدة الزمنية تصل إلى ست مئة وثمانين سنة من سنة ١٣١٢ إلى سنة ١٩٩٣م (٧) ولذا يمكن تصنيف التوجُّهات الاستشراقية بحسب الزمان. وعلى سبيل المثال نجد أن «إدوارد سعيد» يعيد أسباب عدم الأمانة العلمية لدى المستشرقين المعاصرين إلى عوامل ثلاثة هي :

أ - التحيُّز الشعبي ضد العرب والمسلمين .

ب - الصراع العربي الصهيوني .

ج - الغياب شبه الكلي لأي موقع ثقافي مؤثر (٨) .

وهذه الأسباب حديثة لم تكن تؤثِّر في الماضي؛ لأن مسبِّباتها لم تكن موجودة بالصورة التي هي عليها الآن. كما يذكر «عبدالجليل شلبي» أن «موقف المستشرقين اليوم قد تغير كثيراً عن موقفهم بالأمس، ولكن هذا التغيُّر يبدو في التخلِّي عن الأكاذيب والاختلاقات، وليس ثمّة تخلٍ عن طعن الإسلام وتلمُّس مواطن للهجوم عليه» (٩). فالنمط السالف في التعامل مع الإسلام يختلف عن النمط الحالي، وهكذا.

٢ - تعدُّد الموضوعات التي طرقها المستشرقون داخل الثقافة الإسلامية ورموزها، فقد درسوا جميع العلوم العربية والإسلامية من علوم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والعلوم الإسلامية الأخرى والعلوم العربية كذلك، بما في

ذلك الدراسات الاجتماعية المعاصرة، ومتابعة التطورات التي تمرُّ بها المجتمعات العربية والإسلامية (١٠).

٣ - تعدُّد اللغات التي كتب بها المستشرقون دراساتهم مع ضآلة الترجمات العربية لها، فقد كتبوا بالألمانية والروسية والفرنسية والإسبانية والإنجليزية والبولندية والبرتغالية والعربية كذلك، وغيرها من اللغات الأوربية الأخرى (١١).

٤ - تعدُّد المدارس الاستشراقية بحسب الزمان، أو بحسب المكان والاختلاف الطفيف في المنطلقات العقدية لكثير من المستشرقين بحسب انتماءاتهم، فهناك المدرسة الألمانية والمدرسة الإنجليزية والمدرسة الفرنسية والإسبانية والمدرسة الروسية، وغيرها من المدارس (١٢).

٥ - تعدُّد فئات المستشرقين بحسب مواقفهم من الإسلام والمسلمين، وبحسب الخدمات التي يقدّمونها في دراساتهم، فهناك المستشرقون الكاثوليك والمستشرقون البروتستانت والمستشرقون الملحدون والمستشرقون الشيوعيون والمستشرقون اليهود، وهكذا (١٣).

٦ - تعدُّد أغراض المستشرقين وأهدافهم؛ بل ومنطلقاتهم التي ساروا منها لدراسة الإسلام والمسلمين بين الدينية والسياسية والاقتصادية والاستعمارية والعلمية النزيهة وغير النزيهة، على ما هو مبسوط في الإنتاج العلمي المقصود به التعريف بالاستشراق والمستشرقين (١٤).

٧ - كثرة الدراسات المنشورة «الإنتاج العلمي»، إذ إن مجموع ما نشره المستشرقون بين سنة ١٩٠٦ إلى سنة ١٩٩١م فقط يزيد على ٧٥,٠٠٠ دراسة نشرت في الدوريات الاستشراقية والعربية، منها ٣٥,٠٠٠ دراسة بين سنة ١٩٠٦ إلى سنة ١٩٦٠م (١٥). هذا عدا عن الكتب والمحاضرات ووقائع المؤتمرات. ويعمل الأستاذ «فؤاد سزكين» مدير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في (فرانكفورت) بألمانيا على حصر وراقي (ببليوجرافي) للدراسات الاستشراقية باللغة الألمانية. وقد أظهر إلى الآن مجموعة ضخمة من المجلّدات التي دأب المعهد على إظهارها منذ حوالي عشر سنين. وتشمل القائمة الوراقية (الببليوجرافية) المقالات العلمية والكتب (١٦). ويشير «إدوارد سعيد» إلى أن مجموع ما نشر من الكتب فقط في قرن ونصف من الزمان من بدء القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري إلى منتصف القرن العشرين الميلادي / الرابع عشر الهجري قد وصل إلى ستّين ألف (٦٠,٠٠٠) كتاب (١٧).

٨ - تشتُّت الإنتاج العلمي الاستشراقي جغرافياً وتعذُّر وجوده، أو وجود غالبيته في جهة واحدة أو جهات محدّدة يمكن متابعتها والوقوف على نسبة «معقولة» من المنشور.

ومن أجل هذه الأسباب مجتمعة، ومعها غيرها، تبرز الصعوبة العلمية في تقصي الإنتاج العلمي الاستشراقي الذي يتيح المجال لتقصي مصادر المعلومات لدى المستشرقين عن الإسلام والمسلمين.

تضييق مجال الدراسة:

وقد يعين على التغلب على بعض هذه العوامل تضييق مجال الدراسة إما من الناحية الزمانية أو من الناحية المكانية أو من الناحية الفكرية فيما يتعلّق بالفئات والمدارس أو من الناحية اللغوية، إذ قد يصل الباحث إلى نتائج «أولية» إذا ما درس مرحلة من مراحل الاستشراق - مثلاً - من حيث أطواره التي مرّ بها (١٨). وفي هذا يقول «رودي بارت»: «... فمن ذا الذي يستطيع الإحاطة بمادة في هذا اليم. ليس أمام العلماء من حلّ سوى اختيار طائفة محددة من الموضوعات من بين الكمية الهائلة من موضوعات العلم والبحث المتشعبة، وتركيز البحث الخاص على نقط بعينها، والرضا فيما عدا ذلك بفكرة إجمالية عامة عن العلم في مجموعه» (١٩). ولذا فإن «كل دراسة في هذا الميدان هي في حقيقتها جزء صغير أو ضئيل من كل كبير، ولا سبيل إلى بلوغه؛ بل إلى الاقتراب منه في أحسن الأحوال إلا بخطىً صغيرة» (٢٠).

والدراسات حول الاستشراق والمستشرقين تؤكد على أن بعض المدارس الاستشراقية قد اعتمدت في تكوينها الأول على مدارس سابقة لها، ثم أخذت مساراً مختلفاً استحقّت معه أن تكون مدرسة مستقلّة متميزة، فالمدرسة الاستشراقية الروسية - على سبيل المثال - قد اعتمدت في نشأتها على المدرسة الاستشراقية الفرنسية، التي تعدّ أشد

المدارس عداوة للإسلام والمسلمين [٢١]، ممثلة بالمستشرق الفرنسي «دي ساسي» [٢٢] الذي تتلمذ على يديه مجموعة من المستشرقين الروس، ومنهم «جيرجاس» [٢٣] الذي رحل إلى فرنسا. كما أن «دي ساسي» نفسه قد استعانت به جامعة بطرسبرج في إنشاء المدرسة التهذيبية العالية سنة ١٨١٦م، وتتلمذ عليه غير «جيرجاس» «ديمانج» [٢٤] و«شارومي» [٢٥] وغيرهم ممن هم عالة على المدرسة الاستشراقية «الغربية» [٢٦].

الاعتماد على السابقين:

ومن المقرّر أن المستشرقين قد اعتمدوا على سابقيهم في توثيق أبحاثهم ودراساتهم عن الإسلام والمسلمين. وهذا أمر وارد؛ إذ إن المتأخرين من المستشرقين ينظرون لسلفهم من علماء المستشرقين نظرة إجلال وإكبار من ناحية [٢٧]، ومن ناحية أخرى يجدون هذه الدراسات السابقة هي المصادر القريبة منهم من حيث توافرها، ومن حيث لغتها التي يجيدونها إجادة تامة، فقد تكون هي لغتهم الأم، أو اللغة الثانية التي تعلّموها؛ لأنها ثرّة بالإنتاج العلمي الاستشراقي كالألمانية مثلاً [٢٨]؛ بل إن هناك بضعة من المستشرقين الذين تركوا لغتهم الأم وجنحوا إلى لغة «استشراقية» قوية في مجال الدراسات الاستشراقية كما هي الحال مع «إجناس جولدتسيهر» المجري «الهنجاري» الذي تبنّى اللغة الألمانية لغة علمية لإنتاجه العلمي في مجال الدراسات الاستشراقية [٢٩].

كما أن دواعي الاستشهاد المرجعي ودوافعه قد تكون عاملاً مهمّاً من عوامل اعتماد المتأخرين من المستشرقين على أسلافهم في توثيق معلوماتهم. ومن هذه الدوافع، عدا إظهار الفضل والريادة للسابقين، مجاملتهم أو الدفاع عن آرائهم التي بثوها في دراساتهم، أو تفنيدها والرد عليها، أو تصحيحها أو ما إلى ذلك من دواعي الاستشهادات المرجعية العلمية وغير العلمية [٣٠].

إلا أن الميل هنا ينصبُّ على عاملين مهمين يقفان وراء اتكاء المستشرقين المتأخرين على أسلافهم في توثيق أبحاثهم ودراساتهم هما توافر المصادر العلمية مادياً، وكونها مكتوبة بلغة يجيدونها، وبقية دواعي الاستشهاد المرجعي الأخرى تكون عادة مضمّنة في ثنايا الاستشهادات المرجعية للمستشرقين.

واعتماد المستشرقين في معلوماتهم حول دراساتهم عن الإسلام والمسلمين على من سبقهم من المستشرقين يؤدي إلى أن يقع المتأخرون بالأخطاء نفسها التي وقع بها المتقدمون عن غير قصد، وهذا هو الأصل، وعن قصد وهذا يحصل إذا ما كانت الدوافع والأهداف غير علمية مما عرف الآن من دوافع المستشرقين وأهدافهم [٣١]. وفي هذا يقول «مونتجمري وات» [٣٢]: «جد الباحثون منذ القرن الثاني عشر في تعديل الصورة المشوّهة التي تولّدت في أوربا عن الإسلام. وعلى رغم الجهد العلمي الذي بُذل في هذا السبيل، فإن آثار هذا الموقف المجافي للحقيقة التي أحدثتها كتابات القرون المتوسّطة في أوربا لا تزال قائمة. فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتنابها» [٣٣]. والمؤلف نفسه قد وقع ضحية نظريته هذه، فلم يستطع التخلّص من الاتكاء على الماضي الاستشراقي في كتاباته حول الرسول - ﷺ - [٣٤]. وإن لم يصل في هذا الاعتماد على من سبقوه إلى ما وصل إليه قس من قرطبة يدعى «إلجوس قرطبة» الذي كتب بحثًا عن الرسول - ﷺ - ينم عن جهل فاضح، «أو كذب متعمّد، كما تبدو فيه الصبغة المسيحية؛ إذ جاء فيه أن النبي محمداً - ﷺ - كان يخبر أصحابه أنه بعد ثلاثة أيام من موته سيرفع إلى السماء، فلما مات بقي بدون دفن حتى يرفع جسده، ولكنه لم يرفع حتى تعفّن جسده، وأخذت الكلاب تنهش منه...» [٣٥] ويعلّق «عبد الجليل شلبي» على هذا بقوله إن هذا القسّ لم يكن يعرف اللغة العربية، ولكنه اعتمد في نقل معلوماته المغلوطة هذه على مخطوطة لاتينية عثر عليها صدفة في مدينة «بامبالونا» [٣٦]. ومصادر سيرة المصطفى - عليه السلام - تذكر أنه توفي منتصف يوم الإثنين ١٢/ ٣/ ١١هـ ودفن يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء ١٣ - ١٤/ ٣/ ١١هـ، ولم يمض عليه سوى يوم ونصف اليوم قضاها المسلمون في تجهيزه وتصريف أمور خلافته عليه الصلاة والسلام [٣٧].

ويذكر «نورمان دانييل» [٣٨] أنه «على الرغم من المحاولات المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرُّر من المواقف التقليدية للكُتّاب النصارى من الإسلام فإنهم لم يتمكّنوا أن يتجرّدوا منها تجرّدًا تامّاً» [٣٩].

كما يقول «برنارد لويس» (٤٠) : «لا تزال آثار التعصُّب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية» (٤١) . والحواشي المرصوصة في الغالب مأخوذة من دراسات المستشرقين السابقين (٤٢) . . ولذا نجد «سلسلة من المستشرقين يردّدون ويطوِّرون النظريات نفسها القائمة على ما كتبه المستشرقون من قبل . . . وأسوأ ما في الأمر جميعًا أن المستشرقين سايروا في كثير من الأحيان تقاليد معيّنة، حيث يمدون الجمهور الغربي بما يتوقع منهم أن يمدّوه به . . . بل إن الأسوأ أن نجد كثيرًا من المستشرقين، وقد بنوا مواقفهم على الموقف العام للاستشراق دون نقد أو تمحيص كدليل على كماله، أو باعتباره أمرًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، على الرغم من أن الدراسات النقدية الحديثة لهذه الحركة قد زلزلت بدرجة كبيرة البرج العاجي الذي يعيشون فيه» (٤٣). وهم في هذا «يريدون قتل حضارة الشرق عمدًا لأنهم يريدون إخفاء الحقيقة». كما يذكر «بريستيد» في كتابه عن انتصار الحضارة (٤٤) .

ومع صعوبة الدراسة المنهجية العلمية الجادة عن مصادر المعلومات لدى المستشرقين بعامة، ومع إمكانية دراسة الحقب التاريخية التي مرّ بها الاستشراق والمستشرقون فإنه من الممكن أن تبرز ظاهرة الاستشهادات الخاطئة في الأزمنة الأولى للاستشراق. كما أنه من الممكن الافتراض بأن ظاهرة الاستشهادات الخاطئة في الدراسات الاستشراقية تخفّ حدّتها كلّما تقدّم بنا الزمان، رغم الافتراض كذلك أن المستشرقين اللاحقين هم عالة على أسلافهم من المتقدّمين، إلا أن الرغبة في الاستقلالية العلمية والتميُّز والظهور بمنهجية جديدة والتقرُّب من العلماء العرب والمسلمين، كل هذه تؤيد خفة الحدة في ظاهرة الاستشهادات المرجعية الخاطئة. ومع هذا فإن هذه الافتراضات تحتاج إلى وقفات بحثية متأنية في سبيل إثباتها أو دحضها. ومع هذا الميل إلى تبرئة المستشرقين المحدثين من «تنسُّم» آثار سالفيهم نجد في الجانب الآخر هناك تأكيدًا على عدم التجرد والموضوعية لعوامل مستحدثة يلخِّصها «إدوارد سعيد» في التالي :

١ - التحيُّز الشعبي ضد العرب والإسلام، الذي ينعكس في تاريخ الاستشراق قديمه وحديثه .

٢ - الصراع العربي الصهيوني، ولو قيل الصراع بين المسلمين واليهود لكان التعبير أدقّ .

٣ - الغياب، شبه الكلّي، لأي موضع ثقافي مؤثّر .

هذا بالإضافة إلى عوامل آنية مختلفة مثل صورة اليهود في فلسطين المحتلة التي تصوّرهم على أنهم يمثّلون «الديموقراطية» في المنطقة، في مقابل صورة العرب لدى الغرب، الذين يُصوَّرون على أنهم إرهابيون متخلّفون (٤٥).

دراسة الأعلام :

ولعل من الأنسب في سبيل دراسة مصادر المعلومات في الدراسات الاستشراقية أن ينظر إلى «كبار المستشرقين» الذين كوّنوا منهجية متميِّزة تابعهم فيها كثير ممن أتى بعدهم، فيُدرس هؤلاء المستشرقون الكبار كلٌّ على حدة، لينظر مدى اعتمادهم على المصادر المعتبرة في موضوعاتها في دراساتهم الثرّة. ويأتي من أبرز هؤلاء المستشرقين الذين عُرفت عنهم منهجية متميّزة في دراسة الإسلام والمسلمين المستشرق المجري (الهنجاري) «إجناس جولدتسيهر» (٤٦) والهولندي «كريستيان سنوك هورخرونيه» (٤٧) والألماني «كارل هينرش بيكر» (٤٨) والكندي «دنكن بلاك ماكدونالد» (٤٩) والفرنسي الأب «لوي ماسينيون» (٥٠) والإنجليزي «هاملتون جب» (٥١) والإنجليزي «يوسف (جوزف) شاخت» (٥٢) والألماني «كارل بروكلمان» (٥٣) وغيرهم من «أئمة» المستشرقين ومشهوريهم.

ودراسة أعلام المستشرقين كلاً على حدة كفيلة بأن تبيّن مدى اعتمادهم على المصادر العربية وغير العربية التي يسعون فيها إلى إلباس دراساتهم اللباس العلمي الموضوعي المتجرِّد المطلوب في كل دراسة علمية. كما أنها كفيلة بالرجوع إلى هذه المصادر كلها أو جلّها للتبيُّن من مدى الدقة في النقل. وفي ترجمة للمستشرق الفرنسي الأب «هنري لامانس» (٥٤)، يذكر «محمود بدوي» أن «أبشع ما فعله خصوصًا في كتابه (فاطمة وبنات النبي) هو أنه كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها. وقد راجعت معظم هذه الدراسات في الكتب التي أحال إليها فوجدت أنه إنما يشير

إلى مواضع غير موجودة إطلاقًا في هذه الكتب، أو يفهم النص فهمًا ملتويًا خبيثًا، أو يستخرج إلزامات بتعسُّف شديد يدل على فساد الذهن وخبث النية، ولهذا ينبغي ألا يعتمد القارئ على إشاراته إلى مراجع، فإن معظمه تمويه وكذب وتعسُّف في فهم النصوص. ولا أعرف باحثًا من بين المستشرقين المحدثين قد بلغ هذه المرتبة من التضليل وفساد النية» (٥٥). وقد أورد «عبدالعظيم محمود الديب» نماذج من هذه التجاوزات المتعمّدة مع نصوص المصادر الإسلامية بيّن فيها شيئًا من التمويه والكذب والتعسُّف في فهم النصوص الذي يتحدَّث عنه «محمود بدوي» في حالة واحدة مع مستشرق واحد (٥٦). وقد أوردت جملة منها في وقفة سابقة مع الاستشراق مصدرًا من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين (٥٧).

ومن ذلك أيضًا ما قام به «جورج سَيل» (٥٨) في ترجمته لمعاني القرآن الكريم، إذ يترجم عبارة «يا أيها الناس بيا أهل مكة. وهذا المستشرق يعَدُّ من أوائل من ترجموا معاني القرآن الكريم، وقد اتكأ عليه كثيرون في ترجمات تالية. والغرض من هذا التحريف في العبارة يعود إلى رغبة كثير من المستشرقين في حصر الرسالة في جزيرة العرب فقط (٥٩).

والحكم التعميمي على هذه المجموعة من المستشرقين وغيرها غير ممكن في دراسة فردية محدودة في زمانها وفي مصادرها، غير قادرة على الاستقراء الدقيق والمتابعة لجميع ما أنتجه هؤلاء. ولذا تبرز الحاجة والدعوة إلى إيجاد المؤسسات العلمية التي تتابع إنتاج المستشرقين (٦٠)، كما برزت الدعوة إلى قيام موسوعة إسلامية في الرد على المستشرقين. ومن الرد عليهم بيان منهجيتهم في الرجوع إلى المصادر وانتقاؤهم المعلومات منها (٦١).

وفي هذا المجال ظهرت على الساحة العلمية الدراسات المتخصّصة بمستشرقين بأعيانهم مثل الدراسة التي تابعت إسهامات «كارل بروكلمان» (٦٢) و «فيليب حتّي» (٦٣) في التاريخ الإسلامي (٦٤)، ودراسة مستشرقين آخرين بأعيانهم (٦٥)؛ بل ربّما درست ناحية واحدة من النواحي التي أسهم بها مستشرق واحد كما فعل - مثلاً - «غيثان علي جريس» في تتبُّعه لافتراءات «كارل بروكلمان» (٦٦) على السيرة النبوية (٦٧). والمستشرق المذكور مشهور بدراساته الموسوعية عن الأدب العربي بالمفهوم الأجنبي الآخر لكلمة أدب 'Literature' في كتابه (تاريخ الأدب العربي) (٦٨) بالإضافة إلى كتابه الآخر (تاريخ الشعوب الإسلامية) (٦٩)، وإسهاماته الأخرى المتعدِّدة.

اللغة العربية:

وقد برزت فئة من المستشرقين ممن درسوا اللغة العربية ودرّسوا بها وحاولوا الإلمام بها وإجادتها، ورجعوا في دراساتهم إلى بعض المصادر العربية، إلا أن دراستهم للغة العربية لم تكن قوية، رغم قِدم الدراسة بقِدم اتصال الغرب بالشرق الإسلامي عن طريق الأندلس (٧٠)، فكان القصور واضحًا في فهمهم للنصوص العربية التي استعانوا بها دراسة وتحقيقًا، فوقعوا في أخطاء أدّى إليها سوء الفهم الناتج عن الضعف اللغوي لديهم. ورغم أن هذه الفئة كانت تحاول إبراز هذه الميزة في اللقاءات والمؤتمرات، وتظهر الحرص على سلامة اللسان من حيث المفردات المنتقاة والإعراب والتصريف إلا أنها لم تتمكّن من اللغة العربية التمكُّن الذي يعينها على الاستناد التام على النصوص العربية مصادر لدراساتها، دون اللجوء إلى أهل اللغة العربية وأربابها لتبيان أي مشكل لغوي يمرُّ على المستشرق، ولا ريب أنها مرّت بهم مشكلات مهما بدا أنهم أتقنوا اللغة العربية إلى حدِّ نظم الشعر بها (٧١).

ويجدر بي هنا أن أكرِّر الاستشهاد بنص كتبه «محمود محمد شاكر» في رسالته في الطريق إلى ثقافتنا، حيث يقول: و «المستشرق» فتى أعجمي ناشئ في لسان أمته وتعليم بلاده، ومغروس في آدابها وثقافاتها (ألماني، أو إنجليزي، أو فرنسي)، حتى استوى رجلاً في العشرين من عمره أو الخامسة والعشرين، فهو قادر أو مفترض أنه قادر تمام القدرة على التفكير والنظر، ومؤهل أو مفترض أيضًا أنه مؤهل أن ينزل ميدان «المنهج» و «ما قبل المنهج» بقدم ثابتة. نعم، هذا ممكن أن يكون كذلك = ولكن هذا الفتى يتحوّل فجأة عن سلوك هذه الطريق ليبدأ في تعلُّم لغة أخرى، (هي العربية هنا)، مفارقة كل المفارقة للسان الذي نشأ فيه صغيرًا، والثقافة التي ارتضع لبانها يافعًا، «يدخل قسم اللغات

الشرقية» في جامعة من جامعات الأعاجم، فيبتدئ تعلُّم ألف باء تاء ثاء، أو أبجد هوز، في العربية، ويتلقّى العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها وسائر آدابها وتواريخها، عن أعجمي مثله، وبلسان غير عربي، ويقضي في ذلك بضع سنوات قلائل، ثم يتخرّج لنا «مستشرقًا» يفتي في اللسان العربي، والتاريخ العربي، والدين العربي »!! عجب، وفوق العجب» (٧٢).

ومن أبرز المؤيدات لنص «محمود محمد شاكر» ما ذكره «رفاعة رافع الطهطاوي» (٧٣) أحد تلامذة «دي ساسي» (٧٤) من أنه كان «حين يقرأ ينطق كالعجم، ولا يمكنه أن يتكلّم بالعربية إلا إذا كان بيده الكتاب» (٧٥). وفي رسالة جوابية منه إلى أحد مراسليه من الشرق يقول فيها: «. . . وأنت تريد أن تعلم إذا ما كان لي شيوخ علّموني اللغة العربية . . .، وإني أستطيع أن أؤكد لك أنه لم يكن لي من معلّم سوى الكتاب. وأنا لا أستطيع أن أحفظ بالعربية شيئاً، ولا أفهم ما يقال بها، إذ لم تتح لي في شبابي أي فرصة لممارسة الكلام أو الاستماع للأحاديث بالعربية. وقد أطريتني كثيراً بما قلته لي عن مؤلّفاتي، وعليّ أن أقرّ لك بأني أسف لأني لم أرحل في شبابي إلى مصر أو الشام، وبأنني بعيد جداً عن امتلاك معرفة تامّة بهذه اللغة الواسعة كالمحيط» (٧٦). والمستشرق المذكور درّس اللغة العربية وكتب فيها وعنها عدّة أعمال لعلّ من أهمها (التحفة السنية في علم العربية) وهو في النحو والعروض العربيين! وهو الذي حقّق (مقامات الحريري) (٧٧)، ونشر (ألفية ابن مالك) (٧٨).

ومما يؤيد نص «محمود محمد شاكر» كذلك ما ذُكر عن الترجمة التي أعدّها «فرانز روزنتال» (٧٩) لمقدمة «ابن خلدون» (٨٠) حيث ظهرت هزيلة وغير مستقيمة، وأبرزت الروح اليهودية لدى المستشرق المترجم، كما أبرزت جهله باللغة العربية (٨١).

ويشير تقرير «للامبرت» حول الدراسات الإسلامية إلى أن الذين يتهمون بالإسلام والعربية لا يجيدون اللغة العربية، وأن نسبة مجيديها لا تصل إلى ١٧٪ ، (١٦،٧٪) فقط من مجموع المهتمين بالإسلام والمسلمين وبلغة العرب والمسلمين.

أما الذين اعتمدوا على مصادر إسلامية لمعلوماتهم في دراساتهم عن الإسلام والمسلمين فقد نظروا إلى هذه المصادر وما تحويه من معلومات نظرتهم هم، ولم يلبسوا لباس النظرة الإسلامية للمعلومات الإسلامية التي تعتمد على أن الأصل في هذه المعلومات الصحة حتى يثبت عكس ذلك . وهذه النظرة لا تتأتّى إلا إذا توافرت الروح الإسلامية التي يتعامل فيها المسلم مع النصوص والمصادر، ولذا تقوى هذه النظرة عند النظر إلى النص القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٨٢)، ثم نصوص السنة الثابتة صحتها بالمعايير التي وضعها رجال الحديث، ثم تأتي بالمرتبة الثالثة نصوص العلماء المسلمين من السلف والخلف التي يحكمها (٨٣)، من حيث القبول والرد النص الإسلامي المشهور: «كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم محمداً - ﷺ - » (٨٤) الذي لا ينطق عن الهوى، وما يقوله إنما هو وحيٌ يوحى (٨٥).

والمستشرقون يفتقدون هذه الروح التي نتعامل فيها مع النصوص الإسلامية، ولا ننتظر منهم أن يكونوا مسلمين، وعندها لا يكونون مستشرقين (٨٦). «ونحن لا نطلب من كل مستشرق أن يغير معتقده ويعتقد ما نعتقده عندما يكتب عن الإسلام، ولكن هناك أوّليات بديهية يتطلبها المنهج العلمي السليم . . .» (٨٧) ومن أبرز سمات هذه الأوليات التحقُّق من الأخبار والروايات قبل قبولها قبولاً مطلقًا من منطلق النص القرآني الكريم في آية: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾ (٨٨).

معايير النقد:

والمستشرقون يُعملون النظر في النصوص الإسلامية من المصادر الإسلامية، ويطبقون عليها معايير نقدية تاريخية هي نفسها المعايير التاريخية التي يطبقونها على تاريخ الفكر عندهم، يقول «رودي بارت» في هذا الشأن: «فنحن معشر المستشرقين، عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامية لا نقوم بها فقط لكي نبرهن على ضعة العالم الإسلامي؛ بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام ومظاهره المختلفة والذي عبّر عنه الأدب العربي كتابة .

ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه دون أن نعمل فيه النظر، بل نقيم وزنًا فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخي أو كأنه يثبت أمامه. ونحن في هذا نطبّق على الإسلام وتاريخه، وعلى المؤلفات العربية التي تشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبّقه عندنا وعلى المصادر المدوّنة لعالمنا نحن. وإذا كانت إمكانيات معرفتنا محدودة - وهل يمكن أن تكون إلا كذلك ؟ - فإننا نؤكّد بضمير مطمئن أننا في دراستنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية؛ بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة، أما الرأي المضاد لذلك والذي نشره عالم الأزهر الأستاذ البهي في كتيبه الذي صدر أخيراً باسم (المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام) فنحيط به علمًا ونحن هادئو البال» [٨٩] .

وهم بهذا يزعمون أنهم يهدفون من دراساتهم للثقافة الإسلامية واللغة العربية إلى العمل على «تمحيص الإسلام» من منطلق علمي يتّسم بالموضوعية التي تُخضع لقواعد المنهج العلمي [٩٠] .

ولم يسلم كتاب الله تعالى، القرآن الكريم من هذا التمحيص، فقد وقفوا معه وقفات طويلة في مجمله وفي بعض سوره وآياته، فأثبتوا ونفوا وحللوا وفسروا بالرأي والهوى، مما هو غير جائز للمسلمين المنتمين لهذا الكتاب، فكيف يجوز لمن يفتقرون إلى الانتماء [٩١] .

على أننا نحن المسلمين نؤمن بأن القرآن الكريم كلام الله المنزّل غير المخلوق، وأنه ثابت غير قابل في محكمه ومتشابهه للنفي أو النقد أو التعديل أو التحريف أو الزيادة أو النقص. ونتعامل مع القرآن في دراسته من حيث تفسيره وقراءاته وأسباب نزول الآيات فيه، والناسخ والمنسوخ مما هو معلوم في «علوم القرآن الكريم» مما يدور حوله ولا يدخل في «صلب النص» من حيث ثباته من عدمه. وقد تتبع «محمد حسين علي الصغير» وقفات المستشرقين مع القرآن الكريم والدراسات القرآنية [٩٢] .

هذا مع فئة من المستشرقين الأوائل الذين نظروا إلى الثقافة الإسلامية وطبقوا على دراستها معاييرهم النقدية. وهذا خطأ علمي منهجي كان يتوقع أن يتخلّص منه المستشرقون المتأخرون الذين يظهرون أنهم «علميون جامعيون موسوعيون». ولكن «نذير حمدان» يفنّد هذا بنفيه العلمية والجامعية والموسوعية عن الغالبية العظمى من المستشرقين حيث يقول في رده على «ميكائيل أنجلو جويدي» [٩٣]: «إن السمات العلمية التحليلية التي طرحها الكاتب على الاستشراق لا تعبر عن أعمال المستشرقين عمومًا، وليست نتيجة لجهودهم المدرسية، فإن الموسوعية والنموذجية والقياسية والجامعية سمات يندر أن تجتمع في بعضهم، إن لم نقل يستحيل أن تتوفر في أحدهم، وإن ظهر منهم أعلام لهم سمعتهم الثقافية المرموقة» [٩٤] .

ومما يؤيد صعوبة الخروج كذلك من النظرة الغربية للفكر الإسلامي اللجوء إلى التعصب والخروج بنتائج سالفة تبنى عليها فيما بعد الأدلة، أي إن الاستنتاج يبنى قبل أن تحلّل الوقائع والأحداث، فتطوّع الوقائع والأحداث للاستنتاج المسبّق على غرار ما كانت تقوم به دواوين التفتيش في «العصور الوسطى». يقول «محمد أسد»: «. . . وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكّرنا بوقائع دواوين التفتيش، تلك الدواوين التي أنشأتها الكنيسة الكاثولوكية لخصومها في العصور الوسطى، أي أن تلك الطريقة لم يتفق لها أبداً أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرُّد، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متّفق عليه من قبل قد أملاه عليها تعصّبُها لرأيها. ويختار المستشرقون شعورهم حسب الاستنتاج الذي يقصدون إليه مبدئيًا» [٩٥] .

ويقول «أبو الحسن الندوي»: «ومن دأب كثير من المستشرقين أنهم يعيّنون لهم غاية ويقرّرون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون لها بجمع معلومات - من كل رطب ويابس - ليس لها أي علاقة بالموضوع، سواء من كتب الديانة والتاريخ، أو الأدب والشعر، أو الرواية والقصص، أو المجون والفكاهة، وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها، ويقدّمونها بعد التمويه بكل جرأة، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في نفوسهم وأذهانهم» [٩٦] .

ويذكر «حسين مؤنس» «أن المستشرق المعاصر (جاستون فييت) (٩٧) قد عرض تاريخ الإسلام في كتابه (مجد الإسلام) عن طريق صفحات مختارة من أقوال المؤرخين والكتّاب المعاصرين لكل فترة من فترات تاريخ الإسلام والمسلمين. وعلى الرغم من ذلك فإن كتاب (مجد الإسلام) ينضح بالحقد والطعن في الإسلام والمسلمين وتاريخهم، لأن المؤلف (جاستون فييت) اختار فقط النصوص التي تتفق مع الاتجاه الذي اختاره هو سلفًا، وهو اتجاه يتسم بالعداء والكراهية للإسلام» (٩٨).

الحكم من الواقع:

ومن المستشرقين من استهوتهم الرحلة إلى عالم الشرق، فقضى أيامًا أو أشهرًا في إحدى ديار المسلمين، ودرس أحوالهم على ما هم عليه من تخلُّف تركه لهم الاستعمار، وأعان عليه الجهل بالدين والحياة، وظهر من ذلك بكتاب أو عدة مقالات تنشر في دوريات علمية استشراقية.

وجعل من هذا الواقع الذي عاينه مجالاً واسعًا للحكم على الإسلام والمسلمين في ماضيهم وحاضرهم، وفي مختلف المواقع التي يعيشون عليها. فإذا زار أحد المستشرقين مصر - مثلاً - ورأى ما فيها من عادات وتقاليد في المدن والأرياف لا تتفق بالضرورة مع روح الإسلام؛ بل إنها منافية للتعاليم الإسلامية، جعل هذه التقاليد عامة على المسلمين، وإن يكن شيء منها ليس من الإسلام ولا يمارس في بلاد إسلامية أخرى. وإذا زار مستشرق آخر مضربًا من مضارب البادية في جزيرة العرب - مثلاً - كتب عن هذه المضارب على أنها تمثّل المجتمع المسلم كله، وإن يكن من عادات أهل هذه المضارب ما لا يتفق بالضرورة مع التعاليم الإسلامية. والقاعدة عندنا أن تصرُّفات العباد تقاس بمدى تمسُّكهم بالإسلام، فالإسلام هو الحجة على الناس، وليس العكس.

والإنتاج العلمي في هذا المجال كثير تزخر به كتب الرحلات. ولعل من قبيل التمثيل العودة إلى كتاب (العقل المسلم) للمستشرقة الأسترالية «تساريس وادي»، وهو كتاب وصفي لأوضاع المسلمين في الزمن الذي كانت فيه هذه الكاتبة تجوب بعض المجتمعات الإسلامية (٩٩).

ومثل ذلك الكتاب الذي ظهر به المستشرق الإنجليزي «إدوارد وليم لين» (١٠٠) بعنوان (المصريون المحدثون: شمائلهم وعاداتهم). وقد وقف معه «عدلي طاهر نور» وقفات طويلة في مجلة الرسالة (١٠١). ومثل هذا الإنتاج الأدبي الوصفي القائم على المشاهدات والانطباعات والخروج منها بأحكام عامة زمانًا ومكانًا من شأنها أن تقدّم صورة غير دقيقة عن الإسلام والمسلمين تبعد الآخرين عن تلمّس الموضوعية في دين هو حجة على الناس، ويقاسون به بدلاً من أن يكونوا حجة عليه ويقاس بهم.

الخلاصة والنتيجة:

يُتّهم المستشرقون بعامة بضعف أماناتهم العلمية فيما يتعلق ببحوثهم ودراساتهم حول الإسلام والمسلمين. وتتضح هذه التهمة من خلال استقراء الإنتاج العلمي لهؤلاء المستشرقين. إلا أن الاستقراء والاستقصاء متعذران إذا ما أريدت الإحاطة التامة بالإنتاج العلمي للمستشرقين؛ بل إني أزعم أن أخذ عينات من فئات ومدارس وأزمنة مختلفة للمستشرقين تدخل في حكم المتعذر على الباحثين الأفراد، ولذا يصعب التعميم الذي يطلقه بعض الباحثين العرب من وصف جميع المستشرقين بانتفاء الأمانة العلمية لديهم في استشهاداتهم المرجعية، وانتفاء التعميم يعني وجود حالات من انعدام الأمانة العلمية لدى بعض المستشرقين.

ولعل مما ساعد على إطلاق هذا الاتهام عدة عوامل من أهمها:

١ - انطلاق المستشرقين ابتداءً من الأديرة والكنائس، مما يؤكد الخلفية الدينية لظاهرة الاستشراق.

٢ - كون المستشرقين ينطلقون ثقافيًا من معتقدات لا تؤمن بالإسلام دينًا شاملاً لكل الأماكن والأزمنة.

٣ - الشعور المستمر بالعداء بين الإسلام والديانات الأخرى، وأن الإسلام يهدد وجود هذه الأديان ورعاتها.

٤ - اعتماد المستشرقين المتأخرين في مصادر معلوماتهم عن الإسلام والمسلمين على المستشرقين المتقدمين زمنيًا ممن عرف عنهم عداؤهم المفضوح للإسلام والمسلمين.

٥ - جهل معظم المستشرقين بلغة الإسلام الأم وهي اللغة العربية، وباللغات الأخرى التي يتحدثها المسلمون غير العربية.

وتتبُّع هذه الحالات من أجل إثباتها بالشواهد المادية يحتاج إلى جهود علمية مضنية مؤسسية جماعية من أجل الخروج بحكم علمي موثق قد يصل في النهاية إلى عدم الاكتراث بإسهامات المستشرقين في مجال الدراسات الإسلامية (١٠٢)، وليس بالضرورة في مجالات خدمة التراث الإسلامي من نواح علمية أخرى كحفظ المخطوطات وفهرستها والأعمال «الخدمية» الأخرى التي لا تتعلق بالدراسة والتحليل والغوص في النصوص. وليس في هذا محاولة لـ «تحريم» النصوص الإسلامية من الوحي وغيره على الآخرين، فلا أحد يملك اليوم هذا التحريم عملياً، ولكن المقصود هو وضع هذه الدراسات التي تنتفي فيها الأمانة العلمية من استخدامها في مصادر الدراسات العلمية الجادة.

وأرى أن الوصول إلى هذا الحكم متعذر الآن، ذلك أن دراسات المستشرقين قد نالت قبولاً قوياً لدى الأوساط الثقافية العربية والإسلامية، وبدا تأثيرها واضحًا على الإنتاج العربي والإسلامي مما يحتاج إلى دراسات مستقلة تتبع مدى هذا التأثير.

ويؤيد تعذر الوصول إلى حكم تعميمي على انتفاء الأمانة العلمية لدى المستشرقين في نقلهم من المصادر العربية عدة عوامل منها:

١ - كثرة الإنتاج الفكري لدى المستشرقين.

٢ - تعدد الموضوعات التي طرقها المستشرقون داخل إطار الثقافة الإسلامية والعربية.

٣ - تعدد منابع الإنتاج الفكري لدى المستشرقين بحيث يشمل الغرب كله - تقريبًا - وأجزاء من الشرق كذلك.

٤ - تعدد لغات الإنتاج الفكري التي كتب بها المستشرقون دراساتهم وأبحاثهم.

٥ - طول المدة الزمانية التي يدرسها المستشرقون، إذ إنها تمتد من الجاهلية إلى الزمن الحاضر.

٦ - طول المدة الزمانية التي باشر فيها المستشرقون دراساتهم وأبحاثهم، فهي تمتد من ١٣١٢م إلى الزمن الحاضر.

٧ - تعدد فئات المستشرقين بحسب انتماءاتهم الدينية والفكرية مما ينعكس على مدى موقفهم من الموضوعات الإسلامية التي يدرسونها.

٨ - تعدد المدارس الاستشراقية التي ينطلق منها المستشرقون مما يؤثر في النظرة إلى الثقافة الإسلامية.

٩ - اختلاف الدوافع التي ينطلق منها المستشرقون والأهداف التي يرمون إليها من خوضهم في الثقافة الإسلامية.

ويمكن علمياً - في نظري - متابعة فرضية عدم الأمانة العلمية لدى المستشرقين في نقلهم من المصادر الإسلامية إذا ما ضُيِّقت النظرة بحيث تقتصر على إحدى الزوايا التالية من ظاهرة الاستشراق:

١ - دراسة الإنتاج الفكري لمستشرقين معينين من أعلام الاستشراق، وتتبع استشهاداتهم المرجعية.

٢ - دراسة مدرسة واحدة من مدارس الاستشراق وتتبع استشهاداتها المرجعية.

٣ - دراسة فئة واحدة من فئات المستشرقين وتتبعها في مدى دقتها في استشهاداتها المرجعية من المصادر الإسلامية.

٤ - دراسة «حقبة» زمانية من حقب الاستشراق التي مرَّ بها وتتبع مدى عنايتها بالاستشهادات المرجعية من المصادر الإسلامية.

٥ - دراسة موضوع واحد من الموضوعات التي طرقها المستشرقون، وتتبع مدى اهتمامهم بالمصادر الإسلامية حول هذا الموضوع.

٦ - دراسة الإنتاج الفكري الاستشراقي بلغة بعينها ومتابعة مدى التزام هذه اللغة بالأمانة العلمية في الاستشهاد بالمصادر الإسلامية. والذي يبدو لي أن دراسة الإنتاج الفكري الاستشراقي بلغة من لغات الاستشراق من الأمور المتعذرة علمياً، إلا إذا ربطت الدراسة بمتغير آخر من أحد المتغيرات التي مرت كالموضوع أو العلم أو الزمان.

ودون أخذ هذه المتغيرات في الحسبان يصعب الحكم السريع على ظاهرة الاستشراق بناء على انطباعات مسبقة تقود إلى الأحكام التعميمية. والخروج بنتائج علمية قائمة على البرهان بالأدلة والشواهد كفيل بأن يضع هذه الظاهرة في موضعها الذي يليق بها في مجالات الإسهام في دراسة الإسلام دينًا وثقافة وفكرًا.

الهــــوامـــــش

١ - عبدالعظيم محمود الديب . المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي ·- الدوحة : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤١١هـ ·- (سلسلة كتاب الأمة / ٢٧) ·- ص ٣٨ - ٣٩ .

٢ - نجيب العقيقي . المستشرقون·- ط٤ ·- ٣مج ·- القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م ·- ١/ ١١٠-١٣٧ .

٣ - إدوارد سعيد . الاستشراق: المعرفة ، السلطة، الإنشاء ·- تعريب كمال أبو ديب ·- ط٢ ·- بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤م ·- ص٨٠ .

٤ - امتدت الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي قرابة مئتي سنة، وقد بدأت من ربيع الأول من سنة ٤٩١هـ الموافق مارس ١٠٩٨م وانتهت في شعبان من سنة ٦٩٠هـ الموافق أغسطس من سنة ١٢٩١م. انظر في ذلك: سعيد عاشور . الحركة الصليبية ·- مجلدان ·- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م ·- ٢/ ١١٢٦ .

٥ - نجيب العقيقي . المستشرقون. مرجع سابق ·- ١/ ٧ .

٦ - ويسمى الإسناد أو علم الجرح والتعديل .

٧ - إدوارد سعيد . الاستشراق·- مرجع سابق . ص٨٠ .

٨ - المرجع السابق ·- ص ٥٨ .

٩ - عبدالجليل شلبي . صور استشراقية ·- القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠٦هـ ·- ص ٣٠ .

١٠ - وتعدد الموضوعات يؤذن بعدم الدقة الموضوعية في إطلاق الأحكام على الجميع دون النظر إلى الموضوعات التي طرقوها، ودن النظر إلى الزمان الذي أجريت فيه الدراسات والزمان الذي أجريت حوله هذه الدراسات .

١١ - وإن كان بعض الباحثين يرى أن اللغة الألمانية تعد في هذا المجال أم اللغات الأخرى وأنها جميعها تعد عالة عليها مباشرة أو عن طريق اللغات التي أخذت عنها . انظر: صلاح الدين المنجِّد. «الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله» ·- الهلال ·- مج٨٢ ، ع١١ (١٠/ ١٣٩٤هـ = ١١/ ١٩٧٤م) ·- ص٢٢-٢٧ .

١٢ - في تصنيف الاستشراق إلى مدارس انظر : ساسي سالم الحاج. الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية ·- ٢ج ، ١مج ·- مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩١م ·- ١/ ١١٩ - ١٩٦ .

١٣ - في مناقشة فئات المستشرقين انظر: عباس محمود العقاد. ما يقال عن الإسلام ·- القاهرة: دار الهلال، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ·- ص٩ - ١٨ ·- (سلسلة كتاب الهلال / ١٨٩) . وانظر أيضًا: محمد عبدالفتاح عليان. أضواء على الاستشراق ·- الكويت: دار البحوث العلمية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ·- ص٥٣ - ٥٧ .

١٤ - انظر في مناقشة أهداف المستشرقين وأغراضهم: علي بن إبراهيم النملة . الاستشراق في الأدبيات العربية: عرض للنظرات، وحصر وراقي للمكتوب ·- الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ·- ص٤٣ - ٥٨ .

١٥ - أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ·- القاهرة: دار المعارف . [١٩٨٠م] ·- ص ١٠٥ .

١٦ - وقد تابعت هذا العمل عندما كان يقوم به فريق من المتخصصين في مجالات الدراسات الإسلامية في معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت بألمانيا. وكان الأستاذ الدكتور «محمد فؤاد سزكين» يحرص على اقتناء هذه المواد في مكتبة المعهد المتميزة، ولا يزال يقوم بهذا - على حد علمي - ويتخذ لهذا جميع الوسائل الممكنة من استعارة الكتب وتصويرها وتصوير المقالات بعد استعارة الدوريات استعارة خاصة باتباع أسلوب الإعارة بين المكتبات.

١٧ - إدوارد سعيد . الاستشراق ·- مرجع سابق ·- ص٢١٦ .

١٨ - في أطوار الاستشراق انظر: أحمد سمايلوفتش . فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ·- مرجع سابق ·- ص٧٠ - ٨١ .

١٩ - رودي بارت. الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ·- ترجمة مصطفى ماهر ·- القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م ·- ص٥٧ .

٢٠- المرجع السابق ٠- ص ١٠٧ .

٢١- محمد البهي . الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ٠- ط٥ ٠- بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣م ٠- ص٤١٥ - ٤٥٦ .

٢٢- البارون دي ساسي، (١٧٥٨ - ١٨٩٢م)، ويكتب أحيانًا دو ساسي مستشرق فرنسي، انتخب رئيسًا للجمعية الآسيوية سنة ١٨٢٢م . وألف في الدروز وعني بهم . ولقب بالبارون سنة ١٨١٣م جزاءً لجهوده وخدماته . انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون ٠- مرجع سابق ٠- ١/ ١٦٢ - ١٦٥ .

٢٣- جيرجاس (١٨٥٣ - ١٨٨٧م)، تخرج باللغات الشرقية من جامعة بطرسبرج، وانتقل إلى باريس وتعلم العربية على مستشرقي فرنسا، وانتقل إلى مصر وسورية ولبنان وعاد إلى بطرسبرج ودرّس بها، وعُدَّ أول مؤسس للدراسات العربية الحديثة في روسيا . انظر: نجيب العقيقي . المستشرقون . مرجع سابق ٠- ٣/ ٧٤ - ٧٥ .

٢٤- ديمانج درس الاستشراق في فرنسا، وتتلمذ على دي ساسي وغيره من المستشرقين الفرنسيين، ووقع اختيار دي ساسي عليه مع شارومي لتدريس اللغات الشرقية في جامعة بطرسبرج بناء على رغبة إسكندر الأول . انظر: نجيب العقيقي . المستشرقون . مرجع سابق ٠- ٣/ ٦٩ .

٢٥- شارومي (١٧٩٣ - ١٨٥٥م) رحل إلى باريس وتتلمذ على «دي ساسي ودي برسفال، وأرسل من فرنسا إلى جامعة بطرسبرج ليدرّس الفارسية بها . نال أوسمة عدة وله آثار في التاريخ . انظر: نجيب العقيقي . المستشرقون . مرجع سابق ٠- ٣/ ٦٩ .

٢٦- ساسي سالم الحاج . الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية ٠- مرجع سابق ٠- ص١٦٧ - ٧٣ .

٢٧- انظر: نعمان عبدالرزاق السامرائي . الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين د . محمد أركون ود . إدوارد سعيد ٠- الرياض: دار صبري، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

٢٨- صلاح الدين المنجد . المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية ٠- ج١ ٠- بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م . ص٧ - ١٣ .

٢٩- إجناس جولدتسيهر (١٨٥٠ - ١٩٢١م) مستشرق مجري (هنجاري)، اتجه إلى دراسة العبرانية في بداية حياته العلمية، وتخرج في اللغات السامية، ثم اهتم باللغة العربية والإسلام، ونشر أبحاثه باللغة الألمانية والإنجليزية والفرنسية . يذكرون عنه أنه أعطى الدراسات العربية والإسلامية قالبًا جديدًا . انظر: محمد بن عبود . «الاستشراق والنخبة العربية» ٠- المجلة التاريخية المغربية ٠- مج٩ ، ع٢٧ و ٢٨، (١٩٨٢م) ٠- ص ١٩٩ - ٢١٥ .

٣٠- انظر في دوافع الاستشهادات المرجعية: حشمت علي قاسم . دراسات في علم المعلومات ٠- القاهرة: دار غريب، [١٩٨٤م] ٠- ص ١١٧ .

٣١- في مناقشة الدوافع والأهداف لدى المستشرقين بعامة انظر: علي بن إبراهيم النملة . الاستشراق في الأدبيات العربية ٠- مرجع سابق ٠- ص٣٣ - ٥٨ .

٣٢- مونتجمري وات، مستشرق بريطاني معاصر . له إسهامات في الدراسات الإسلامية أشهرها ما كتبه عن المصطفى - ﷺ - (محمد في مكة) و (محمد في المدينة) و (محمد النبي ورجل الدولة) . وهذه الأعمال الثلاثة تحتاج إلى متابعات نقدية لما فيها من بعض المعلومات المغلوطة عن حياة الرسول - ﷺ - وقد ترجمها شعبان بركات ونشرتها المكتبة العصرية .

٣٣- انظر: إبراهيم اللبان . المستشرقون والإسلام ٠- القاهرة: الأزهر: ١٣٩٠ / ١٩٧٠م ٠- ص٣٦ -٣٧ ٠- (ملحق مجلة الأزهر) .

٣٤- في متابعة ما كتبه «مونتجمري وات» عن النبي - ﷺ - يجد المرء هنات يصعب وقوع باحث منصف فيها . ومن أقربها إلى ضرب المثال قوله عن النبي محمد - ﷺ - أنه كان - عليه السلام - يصعد إلى غار حراء ليتبرد من حر مكة، إذ لم يكن يتمكن لفقره من الصعود إلى الطائف للاصطياف ! ! كما كانت تفعل أغنياء قريش . والثابت في مصادر سيرة المصطفى - عليه السلام - أنه كان يصعد إلى الغار للعبادة لا للاصطياف . انظر: مونتجمري وات . محمد في مكة ٠- كراتشي: جامعة أكسفورد، ١٩٧٩م . ص ٤٤ . W . Montgomery Watt. Muhammad At Mecca .- Karachi : Oxford University Press, 1979 .- p 44 .

٣٥- عبدالجليل شلبي . صور استشراقية ٠- مرجع سابق ٠- ص٢٧ .

٣٦- المرجع السابق ٠- ص٢٨ .

٣٧- انظر : عبدالملك بن هشام المعافري . السيرة النبوية لابن هشام ٠- ٤ج ، ٢مج ٠- القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، د. ت ٤/ ٢٢٢ ، ومختصر سيرة الرسول - ﷺ - لمحمد بن عبدالوهاب وعبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ٠- الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، د. ت ٠- ص٤٦٤ .

٣٨- نورمان دانييل مستشرق ومؤرخ معاصر ، سكن القاهرة. ومن آثاره (العرب وأوروبا في القرون الوسطى) و (الإسلام والغرب) .

٣٩- قاسم السامرّائي . الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ٠- الرياض : دار الرفاعي ، ١٤٠٣هـ ٠- ص ٦٩ .

٤٠- برنارد لويس مستشرق أمريكي معاصر ، يظهر انتماءه للصهيونية . وقد تخرج في جامعتي لندن وباريس ، ودرّس في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، ويدرّس الآن في جامعة «برنستون» بولاية «نيوجرسي» بالولايات المتحدة . وله مجموعة آثار منها (اللغة السياسية في الإسلام) وغيرها .

٤١- إبراهيم اللبان . المستشرقون والإسلام ٠- مرجع سابق ٠- ص ٣٦ .

٤٢- المرجع السابق .

٤٣- محمد بن عبود . «منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي» ٠- في : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ٠- ٢مج ٠- الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ٠- ١/ ٣٦٤ .

٤٤- عبدالحميد متولي . الإسلام وموقف علماء المستشرقين : اتهامهم الشريعة بالجمود وعلمائها الأقدمين بالتأثُّر بالقانون الروماني ٠- جدة : شركة مكتبات عكاظ ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ٠- ص ١٢ .

٤٥- إدوارد سعيد . الاستشراق ٠- مرجع سابق ٠- ص٥٨ .

٤٦- إجناس جولدتسيهر مرت ترجمته في الهامش رقم (٢٩) .

٤٧- كريستيان هورخرونيه (١٨٥٧ - ١٩٣٦م) مستشرق هولندي ، رحل إلى جاوة وخدم حكومته فيها ، يذكر أنه أسلم ، وتسمى بعبدالغفار ودخل مكة المكرمة وأقام فيها ستة أشهر خرج منها بكتاب عن الحج . ويناقش قاسم السامرّائي مسألة إسلامه في : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ٠- مرجع سابق ٠- ١١٠-١٣٧ .

٤٨- كارل هينرش بيكر (١٨٦٧ - ١٩٣٣م) مستشرق ألماني، ركّز على تأثُّر الإسلام بالثقافات السابقة عليه، وأنشأ مجلة الإسلام، واهتم بشمال أفريقيا . انظر : نجيب العقيقي . الاستشراق ٠- مرجع سابق ٠- ٢/ ٤١٨ - ٤١٩ .

٤٩- دنكن بلاك ماكدونالد (١٨٦٣ - ١٩٤٣م)، مستشرق أمريكي تعاون مع زويمر وسارتون في إنشاء معاهد ودوريات استشراقية . انظر: نجيب العقيقي . المستشرقون ٠- مرجع سابق ٠- ٣/ ١٣٦ - ١٣٧ .

٥٠- «الأب» لوي ماسينيون (١٨٨٣- ١٩٦٢م) مستشرق فرنسي وأستاذ في الدراسات العربية والإسلامية، تتلمذ عليه جملة من المستشرقين، واستعانت به كثير من مراكز الاستشراق العالمية كالمدرسة الروسية، اهتم كثيراً بالتصوف والمتصوفة كالحلاج وابن سبعين درّس في مصر، وأدار مجلة العالم الإسلامي التي تحولت إلى مجلة الدراسات الإسلامية . انظر : محمد بدوي . موسوعة المستشرقين. ط٢ ٠- بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٩م ٠- ص٣٦٣ - ٣٧٠ .

٥١- هاملتون جب (١٨٩٥ - ١٩٧١م) مستشرق إنجليزي تتلمذ على كينيدي واهتم بالأدب العربي، كتب في العلوم الإسلامية والعربية والرحلات . انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون ٠- مرجع سابق ٠- ٢/ ١٢٩-١٣١ .

٥٢- يوسف (جوزف) شاخت (١٩٠٢ - ١٩٦٩م) مستشرق إنجليزي ، أسهم كثيراً في تحرير (دائرة المعارف الإسلامية)، وتنقل في التدريس بين ألمانيا ومصر والجزائر وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية . وأنشأ مجلة الدراسات الإسلامية ، ونشر كتباً في التراث، واشتهر بدراسة التشريع الإسلامي . انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون ٠- مرجع سابق ٠- ٢/ ٤٦٩ - ٤٧١ .

٥٣- كارل بروكلمان (١٨٦٨ - ١٩٥٦م) مستشرق ألماني، تخرج في اللغات السامية وكتب في الآداب العربية والتاريخ الإسلامي. ومن أشهر آثاره (تاريخ الأدب العربي) و(تاريخ الشعوب الإسلامية). انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون ٠- مرجع سابق ٠- ٢/ ٤٢٤ - ٤٣٠.

٥٤- الأب هنري لامانس (١٨٦٢ - ١٩٣٧م) مستشرق بلجيكي وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام. وقد تعلم في الكلية اليسوعية ببيروت، ودرّس بها. رأس تحرير مجلة المشرق ومجلة تنصيرية أخرى أسمها البشير، وكتب في السيرة والخلافة الأموية ٠- انظر: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين ٠- مرجع سابق ٠- ص٣٤٧ - ٣٤٩.

٥٥- المرجع السابق ٠- ص٣٤٨ - ٣٤٩.

٥٦- عبدالعظيم محمود الديب. المستشرقون والتراث ٠- المحرق: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ٠- ٤٥ص.

٥٧- علي بن إبراهيم النملة. «أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين» ٠- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٠- ع٧ (٤/ ١٤١٣هـ = ١٠/ ١٩٩٢م) ٠- ص٥١٩ - ٥٦٤. ومجمل المعلومات في هذه الوقفة مستقاة من هذا المرجع ومرجع آخر للمؤلف تحت عنوان: مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف ٠- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ٠- ٥٦ ص.

٥٨- جورج سيَل (١٦٩٧ - ١٧٣٦م) مستشرق إنجليزي، اهتم بالإسلام وترجم معاني القرآن الكريم ترجمة متقدمة ما أتى بعدها يعدُّ عالة عليها. وقد قدم لها بمقدمة ضافية «حشاها بالإفك واللغو والتجريح» كما يذكر نجيب العقيقي في المستشرقون ٠- ٢/ ٤٧.

٥٩- محمد أحمد دياب. أضواء على الاستشراق والمستشرقين ٠- القاهرة: دار المنار، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م ٠- ص ٥٢.

٦٠- عدنان محمد الوزان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر ٠- مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ ـــــ/ ١٩٨٤م ٠- ص ١٦١ - ١٩٥ ٠- (سلسلة دعوة الحق/ ٢٤).

٦١- محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ٠- ط٢ - القاهرة: دار المنار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ٠- ص ١٥٥ - ١٦٤.

٦٢- كارل بروكلمان مرت ترجمته. انظر الهامش رقم (٥٣).

٦٣- فيليب خوري حتي (١٨٨٦ - ١٩٧٨م) مستشرق أمريكي من أصل عربي لبناني، تخرج من الجامعة الأمريكية ببيروت، وأنهى دراسته العليا من كولومبيا بنيويورك، ودرّس في برنستون وهارفارد والجامعة الأمريكية ببيروت. ألف أكثر من ٢٥ عملاً بالعربية والإنجليزية، و ٥٠٠ دراسة عن الشرق العربي. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون ٠- مرجع سابق ٠- ٣/ ١٤٨ - ١٥١.

٦٤- انظر العمل الذي قام به عبدالكريم الباز بعنوان: افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي ٠- جدة: تهامة، ١٤٠٣هـ ٠- ١٧٤ص. (سلسلة رسائل جامعية/ ١٦). والعمل الآخر الذي قام به شوقي أبو خليل بعنوان: موضوعية فيليب حتّي في كتابه تاريخ العرب المطول ٠- دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م ٠- ٢٢٠ ص.

٦٥- درس مازن صلاح المطبقاني المستشرق الأمريكي المعاصر «برنارد لويس» في رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الاستشراق من كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد انتهى من مناقشتها مع صدور هذا البحث، كما خرجت دراسات عن مستشرقين آخرين من كلية الشريعة وكلية أصول الدين من الجامعة المذكورة، وغيرها من الدراسات. ودرس الجيلي محمد يوسف الكبشاني المستشرق «بولند ألن نيكلسون» ومفترياته على الإسلام في رسالة لنيل درجة الدكتوراه في المذاهب المعاصرة من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ، ودرس محمود حمزة عزولي كتاب الدعوة إلى الإسلام «توماس ووكر آرنولد» في رسالة لنيل درجة الماجستير في الدعوة والاحتساب من المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة (كلية الدعوة) بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ.

٦٦- مرت ترجمة كارل بروكلمان في الهامش رقم (٥٣).

٦٧- انظر: غيثان علي جريس. افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية. - أبها: نادي أبها الثقافي والأدبي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م. - ٨١ص.

٦٨- ظهر الكتاب في مجلدين، وأعقبهما المؤلف بملحقين كبيرين باللغة الألمانية. وقد ترجم هذا العمل إلى اللغة العربية على يد الأساتذة عبدالحليم النجار والسيد يعقوب بكر ورمضان عبدالتوّاب، ونشرته دار المعارف بمصر بين سنة ١٩٧٧ وسنة ١٩٨٣م.

٦٩- ترجمه إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، وظهر سنة ١٩٤٨م، وتوالت طبعاته إلى أن وصلت إلى الثامنة التي أظهرتها دار العلم للملايين ببيروت سنة ١٩٧٩م.

٧٠- انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. - مرجع سابق. - ١/ ٨٣.

٧١- وقد نظم المستشرق «يوسف فون هامر - بورجستال» أبياتًا أورد شيئاً منها صلاح الدين المنجِّد في: المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية. - مرجع سابق. - ص ٢٧ - ٣٨. وهي ترجمة للأصل الألماني نقلتها إلى العربية «أنا ماري شمّل».

٧٢- محمود محمد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. - القاهرة: دار الهلال، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م. - ص٢٥٩. - (سلسلة كتاب الهلال/ ٤٤٢).

٧٣- رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣م) تخرج في الجامع الأزهر، ويعد شيخ المترجمين المصريين، تعلم الفرنسية في ديارها وأسهم بالترجمة عنها، ووصف رحلته إليها في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) وله آثار غيره. انظر: الموسوعة العربية الميسرة. - بإشراف محمد شفيق غربال. - القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٥م. - ص ٨٧٣.

٧٤- مرت ترجمته في الهامش رقم (٢٢).

٧٥- رفاعة رافع الطهطاوي. تخليص الإبريز في تلخيص باريز.

٧٦- محمود المقداد. تاريخ الدراسات العربية في فرنسا. - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م. - ص ٢٣٦. - (سلسلة عالم المعرفة س/ ١٦٧).

٧٧- الحريري، أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحرامي الحريري، ولد بقرية المشان من أعمال البصرة، واشتهر بالمقامات، توفي بالبصرة سنة ٥١٦هـ وعمره سبعون عامًا. انظر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. سير أعلام النبلاء. - ٢٣مج. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م. - ١٩/ ٤٦٠ - ٤٦٥.

٧٨- ابن مالك، محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني الشافعي، إمام النحاة وحافظ اللغة، ولد سنة ٦٠٠هـ بجيان بالأندلس، وانتقل إلى دمشق وبها عاش، وقد وصلت أعماله إلى الثلاثين مصنفًا، وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢هـ. انظر: محمد عبدالعزيز النجار. ضياء السالك إلى أوضح المسالك. - ٤مج. - القاهرة: مطبعة الفجالة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م. - ١/ ٢٠.

٧٩- فرانز روزنتال مستشرق أمريكي، من أساتذة جامعة ييل. وقد تناول العلاقات الثقافية اليهودية الإسلامية، وأثر الفلسفة اليونانية في العالم الإسلامي، وكتب في مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. انظر: ساسي سالم الحاج. الظاهرة الاستشراقية. - مرجع سابق. - ص١٧٩.

٨٠- عبدالرحمن بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨) يعد من أبرز علماء المسلمين في جميع العصور عمل في التدريس، وتنقّل إلى بلاد كثيرة، اشتهر بمقدمة كتابه في التاريخ (العبر . . .) التي أرست مبادئ علم الاجتماع. انظر: علي عبدالواحد وافي. عبدالرحمن بن خلدون. - القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٢م. - (سلسلة أعلام العرب/ ٤).

٨١- إدوارد سعيد. الاستشراق. - مرجع سابق. - ص٢٠، بالإنجليزية طبعة لندن نقلاً عن عدنان محمد وزان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر. - مرجع سابق. - ص١٢٩. ولم أعثر عليه في الترجمة العربية والنسخة الإنجليزية التي بين يديّ.

٨٢- من الآية الكريمة: ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ الآيتان ٤٠ - ٤١ من سورة فصّلت.

٨٣- في علم مصطلح الحديث تفريع لأنواع الحديث الشريف من حيث المتن ومن حيث السند من الصحيح والحسن والمرسل والمتواتر والآحاد والمتصل والضعيف والموضوع وغيرها من التفريعات التي تبين مدى اهتمامنا نحن المسلمين بالتوثيق والوصول إلى الثابت مما ينسب للمصطفى - ﷺ - .

٨٤- وهذا الأثر منسوب إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى في قوله : «ليس أحد بعد النبي - ﷺ - إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي - ﷺ - » وقد أثرت هذه العبارة عن ابن عباس - رضي الله عنهما ، وأخذها عنه مجاهد - رحمه الله - وأخذها عن مجاهد مالك بن أنس - رحمه الله - ، وأخذها عن مالك أحمد بن حنبل - رحمه الله - . انظر في هذا : محمد ناصر الدين الألباني . صفة صلاة النبي - ﷺ - من التكبير إلى التسليم كأنك تراها ٠- ط١٣ ٠- بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ٠- ص٢٦ - ٢٧ .

٨٥- وذلك مصداقًا للآية الكريمة : ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى﴾ الآيتان ٣ - ٤ من سورة النجم .

٨٦- انظر : الملحقية الثقافية بسفارة المملكة العربية السعودية بواشنطن . دليل الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية بالجامعات الأمريكية ٠- ط٢ ٠- واشنطون : الملحقية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ٠- ص٢٧٩ .

٨٧- محمود حمدي زقزوق . الاستشرق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ٠- مرجع سابق ٠- ص٥٩ .

٨٨- الآية ٦ من سورة الحجرات .

٨٩- رودي بارت . الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية ٠- مرجع سابق ٠- ص١٠ .

٩٠- انظر : عدنان محمد وزان . الاستشراق والمستشرقون : وجهة نظر ٠- مرجع سابق ٠- ١١٩-١٣٨ .

٩١- يقول ابن كثير في تفسير القرآن العظيم : « . . . فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام لما رواه محمد بن جرير - رحمه الله تعالى - حيث قال : ثنا محمد بن بشار ، ثنا يحيى بن سعيد ، ثنا سفيان حدثني عبدالأعلى هو ابن عامر الثعلبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي - ﷺ - قال : من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار» . انظر : إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، الحافظ عماد الدين، أبو الفداء . تفسير القرآن العظيم ٠- ٤مج ٠- بيروت دار المعرفة ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ٠- ١/ ٥ .

٩٢- محمد حسين الصغير . المستشرقون والدراسات القرآنية ٠- بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ٠- ١٣٥ص .

٩٣- مايكل أنجلو جويدي (١٨٨٦ - ١٩٤٦م) مستشرق إيطالي، وهو ابن علامة المستشرقين «إغناطيوس جويدي (١٨٤٤ - ١٩٣٥م) ، تعلم العربية ودرس في إيطاليا ومصر ، أكب على كتابة تاريخ العرب ، إلا أنه توفي قبل إكماله ، وقد صدر الجزء الأول منه سنة ١٩٥١م وينتهي بوفاة الرسول - ﷺ -» . انظر : نجيب العقيقي . المستشرقون ٠- ١/ ٤٤١- ٤٤٢ .

٩٤- نذير حمدان . الرسول - ﷺ - في كتابات المستشرقين ٠- ط٢ ٠- جدة : دار المنارة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ٠- ص٣٢ .

٩٥- محمد أسد . الإسلام على مفترق الطرق ٠- ترجمة عمر فروخ ٠- بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٧٤م ٠- ص٥٣ .

٩٦- أبو الحسن علي الحسني الندوي . الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين : تقييم لكتابات المستشرقين، واستعراض لبحوث المؤلفين المسلمين في الموضوعات الإسلامية ٠- ط٣ ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ٠- ص١٦ .

٩٧- جاستون فييت (١٨٨٧ - ١٩٧١م) مستشرق فرنسي تخرج باللغة العربية الفصحى، وأجاد بعض اللهجات العربية المحلية واللغة الفارسية والتركية . وكتب كثيرًا عن مصر الحاضرة ، وترجم لبعض أدبائها المعاصرين . انظر : نجيب العقيقي ٠- المستشرقون ٠- مرجع سابق ٠- ١/ ٢٧٦ - ٢٨٠ .

٩٨- حسين مؤنس . «كتاب (مجد الإسلام) لجاستون فييت» ٠- في : محمد البهي . الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ٠- مرجع سابق ٠- ص٤٥٧ - ٤٧١ .

٩٩- عبدالجليل شلبي . صور استشراقية ٠- مرجع سابق ٠- ص ١٠١ - ٢١٦ .

١٠٠- إدوارد وليم لين (١٨٠١ - ١٨٧٦م) مستشرق إنجليزي نبغ في الرياضيات، وألم بالعربية، ودرس حضارة قدماء المصريين، وقصد مصر، وألف كتابه بإنجلترا، وترجم كتاب (ألف ليلة وليلة). انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون ٠- مرجع سابق ٠- ٢/ ٥٤ - ٥٥ .

١٠١- عدلي طاهر نور. «المصريون المحدثون: شمائلهم وعاداتهم، تأليف المستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين

-١-٤٠- الرسالة ٠- مج ٩، ع٤٢٤ (٢٥/ ٧/ ١٣٦٠هـ = ١٨/ ٨/ ١٩٤١م) ٠- ص١٠٤٢ - ١٠٤٥. إلى مج١١، ع٥٠٦ (٩/ ٣/ ١٣٦٢هـ = ١٥/ ٣/ ١٩٤٣م) ٠- ص٢٥٣ - ٢٥٦ .

١٠٢- علي بن إبراهيم النملة. أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين ٠- مرجع سابق ٠- ص٥٥٩ - ٥٦٤ .

المصـــــــادر

١ - إبراهيم اللبان. المستشرقون والإسلام ٠- القاهرة: الأزهر: ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ٠- (ملحق مجلة الأزهر).

٢ - أبو الحسن علي الحسني الندوي. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين: تقييم لكتابات المستشرقين، واستعراض لبحوث المؤلفين المسلمين في الموضوعات الإسلامية ٠- ط٣ ٠- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ٠- ٨٢ص.

٣ - أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ٠- القاهرة: دار المعارف. [١٩٨٠م] ٠- ٧٨٠ص.

٤ - إدوارد سعيد. الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء ٠- تعريب كمال أبو ديب ٠- ط٢ ٠- بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤م ٠- ٣٦٧ص.

٥ - حسين مؤنس. «كتاب (مجد الإسلام) لجاستون فييت» ٠- في: محمد البهي. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ٠- مرجع سابق ٠- ص٤٥٧ - ٤٧١ .

٦ - رودي بارت. الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية ٠- ترجمة مصطفى ماهر ٠- القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م ٠- ١١٠ص.

٧ - سامي سالم الحاج. الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية ٠- ٢ج، ١مج ٠- مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، [١٤١١هـ] = ١٩٩١م ٠- ٦٧٢ص.

٨ - صلاح الدين المنجِّد. «الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله» ٠- الهلال. مج٨٢، ع١١ (١٠/ ١٣٩٤هـ = ١١/ ١٩٧٤م) ٠- ص٢٢ - ٢٧ .

٩ - صلاح الدين المنجِّد. المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية ٠- ج١ ٠- بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م ٠- ١٩٢ص.

١٠- عباس محمود العقاد. ما يقال عن الإسلام ٠- القاهرة: دار الهلال، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ٠- ٢٢٥ص. (سلسلة كتاب الهلال/ ١٨٩).

١١- عبدالجليل شلبي. صور استشراقية ٠- القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٦هـ ٠- ٢٢٤ص.

١٢- عبدالحميد متولي. الإسلام وموقف علماء المستشرقين: اتهامهم الشريعة بالجمود وعلمائها الأقدمين بالتأثر بالقانون الروماني ٠- جدة: شركة مكتبات عكاظ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ٠- ٨٠ص.

١٣- عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين ٠- ط٢ ٠- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٩م ٠- ٤٤٦ص.

١٤- عبدالعظيم محمود الديب. المستشرقون والتراث ٠- المحرق: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ٠- ٤٥ص.

١٥- عبدالعظيم محمود الديب. المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي ٠- الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤١١هـ ٠- ١٣٣ص ٠- (سلسلة كتاب الأمة/ ٢٧).

١٦- عدلي طاهر نور . «المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم» ، تأليف المستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين - ١ - ٤ - - الرسالة - مج٩ ، ع٤٢٤ (٢٥/ ٧/ ١٣٦٠هـ = ١٨/ ٨/ ١٩٤١م) - ص١٠٤٢ - ١٠٤٥ . إلى مج١١ ، ع٥٠٦ (٩/ ٣/ ١٣٦٢هـ = ١٥/ ٣/ ١٩٤٣م) - ص٢٥٣ - ٢٥٦ .

١٧- عدنان محمد الوزان . الاستشراق والمستشرقون : وجهة نظر - مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م - ٢١٢ص - (سلسلة دعوة الحق / ٢٤) .

١٨- علي بن إبراهيم النملة . الاستشراق في الأدبيات العربية : عرض للنظرات ، وحصر وراقي للمكتوب - الرياض : مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م - ٣٩٠ص .

١٩- علي بن إبراهيم النملة . أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين - مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ع٧ (٤/ ١٤١٣هـ = ١٠/ ١٩٩٢م) - ص٥١٩ - ٥٦٤ .

٢٠- علي بن إبراهيم النملة . مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقون : استقراء للمواقف - الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م - ٥٦ص .

٢١- غيثان علي جريس . افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية - أبها : نادي أبها الثقافي والأدبي ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م - ٨١ ص .

٢٢- قاسم السامرائي . الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية - الرياض : دار الرفاعي ، ١٤٠٣هـ - ١٦٨ + ١٩ص .

٢٣- محمد أحمد دياب . أضواء على الاستشراق والمستشرقين - القاهرة : دار المنار ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م - ١٩٢ ص .

٢٤- محمد أسد . الإسلام على مفترق الطرق - ترجمة عمر فروخ - بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٤م .

٢٥- محمد البهي . الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - ط٥ - بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٣م - ٥١٢ص .

٢٦- محمد حسين الصغير . المستشرقون والدراسات القرآنية - بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م - ١٣٥ص .

٢٧- محمد عبدالفتاح عليان . أضواء على الاستشراق - الكويت دار البحوث العلمية ، ١٤٠٠هـ - ١٢٠ص .

٢٨- محمد بن عبود . «الاستشراق والنخبة العربية» - المجلة التاريخية المغربية - مج٩ ، ع٢٧ و ٢٨ ، (١٩٨٢م) - ص١٩٩ - ٢١٥ .

٢٩- محمد بن عبود . «منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي» - في : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية - ٢مج - الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م - ص٣٤١ - ٣٩١ .

٣٠- محمود حمدي زقزوق . الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - ط٢ - القاهرة : دار المنار ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م - ١٨٨ص .

٣١- محمود محمد شاكر . رسالة في الطريق إلى ثقافتنا - القاهرة : دار الهلال ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م - ٢٥٨ص - (سلسلة كتاب الهلال/ ٤٤٢) .

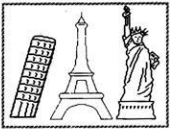
٣٢- محمود المقداد . تاريخ الدراسات العربية في فرنسا - الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م - ٢٨٧ص - (سلسلة عالم المعرفة س/ ١٦٧) .

٣٣- الملحقية الثقافية بسفارة المملكة العربية السعودية بواشنطن . دليل الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية بالجامعات الأمريكية - ط٢ - واشنطون : الملحقية ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م - ٣٠٨ص .

٣٤- نجيب العقيقي . المستشرقون - ط٤ - ٣مج - القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٠م

٣٥- نذير حمدان . الرسول - ﷺ - في كتابات المستشرقين - ط٢ - جدة : دار المنارة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م - ٢٠٧ص .

٣٦- نعمان عبدالرزاق السامرائي . الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين د . محمد أركون و د . إدوارد سعيد - الرياض : دار صبري ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م - ١٦٠ص .



الاستشراق مدخل معرفي تنظيمي

فؤاد حمد رزق فرسوني

مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض

مستخلص

تناولت هذه الدراسة الاستشراق كحقل مميز من حقول الدراسة التي كانت وماتني تستأثر بأهمية بارزة وعناية من الباحثين المعنيين في الغرب والشرق، وطرحت الدراسة إشكالية المعرفة الاستشراقية، وأبانت أهمية تنظيمها لتيسير معالجتها واسترجاعها، فناقشت معالجتها التصنيفية في نظامي تصنيف مكتبة الكونجرس، وديوي، وعرضت مرئيات محددة حول موقع المعرفة الاستشراقية على خريطة المعرفة، ثم تناولت أطر الفهرسة الموضوعية لها، وبخاصة الإطار المفهومي، والجغرافي، والزمني، والمؤسساتي، والمصطلحي، وتطرقت الدراسة لإشكالية التباين في تعريب أسماء المستشرقين مما يعيق الاسترجاع الكلي لمؤلفاتهم والكتابات عنهم، وطرحت من نظم تعريب تلك الأسماء مايمكن الاستناد إليها والاستفادة منها، مع الاستفادة من الصيغ المتداولة للأسماء الواردة في الكتب والسير والمراجع التي تناولت الاستشراق والمستشرقين، وقد ساقت قائمة مراجع الدراسة عددا مفيدا منها.

الكلمات المفتاحية الاسترجاعية في المقالة

الاستشراق. بحوث المعلومات. المعرفة الموضوعية. المعرفة الاستشراقية. العناصر المعرفية. التصنيف. الفهرسة. المستشرقون. الخبراء الاقليميون. الدراسات الاقليمية. تصنيف ديوي العشري. تصنيف مكتبة الكونجرس. قواعد الفهرسة الانجلوأمريكية. الانتساخ / النقحرة. التعريب. الشرق الأدنى. الشرق الأوسط. الشرق. جداول تصنيف الدراسات الاقليمية. رءوس الموضوعات العربية. الثقافة الإسلامية. الدراسات الشرقأوسطية. أسماء المستشرقين.

توطئة :

سلكت بحوث المعلومات طرائق شتى، فمنها ما اتجه إلى دراسة حقول المعرفة، ومنها ما تناول تنظيم المعلومات واسترجاعها (1)، سواء في تلك الحقول جميعًا، أو أحدها أو مجموعة منها، وتخضع لهذا التناول المعرفة المسجَّلة recorded، التي يسميها كارل بوبر Karl popper : المعرفة الموضوعية (2)؛ ويغدو تحديد المعرفة الموضوعية في حقل معين عنصرا أساسيا في بناء نظام الاسترجاع للمعلومات فيه، وتتضمن هذه المقولة إشارة جلية إلى العلاقة بين المعرفة الموضوعية ونظام الاسترجاع. والمعرفة الموضوعية في حقل معرفي معين نسيج من عناصر معرفية entities تستغرق أشياء، ووقائع، وعمليات، وظواهر، وأشخاص . . .، ويصبح هذا الحقل المعرفي حقلاً أكاديميا لدى خضوع المعرفة الموضوعية فيه للبحث والدراسة، وتسلسل معالجة هذه المعرفة عند تحديد معالمها، والمعرفة في حد ذاتها لايسمها أي شكل، وإنما العقل البشري هو الذي ينظمها في قطاعات للاستخدام، وتنسغ هذه القطاعات بالتخصص، ليُتاح التركيز على الدراسة المتعمقة للقضايا التي تُثار في كل منها؛ فتنظيم المعرفة يتضمّن تفريقًا منطقيًا، وفي ذات الوقت، تكاملا مع كامل المعرفة؛ إنه سياق قد يركز الدارس فيه بحثه على شطر من عالم المعرفة :

منطقة area أو نظام أو بيئة أو ظاهرة . . . معينة؛ إنه دراسة الشيء أو المفهوم في إطار مايحيط به؛ إنه يقدم خارطة دلالية للمعرفة مع بيان خطوط الاتصال والتقاطع بين أجزائها.

وهو يطرح منهجية لترتيب الأفكار لتيسير تشكيل نظام مقنن للموضوعات، مما يساعد على التوصيل الدقيق للمعرفة (3) المتعلقة بها.

ويقدم تنظيم المعرفة الأسس التي يبنى عليها ذلك النظام الموجه أهدافًا ومستفيدين.

ومن الممكن صوغ واقع تنظيم المعرفة في تصنيف classification يؤطّر شتى أنشطة المعلومات من موقع صدورها حتى استخدامها، ويتضافر هذا التصنيف مع نظام معياري للوصف والتعبير الموضوعي والتسجيل الاستنادي لتقديم هيكل مميز منظم للمعرفة الموضوعية في معالجتها الحقلية العامة أو المتخصصة؛ والأخيرة هي محل عنايتنا في هذه الدراسة، ونستطيع أن نحدد ركائز المعرفة المتخصصة في حقل معين من حقول المعرفة فيما يأتي:

- النظريات والأفكار المتصلة بذلك الحقل.
- الدراسات التي تناولته (أي الأدبيات حوله).
- الأنشطة / أو العمليات ذات العلاقة به.
- الاخصائيون المشتغلون بالبحث فيه.
- توجُّهات أو أهداف المشتغلين المعنيين بدراسته.
- توجهات أو أهداف المؤسسات المعنية بدراسته.
- جمع المعرفة المتصلة والتأليف بينها وتنظيمها وبثّها.

وتنطبق المقولات المطروحة على حقل الدراسة الذي يخضع للابتحاث في هذه المقالة، أعني حقل الاستشراق، فالمعرفة الموضوعية المنشورة فيه غزيرة متراكمة ومسترسلة، وتثير اشكالات مختلفة في التحديد والتنظيم والاسترجاع مما سنأتي عليه في فقرات قادمات.

وقد تطورت المعرفة الموضوعية في حقل الاستشراق كثيرا خلال السنوات العديدة المنصرمة التي تفاعلت معه، سواء على مستوى المؤسسات الأكاديمية من جامعات ومعاهد، أو على مستوى المؤسسات البحثية والسياسية، والعقائدية والكنسية، والتي تلتقي جميعًا في ميدان دراسي موحّد، ذلك هو الشرق الذي تتحدّد به الخريطة المعرفية التي رسمتها تلك المؤسسات(٤).

وقد استثارت المعرفة الاستشراقية ومازال تستثير الاهتمام(٥)، وقد تطلّب رصيدها المرتكم تنظيما ناجعا ناجحا على ضوء متغيرات عدّة، أُشيرُ إلى مايتصل منها بأدبيات الحقل المتوافرة، وما تطرحه من نظريات اجتماعية وسياسية ... وأفكار إنسانية وفلسفية ...، وما تسجله من أنشطة للمستشرقين وإنجازات ومساهمات معقدة على قدر التعقيد الذي يسم البنية التكوينية لشريحة هؤلاء المستشرقين، من رجال الفكر والأدب والكنيسة والسياسة والعسكر ...، الذين ارتبطوا بوشائج وثيقة بمعاهد وجامعات، وبكنائس وتنظيمات وجمعيات نصرانية ويهودية وبوذية وشيوعية ...، وبمنظمات سياسية وعسكرية ...، تناغمت أهدافها وأغراضها مع أهدافهم وأغراضهم، وتوّحدت توجهاتهم جميعًا نحو عالم الشرق والإنسان فيه، واستهدفت تشكيلهُ بالصورة التي تخدم تلك الأهداف والأغراض، وطمس هويته، والهيمنة عليه(٦)، متسلحة عقلانيًا بالمعرفة بوصفها أداة قوة وغلبة وسيطرة(٧)، هذه المعرفة التي ينبغي أن ندرسها مجهريًا، هذه المعرفة التي ازدخرت في الأوعية المتكاثرة(٨) على رفوف مكتباتنا، وكانت ومازالت محل عناية ثابتة وقوية(٩) من جانب نفر من الدارسين.

لذلك جُعلَ مجال هذه الدراسة: حقل المعرفة الاستشراقية، وحدودها الموضوعية وأطرها التنظيمية تصنيفًا وفهرسة.

من حيث المنهجية، فقد اختير المنهج الوصفي التحليلي في معالجة الظواهر المبحوثة، والتوسل بالمقارنة والجدولة في عرض بياناتها والموازنة بينها.

أما مصادر المعلومات في هذه الدراسة فقد تنوعت وتعددت لتشمل مايلي:

- أدبيات الموضوع الحديثة المصطفاة من مساهمات كتاب عرب وأتراك وغربيين.
- معالجة الموضوع في نظم التصنيف وبخاصة نظام تصنيف ديوي العشري، وتصنيف مكتبة الكونجرس.
- قوائم رءوس الموضوعات العربية والإنجليزية وما متّنه صفحاتها من المصطلحات المعبرة عن المفاهيم التي تناولتها هذه الدراسة.
- التسجيلات البيليوجرافية المعدة لأعمال متعددة منشورة في حقل الدراسة.
- مراجع متنوعة ضمت معاجم وموسوعات وتراجم.
- دوريات ومقالات في مباحث الاستشراق.

أما من حيث الأهداف التي ترمي هذه الدراسة إلى تحقيقها فتتركز فيما يلي:

- عرض وتوصيف وتحليل القضايا المتصلة بالمعالجة الموضوعية والفنية لحقل الاستشراق.

- بيان أوضاع الممارسات في فهرسة وتصنيف أوعية الحقل المدروس، وأوجه الشبه فيما بينهما.
- طرح الحلول للمشكلات الفنية التي تواجهها المكتبات ومراكز المعلومات المعنية بحقل الدراسة.

محتوى الدراسة: ترتيبا على ماسبق، فإن الدراسة ستقع في المعالجات التالية:

٠١ تصنيف المعرفة الاستشراقية.

٠٢ فهرسة أوعية المعلومات المتصلة بالاستشراق والمستشرقين:

٢/١ الفهرسة الموضوعية وأطرها:

- الاطار المفهومي للاستشراق.
- الإطار الجغرافي للاستشراق.
- الإطار الزمني للاستشراق.
- الإطار المؤسساتي للاستشراق بين الغرب والشرق.
- الإطار المصطلحي.

٢/٢ فهرسة المداخل الرئيسة المتصلة بأسماء العلماء والمؤسسات الاستشراقية.

٠٣ نتائج الدراسة.

٠٤ المراجع.

وتتناول الفقرات التالية العناصر المطروحة آنفا:

٠١ تصنيف المعرفة الاستشراقية:

يثير تصنيف المعرفة الاستشراقية الكثير من الاشكاليات، ولايتوافر إلى يومنا هذا تناول شامل دقيق لمعالجة أوعية المعرفة الاستشراقية في أي نظام من أنظمة التصنيف النسقية المتداولة في مكتبات العالم [١٠]، وقد يرجع ذلك إلى النسيج البيموضوعي interdisciplinary المعقد لدراسات الاستشراق، الذي يُسْلم تصنيفها إلى النمط المجمّع Clustering mode، حيث تتآلف في نطاقه كوكبة من مفاهيم متعددة ومختلفة متمحورة حول اقليم معين أو شريحة موضوعية معينة متعلقة به، وإلى المنهجية التي لاتكاد تختلف في جوهرها في معالجة الاستشراق في نظم التصنيف الغربية التي تعتمدها مكتباتنا وغيرها، وبخاصة نظام تصنيف ديوي العشري، ونظام تصنيف مكتبة الكونجرس:

- أما في تصنيف الكونجرس فلا تجد لدراسات الاستشراق مدخلاً مباشراً، بل يحال القارئ من دراسات الاستشراق Oriental Studies إلى: الشرق الأدنى - دراسة وتعليم Near East - Study and Teaching.

وقد كشف البحث في تصنيف مباحث الاستشراق في النظام المذكور عن النسق المضطرب في معالجتها كما يتضح من البيانات التالية:

(١) تصنيف مباحث الاستشراق في نظام تصنيف مكتبة الكونجرس.

الموضوع	رقم تصنيف مكتبة الكونجرس
الشرق الأدنى - دراسة وتعليم الدراسات الاستشراقية دراسات الشرق الأدنى	DS 61.8 - .9
دراسة لغات الشرق الأدنى	PJ 601 - 9293
الشرق الأدنى - السياسة والحكم ١٩١٤ - ١٩٤٥	DS 63
الشرق الأدنى - السياسة والحكم ١٩٤٥ -	DS 63 - 63.1
المستشرقون م ع الخبراء الاقليميون	PJ 63

كما صنفت بعض الموضوعات الشرقية موزعة حسب حقولها المختلفة، مثلاً:

- الفخاريات الشرقية 4172 - NK 4143.
- المعابد الشرقية [١١] NA 5960.

توضح المعالجات السابقة عدة مضامين أهمها:

أولاً: اتصال حبل الاستشراق إلى الحقبة المعاصرة.

ثانيا: تركيز الاستشراق الأمريكي على منطقة الشرق الأوسط.

ثالثا: عناية الاستشراق الأمريكي ببحث الموضوعات الاجتماعية، وبخاصة ماتصل بالسياسة والحكم.

رابعا: التجنب الواعي والإيهامي المضلِّل لاستخدام مصطلح الاستشراق، وتغليفه بواجهة مصطلح دراسات الشرق الأدنى، ثم تناقض المعالجة لدى تبني واستخدام مصطلح: «المستشرقين» الذين يشكلون فئة من الخبراء الاقليميين وفق تنظيم قائمة رءوس موضوعات مكتبة الكونجرس

خامسا: بذل عناية ثانوية لتغطية الموضوعات غير الاجتماعية، وتنعكس هنا في تشتيتها في مواقع متباعدة وفق حقولها، دون ربطها بالرأس الأساسي المحدد لحقل الاستشراق.

– وأما نظام تصنيف ديوي العشري، كما أشرت، فقد نحا منحى النظام السابق في تجاهل مصطلح الاستشراق، وعدم تفريده برقم أو أرقام مناسبة تمثل معالجاته الموضوعية، وقد أفضى ذلك إلى إثارة التباين والاختلاف في ممارسات المكتبات في تنظيم المعرفة الاستشراقية. وقد تصدّت إدارة التصنيف والفهرسة في مكتبة الملك فهد الوطنية سبّاقةً إلى دراسة هذا الإشكال في تصنيف الاستشراق في نظام ديوي في رمضان سنة ١٤١٣هـ، واصطلح على تصنيف أوعية الاستشراق في الرقم (٢٩٥, ٣٠١)، مع أنّ هذا الرقم يشير إلى النشاطات الثقافية في الشرق، وأُشير وقتذاك إلى معالجة نظام ديوي للنشاطات الثقافية بين الشرق والغرب من خلال الرقم (٢٩١٨١٢٠٥, ٣٠١)، حيث يمثّل الرقم (٢, ٣٠١) الثقافة، بينما أضيف الرقم (٩) للمعالجة الجغرافية، لكن الرقم (١٨١٢) يرمز للغرب، والرقم (٥) للشرق، وأُوثر تصنيف الموضوعات المتخصصة المتصلة بالشرق في أرقام التصنيف المتصلة بها في إطار هذا النظام، وقد جرت المكتبة أن تصنف دراسات الاستشراق في الرقم (٣٧, ٢٧٥)، أي [التبشير]، الذي يمثل أحد الموضوعات النصهانية، بيد أنك ترى مكتبات أخرى قد صنفتها في الرقم (٤, ٢١٠) أي في حقل الاسلام، منطلقة في فلسفتها في هذه المعالجة من فهمها لهدف الاستشراق الموجه ضد الإسلام(١٢).

وبالمقارنة، نجد أن الطبعة العربية الأولى من الطبعة الحادية عشرة المختصرة من نظام تصنيف ديوي العشري قد صنفت الاستشراق في الرقم (٩٥٦)(١٣)، الذي يرمز أيضًا لتاريخ الشرق الأوسط (والأدنى)، ولكن الدراسات الاستشراقية التاريخية تتعدى الحدود الموضوعية المرمّزة في الرقم (٩٥٦)، لأنها تشمل مايلي:

(٢) «تصنيف الموضوعات التي تتناولها دراسات الاستشراق في نظام تصنيف ديوي العشري»

الموضوع	رقم التصنيف في ط١١ العربية المختصرة من نظام ديوي
– التاريخ العام لآسيا، والمشرق، والشرق الأقصى	٩٥٠
– تاريخ تركيا وقبرص	٩٥٣
– تاريخ إيران	٩٥٥
– تاريخ العرب (تاريخ الوطن العربي): ويشمل التاريخ الإسلامي، وتاريخ الجزيرة العربية، والتاريخ الحديث للدول العربية في آسيا، والحضارة الاسلامية والعربية	٩٥٦
– تاريخ شمال أفريقيا والأندلس	٩٥٦,٠٧
– تاريخ آسيا الوسطى، ويشمل تفصيلاً تاريخ:	٩٥٨
أفغانستان	٩٥٨,١
تركستان	٩٥٨,٤
تركمانستان	٩٥٨,٥
طاجيكستان	٩٥٨,٦
اوزبكستان	٩٥٨,٧
– تاريخ أندونيسيا	٩٥٩,٨
– تاريخ المغرب العربي	٩٦١
– تاريخ مصر	٩٦٢
– تاريخ السودان	٩٦٣
– تاريخ موريتانيا	٩٦٦,١
– تاريخ جيبوتي	٩٦٧,٧١
– تاريخ الصومال	٩٦٧,٧٣

– تصنيف المعرفة الاستشراقية على مستوى المكتبات:

تناول الباحث تصنيف أوعية الدراسات الاستشراقية في مكتبة الملك فهد الوطنية الغنية بها بالتحليل كحالة دراسية، وقد أسهم نظام المكتبة المحوسب في تيسير التناول والاسترجاع، وقد جرى تجميع البيانات المسترجعة في فئتين رئيسيتين:

عنوان الكتاب، ورقم التصنيف المعين له، والحقل المعرفي الذي حُدِّد عقب استعراض الموضوعات الرئيسة والمتعلقة المتمخضة عن الفهرسة الموضوعية للأوعية المحصّة، وسيسوق الباحث فيما يلي نماذج مختارة لاحصرية خدمة لأغراض التحليل والموازنة، وتجدر الإشارة إلى أن التسجيلات الببليوجرافية للكتب في هذه النماذج قد سجلت جميعا من غير استثناء رأس الموضوع: الاستشراق، وبذا فسيكون هو الحبل الموضوعي المشترك الذي يصل بينها:

(٣) «ممارسة تصنيف كتب الاستشراق : عينة للدراسة»		
عنوان الكتاب أو المجلة	رقم التصنيف المعيّن له من تصنيف ديوي العشري الطبعة ١٨ / ترجمة فؤاد اسماعيل	الحقل المعرفي
- ندوة الاعلام الإسلامي	٠٨١,٥٣١٠٥	المعرفة العامة
- مبادئ فهم التراث	٠٩١,١٢١	
- الأزهر والتغريب	٠٥١	
- المستشرق الفرنسي فانسان مونتاي : لماذا وكيف أسلمت	٠٨١,٥٣١٠٥	
- الفهرس الوصفي للمنشورات الاستشراقية	٠١٣,٢٧	
- الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين محمد اركون و ادوارد سعيد	١٩١	الفلسفة في العالم العربي
- الإسلام	٢١٠,٩	الإسلام الدراسة التاريخية والجغرافية
- القرآن الكريم : لماذا كان هدف المستشرقين ؟	٢١٠,٥	
- من التغريب إلى الأصالة . . .	٢١٠,٥	
- قضايا إسلامية معاصرة	٢١٠,٩	
- برنامج ندوة معرض كتاب الدراسات العربية والإسلامية في فرنسا	٢١٠,٦٣	
- مفتريات على الإسلام	٢١٦	الإسلام الدفاع عن الإسلام
- هزيمة الاستشراق في ملتقى الاسلام	٢١٦	
- الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي	٢١٦	
- تهافت الاستشراق الغربي	٢١٦	
- الإسلام وأزمة الغرب	٢١٩	قضايا الإصلاح
- المستشرقون والدراسات القرآنية	٢٢٩	الدراسات القرآنية
- المستشرقون والقرآن	٢٢٩,٩٠٤	
- الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين	٢٣٩	دراسات السيرة النبوية
- الرسول ﷺ في الدراسات الاستشراقية	٢٣٩	
- النبوة المحمدية ومفتريات المستشرقين	٢٤٢	النبوات
- المستشرقون والإسلام	٢٧٥,٣٧	التنصير
- المستشرقون والدراسات الإسلامية	٢٧٥,٣٧	
- المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها	٢٧٥,٣٧	
- من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر	٢٧٥,٣٧	
- أضواء على الاستشراق والمستشرقين	٢٧٥,٣٧	
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري	٢٧٥,٣٧	
- المستشرقون الناطقون بالإنجليزية	٢٧٥,٣٧	
- المستشرقون والتراث	٢٧٥,٣٧	
- الاستشراق والمستشرقون	٣٠١,٢٩٥	العلوم الاجتماعية : النشاط الثقافي في الشرق
- المستشرقون (للعقيقي)	٣٠١,٢٩٥	
- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية	٣٠١,٢٩٥	
- Edward Lane: a stuly of his life ... and British ideas of the middle East ...	301.295	

ليس الغرض من دراسة نماذج التسجيلات وتصنيفاتها وموضوعاتها التي عرضت آنفا بيان الخطأ أو الصواب في الممارسة، بل تحليل وضع التصنيف للمعرفة الاستشراقية وكشف الاشكاليات التي تحيط به، وقد أسفرت الدراسة عن النتائج التالية التي تنطبق أيضًا أيّما انطباق على ممارسات شتى المكتبات العربية التي تتعامل مع المعرفة الاستشراقية :

أولاً : تباين أرقام التصنيف المعيّنة لأوعية المعرفة الاستشراقية، وقد أوضح تحليل موضوعات أرقام تصنيف محتويات أوعية المعرفة الاستشراقية التي تمثلها التسجيلات المسجلة أنها قد صُنّفت في ستة حقول من حقول المعرفة العشرة الأساسية في نظام تصنيف ديوي، وهي :

- المعرفة العامة.
- الفلسفة.
- الديانات.
- العلوم الاجتماعية.
- الفنون.
- التاريخ والتراجم.

ثانيًا : تأثر تحديد أرقام تصنيف أوعية المعرفة الاستشراقية بخلفية المصنف المعرفية واتجاهاته الفكرية ووجهةُ نظره الذاتية، فالذي فهم المعرفة الاستشراقية بوصفها تجسيدا للنشاط

الحقل المعرفي	رقم التصنيف المعيّن له من تصنيف ديوي العشري الطبعة ١٨ / ترجمة فؤاد اسماعيل	عنوان الكتاب أو المجلة
المرأة	305.486971	Women and gender in Islam : historical roots of modern debate -
التربية	٣٧٩,٥٦	- المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي
الفنون	759.2	From Surrealism to Orientalism -
التراجم	٩٢٨,١	- أدباء العرب بقلم المستشرقين
	٩٢٨,٤٣	- المستشرقون الألمان
التاريخ	٩٥٣	- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية
	954.9205	Bailey, D. We live in Bangladesh -
	956	The Arab Review -
	956.940049274	Mourning in Bethlehem: impact of the Gulf War on Palestinian Society. -

الثقافي أو الثقافة في الشرق صنّف أوعيتها في الرقم (٣٠١,٢٩٥)، والذي فهمها بوصفها مجالاً للنشاطات والتبادلات الثقافية بين الشرق والغرب صنّفها في (٣٠١,٢٩١٨١٢٠٥)، والذي فهمها بوصفها نشاطًا تنصيريا صنّفها في (٢٧٥,٣٧)، والذي نظر إلى المعرفة الاستشراقية من حيث دوافعها وأغراضها وعدائها للاسلام صنّفها في ٢١٠,٩ أوغيره، كما أن الذي تناولها من وجهة فلسفية قد صنفها في (١٩١)، . . .

ثالثًا: عدم تفريد المعرفة الاستشراقية برقم تصنيف واحد، والاتجاه لتوزيع تصنيفها موضوعيا حسب محاور المعالجة، فَصُنِّفت الدراسات القرآنية في (٢٢٩)، وصُنِّفت دراسات السيرة النبوية في (٢٣٩)، . . .

- تصنيف المعرفة الاستشراقية من وجهة نظر الممارسين:

وزُّعت استبانة على عينة قصدية من الممارسين في مكتبة الملك فهد الوطنية للتعرف على وجهات نظرهم في تصنيف المعرفة الاستشراقية وبيان مدى التوافق بينها وبين الممارسة التي تتبناها المكتبة في هذا المجال، وقد سجل خمسة من الممارسين البيانات المطلوبة التي نعرضها في الإطار المجدول الآتي:

(٤) «من وجهات نظر الممارسين في تصنيف الاستشراق وفق نظام ديوي»

الممارسون	الخلفية المعرفية المهيمنة لدى الممارس	رقم / أرقام التصنيف المقترحة	حدود استخدام الرقم المقترح كما وضعها الممارس
الأول	الثقافة الإسلامية	٢١٤,٩	المعالجة التاريخية والجغرافية للثقافة الإسلامية
		٢١٩,٩	الغزو الفكري
الثاني	الثقافة الإسلامية	٢٧٥,٣٧	——
الثالث	التاريخ الإسلامي	٣٠١,٢٩٥	المعالجة العامة للموضوع
الرابع	المكتبات والمعلومات	٢١٦	معالجة أراء المستشرقين والرد عليهم
		٣٠١,٢٩٥	عرض أراء المستشرقين وأفكارهم
الخامس	الأداب	٣٠٣,٤٨٢	معالجة الاتصال الثقافي
		٩٥٣,٠٠٤	التاريخ العربي الاسلامي
		٢١٦	دفع المطاعن عن الاسلام

ويُبرز لنا الجدول أن هناك تسعة أرقام تصنيف مقترحة للمعرفة الاستشراقية، ثلاثة منها لم تستخدم قطّ في نماذج تسجيلات أوعية المعرفة الاستشراقية الواردة سابقًا، ويعطى ثلاثة من الممارسين أكثر من رقم للموضوع المدروس،

ولابأس في وجود الاختلاف المتمثل في غياب الاصطلاح على استخدام رقم تصنيف موحّد تلتقي فيه ممارسات المكتبة مع وجهات النظر الشخصية للممارسين، لأن تباين وجهتي نظر الجهتين أمر طبيعي، ومن البديهي أن تعتمد المكتبة ماتراه مناسبا أكثر في هذا الصدد، وليس من المُلزِم أن تندغم وجهة نظر المفهرس في سياسة المكتبة التصنيفية، رغم التزامه المطلق بتنفيذها من جهة، وتقديم المشورة حول تطويرها إذا كان ذلك ممكنا، من جهة أخرى.

وبعدُ، فقد لاحظنا اختلاف الممارسات بل ووجهات نظر الممارسين داخل المكتبة الواحدة في تصنيف المعرفة الاستشراقية، ومن هنا فلا غرو أن نجد هذا الاختلاف بين المكتبات المتنوعة في هذا المجال، وقد تأكد لنا هذا الأمر عقب مقابلة أجراها الباحث مع مجموعة من الممارسين من مكتبات ومؤسسات سعودية متنوعة في بداية ربيع الثاني ١٤١٥هـ، ويعرض الجدول الآتي أرقام تصنيف المعرفة الاستشراقية في المكتبات . . . التي ينتمون إليها :

(٥) «من ممارسات المكتبات في تصنيف الاستشراق وفق نظام ديوي»

المكتبة / المؤسسة	رقم التصنيف المستخدم كما ذكره القابلون	مبرر استخدامه
مكتبة جامعة الملك سعود	٩٥٠,٠٠٧ تصنيف الموضوعات الأخرى حسب موقعها في النظام	لدراسة الشرق
مكتبة الملك عبدالعزيز العامة	٩٥٠,٠٧	
مكتبة كلية الملك خالد العسكرية	٩٥٦	
وكالة الرئاسة العامة لكليات البنات، إدارة المكتبات	٩٥٦	

- نحو تطوير تصنيف المعرفة الاستشراقية :

أ - توضح أدبيات الموضوع وجود الاتجاهات التالية في تصنيف المعرفة الاستشراقية :

أولاً : تصنيف المعالجة العامة للاستشراق في رقم محدد كما سبق ذكره، أي موضوعياً .

ثانيًا : التصنيف الجغرافي للاستشراق، ومن أحدث الكتابات حول هذا الاتجاه ما نشره (د. ر. كاليا Kalia) سنة ١٩٨٨ بعنوان: **جداول تصنيف الدراسات الإقليمية *،** مستهدفًا تجميع المواد المنشورة حول إقليم أو قطر معين، بإضافة رقم ديوي الخاص به إلى رقم تصنيف الموضوع الذي يعالجه، مما يفضي إلى وضع الأوعية المتعلقة بالمكان متقاربة معا، الأمر الذي يخدم الباحث وسرعة تصفح المقتنيات التي تهمّه، ولما كان تطور نظام ديوي قد امتد عبر قرن من الزمان، فقد جاء نسق إضافة الدول المستقلة الجديدة إلى جداوله الجغرافية غير منطقي في حالات كثيرة مما حدا (بكاليا) إلى استحداث جداول جغرافية للتطبيق في المعالجة التصنيفية للمعرفة الاستشراقية والإقليمية، فقسم العالم إلى قارات: أفريقيا، وأمريكا، وآسيا، وأوربا، وجاءت جداول التصنيف الجغرافي عنده متوافقة مع نظام هيئة الأمم المتحدة في التقسيمات الجغرافية للعالم، وقسمت أفريقيا مثلاً إلى خمسة أقسام ضمت وسطها، وشرقها، وغربها، وجنوبها وشمالها، بينما قسمت آسيا إلى خمسة مناطق ضمت شرق اسيا، ومنطقة المحيط الهادي، وجنوب آسيا، وجنوب شرق آسيا، وغرب آسيا، وعوملت أفغانستان بوصفها جزءا من جنوب آسيا، وإيران جزءا من غرب آسيا .

ولتوضيح منحى (كاليا) في تصنيف المعرفة الاستشراقية والإقليمية أقول أنه يصنّف، على سبيل المثال، الأوعية عن الإسلام في موقعه في حقل الديانات، بيد أنه يصنّف الأوعية التي تدور محتوياتها حول المسلمين في إقليم أو قطر معين في الحقل المخصص للمعرفة الاستشراقية والإقليمية، وقد أولى (كاليا) موضوع الفلسفة عناية خاصة فوضع الأوعية التي تعالج محتوياتها الموضوعات الفلسفية في حقل الفلسفة، وكذلك الفلسفة في إقليم معين، لأنه اعتبر الفكر الفلسفي كلاً لا يتجزأ، وأن اجتماعه يخدم الباحث(١١) أكثر .

ب - نحو تطوير كفاية تصنيف المعرفة الاستشراقية :

١ - ينبغي التمييز بين الأوعية التي تمثل المعرفة الاستشراقية فيها موضوعًا ككتاب أدوارد سعيد عن: **الاستشراق** من جهة، والأوعية التي يعدّها المستشرقون من جهة أخرى، مع أن محتوى الصنف الأول من الأوعية

وتحليلاته وتوصيفاته معتمد على مشتملات الأوعية في الصنف الثاني.

٢ - إذا سلّمنا بمنطوق المقولة السابقة، فإن ذلك سيقودنا إلى نتيجة مهمة وهي: ضرورة تخصيص رقم مناسب لتصنيف المعرفة الاستشراقية، وأفضل موقع لهذا الرقم هو حقل العلوم الاجتماعية، لأن نسيج المعرفة الاستشراقية قد تآلفت فيه العناصر الثقافية - الاجتماعية - الانثربولوجية - السياسية الموجّهة لخدمة أغراض متعددة ومختلفة أتت عليها كتب الاستشراق بالتفصيل مما يجعل الكتابة حولها كلامًا مكررًا لا رادّة فيه.

٣ - أما بالنسبة للأوعية التي كتبها أو يكتبها علماء الاستشراق بغض النظر عن المسميات التي يتخذونها فأرى أن تُصنَّف في موضوعاتها، مثلاً:

(٦) «تصنيف كتابات المستشرقين وفق موضوعاتها»

عنوان الكتاب الذي أعده مستشرق	الموضوع الذي يصف محتوى الكتاب له
دراسات إسلامية	الإسلام
أدباء العرب بقلم المستشرقين	الأدب العربي
اللغة العربية	اللغة العربية
تاريخ الدول الإسلامية	التاريخ الإسلامي
المرأة العربية	علم الاجتماع
اللهجة العامة المصرية	اللغة العربية
مكّة	التاريخ
اللغة السريانية	اللغة السريانية
ابن رشد	الفلسفة الإسلامية

٠٢ فهرسة أوعية المعلومات المتصلة بالاستشراق

ستتناول تحت هذا العنوان جوانب الفهرسة ** المتعلقة التالية:

٢/١ - الفهرسة الموضوعية وأطرها:

- الإطار المفهومي للاستشراق:

عُبِّر عن الاستشراق بصور شتى وغامضة أحيانًا، مما قاد بعض الكُتّاب الذين تطرقوا إليه إلى القول بأن «الاستشراق مفهوم غير واضح المعالم . . . وليس هناك تحديد واضح لمفهوم الاستشراق . . . وتعتمد قوة الحديث عنه على منطلقات المتحدث، ونجد أن المنطلقات متعددة متفاوته»(١٥).

لقد شمل الاستشراق في البدايات الشرق بكامله، أي آسيا، وكان هدفه الرئيسي دراسة الأديان في الشرق، واحتلت دراسة التاريخ والمجتمع في هذه المنطقة من العالم موقعًا تاليًا، ثم ظهرت أخيراً الدراسات الإسلامية كنظام ديني - ثقافي شامل، إلى جانب دراسة الأنظمة الدينية الأخرى، لكن دراسة الأديان في آسيا التزمت بمنهجية البحث في الدراسات الدينية ومفاهيمها، بينما اتخذ المدخل إلى دراسة الإسلام طابعًا مغايراً مرتبطًا بأغراض سياسية بيِّنة، ومصطبغًا بالتحيزات النصرانية تجاه الإسلام مما يسود الفكر الغربي منذ قرون.

وتطورت دراسات الاستشراق في اتجاهين عامّين، أحدهما تاريخي، والآخر ديني فلسفي، وشكّلت الدراسة في الاتجاه الأول تخصصًا متكاملاً، مثله مثل التخصص الديني، مع أن الدراسة في أحدهما تستمد من الدراسة في التخصص الآخر، وتفرعت الدراسات، وتُوضّح المجالات الموضوعية التالية التي تنضوي تحتها بحوث أحد مؤتمرات المستشرقين في اكسفورد(١٦) مدى هذا التفرع:

الدراسات المصرية القديمة (المصريّات)، آثار الشرق الأدنى والعهد القديم، الدراسات السامية ***، الدراسات الإسلامية (اللغة والأدب والتاريخ والفن)، التركيات، الإيرانيات، دراسات القوقاز، الدراسات الهندية ودراسات آسيا الوسطى، وآسيا الشرقية، وجنوب شرق آسيا، والدراسات الأفريقية . . .

وقد أخذت دراسات الاستشراق تركز على الشرق العربي الإسلامي والمستجدات فيه، ويقول (بريان س. تيرنر Bryan S. Turner) أن معالجة إدوارد سعيد الفذّة للاستشراق قد أثارت كتابات عديدة حوله، وأعقبتها تحديدات أحدث لمفهوم الاستشراق على أنه حقل بموضوعي من الدراسات الأكاديمية المرتبطة غالبًا بالجامعات الغربية، والمعنية بالمجتمعات الشرقية وثقافاتها(١٧) ويرى «كمال كربات» أن مفهوم الاستشراق في الدراسات الأمريكية المعاصرة قد غدا يشمل الدراسات العربية، والتركية، والإيرانية، ودراسات فرعية أخرى عبرانية ويهودية وإسرائيلية وغيرها مما يتناول الأعراق الأخرى في الشرق.

إن قراب ٦٠٪ من برامج دراسات الاستشراق مكوّنة من مساقات دراسية لتاريخ وسياسة المنطقة، بينما تعالج المساقات الباقية اللغة (نحو ٢٠٪)، بالإضافة إلى علم الاجتماع، وعلم الانسان، الخ للشرق الأوسط، وبخاصة البلاد العربية (١٨).

إن غياب الأدب والموقف الضعيف للألسنية في دراسات الاستشراق الأمريكية المعاصرة للشرق الأدنى دليل على شذوذية سلوكية جديدة في الاستشراق، ذلك أنه ليس ثمة إلا القليل فيما يقوم به الآن الخبراء الجامعيون المعنيون بدراسة الشرق الأدنى مما يشبه الاستشراق التقليدي الذي انتهى مع (جب، وماسينيون) (١٩).

ويتضح مما سبق أن خارطة مفهوم الاستشراق لم تكن خطوطها ثابتة، بل اتسمت بالحركية، وتراوحت مساحة المفهوم بين الارتحاب والاقتصار سواء على مستوى الطروحات الموضوعية أو التغطيات الجغرافية للدراسات الاستشراقية، بيد أن من الممكن أن نستخلص من عرضنا السابق الخصائص البارزة التالية لمفهوم الاستشراق:

٠١ الخصيصة الاجتماعية التي يصطبغ بها حقل دراسته.
٠٢ التركيز على منطقة الشرق الإسلامي.
٠٣ التحوّل والتبدل المصطلحي للتعبير عن مفهوم الاستشراق على نحو لا يثير المواجهة بإتخاذ مصطلح دراسات الشرق الأوسط، أو الدراسات الإسلامية أو الدراسات العربية . . .
٠٤ التشكيل الذرائعي لمفهوم الاستشراق خدمة لأغراض الغرب . . . السياسية والعسكرية والاقتصادية . .

وتساند نتائج تحليلنا السابق وجهة النظر المطروحة آنفًا إزاء الموقع الحقلي لتصنيف المعرفة الاستشراقية.

– الإطار الجغرافي للاستشراق:

أُشيرَ سابقًا إلى الحركية التي تَسِمُ تخومَ دراسات الاستشراق، حيث بدأت متناولة الشرق بكامله، منطقة وشعوبًا وثقافات، ولغات، وديانات وتاريخًا وحكمًا . . . ، ويشمل «الشرق» وفق تحديد قائمة رءوس موضوعات مكتبة الكونجرس (ص ٣١٨٠) ما يلي: جنوب شرق آسيا، وشرق آسيا، والمشرق اللاتيني، والشرق الأوسط، وجنوب آسيا، ثم كان الاتجاه لتركيز المعالجة على الشرق الإسلامي، أو بتحديد أدق، الشرق الأوسط، ونأمل أن يُساعد تناول تحديد النطاق الجغرافي لدراسات الاستشراق المفهرس في معالجته للتقسيمات الجغرافية للموضوعات الاستشراقية.

استُخدم مصطلح «الشرق الأوسط» لأول مرة سنة ١٩٠٢ لدى مناقشة الاستراتيجية الاستعمارية البريطانية، والإشارة إلى المداخل الغربية والشمالية للهند، ولكن الاستخدام الحالي له قد تبلور خلال الحرب العالمية الثانية، حيث استخدمه الحلفاء لتغطية المنطقة الممتدة من جنوب آسيا إلى شمال أفريقيا، ويشمل الأقطار العربية في آسيا بما فيها سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، والعراق، وأقطار الجزيرة العربية: السعودية، والبحرين، وقطر، والكويت، وعمان، والإمارات العربية المتحدة، واليمن، بالإضافة إلى الأقطار العربية في أفريقيا: مصر وبلدان شمال أفريقيا، كما يضاف إليها تركيا وإيران، وكذلك الدول الإسلامية المستقلة في وسط آسيا (٢٠).

ويضيف إليها: التقويم العالمي ١٩٩١: جيبوتي والصومال (٢١)، وتعتبرُ: قائمة رءوس موضوعات مكتبة الكونجرس دول المشرق اللاتينية Latin orient جزءا من الشرق الأوسط (٢٢).

كما تضمّ إليها: الموسوعة العربية الميسرة قبرص، والسودان (٢٣)، ولم تتشابه حدود التغطية الجغرافية لمصطلح «الشرق الأوسط» في قوائم رءوس الموضوعات والمكانز العربية كما تشير البيانات المجدولة التالية، التي تبين أن بعضها قد قصر تغطية المصطلح على أقطار المشرق العربي (٢٤)، وبعضها قد أضاف أيضًا الباكستان ودول شمال أفريقيا (٢٥)؛ كما أغفل بعضها الآخر تفصيل التغطية الجغرافية مبقيًا على غموض المصطلح.

(٧) «حدود مفهوم «الشرق الأوسط» في قوائم رءوس الموضوعات والمكانز العربية»	
المصدر	التغطية الجغرافية لمصطلح «الشرق الأوسط»
قائمة رؤوس الموضوعات العربية . ط٣ . الرياض: معهد الإدارة العامة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص١٩٣	بلاد الشام الجزيرة العربية
قائمة رؤوس الموضوعات المالية والاقتصادية . الرياض: مركز المعلومات المالية والاقتصادية، ١٤١١ / ١٩٩١، ص٣٨٧ .	البلاد الواقعة في غرب آسيا إلى شمال شرق أفريقيا واليونان والباكستان
قائمة رؤوس الموضوعات العربية . ط٣ / ابراهيم الخزندار . الكويت: دار البحوث العلمية، ١٩٨٣م، ص٤٠٤ .	أقطار الشرق الأدنى (لم تحدد)
قائمة رؤوس الموضوعات العربية الكبرى / شعبان خليفة، محمد عوض العايدي . الرياض: دار المريخ، ١٤١٥ / ١٩٨٥ ، مج٢، ص٧٦٠ .	أقطار الشرق الأدنى (لم تحدد)
مكنز الجامعة . تونس: جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، مركز التوثيق والمعلومات، ١٩٨٧ ، مج١ ، ص٣٤٤ .	أقطار المشرق العربي: الامارات العربية المتحدة، البحرين، السعودية، سوريا، العراق، عمان، فلسطين، قطر، الكويت، لبنان، مصر، اليمن.
رؤوس الموضوعات العربية . الرياض: جامعة الملك سعود، ١٣٩٨ / ١٩٧٨، ص٣٤٢ .	أقطار الشرق الأدنى (لم تحدد)

وخلاصة القول في تحديد التغطية الجغرافية لمفهوم المصطلح: **«الشرق الأوسط»**، أن مصادر كثيرة تتفق على شموله للبلاد العربية في المشرق، والمغرب العربي، بالإضافة إلى تركيا بل وإيران أيضًا.

وحقيقة الأمر أن وجود المصطلح في أدبياتنا ومؤسساتنا واستخدامنا له يقدم دليلاً على تأثير الدراسات والأغراض الاستشراقية على تفكيرنا ومعالجتنا فيما يتصل واستخدام هذا المصطلح المُصنَّع في الغرب، لخدمة أغراض الغرب، ومن الخير لنا أن نستخدم مثلاً المشرق العربي، والمغرب العربي، والوطن العربي، والعالم الإسلامي. وغير ذلك مما يخدم باحثينا وعلمائنا ووحدتنا وقوتنا . . .

- الإطار الزمني للاستشراق :

يُعالج هذا الإطار خدمةً للتحليل الموضوعي وتحديد التقسيمات الزمنية أو التاريخية في معالجة رءوس الموضوعات المستخدمة في الفهرسة الموضوعية للمعرفة الاستشراقية.

وقد عالج مادة هذا الإطار «علي النملة»، وخرج من دراسته المسهبة بأن «ليس هناك تحديد واضح ودقيق لنشأة الاستشراق»، كتماس مع علوم الأمم الشرقية وثقافاتها وعقائدها وآدابها وعاداتها وتقاليدها، وقد تناول أحد عشر رأيًا حول بدايات الاستشراق، بعضها يحدد تاريخًا بعينه، وبعضها الآخر يقدم عصرا من العصور التاريخية في حياة الشرق، وأغفل البعض المتبقي تحديد تاريخ الاستشراق، مجتزئاً بربط ظهوره بوقائع وغايات سعي الاستشراق إلى تحقيقها فوسمت بداهته، ويميل الباحث المذكور إلى تأريخ «بدء الاستشراق . . . من الأندلس في القرن الثامن الميلادي، حيث اختلط غير المسلمين من أوربا بالمسلمين في الأندلس اختلاطًا علميا شجعه كثرة الجامعات ودور العلم وكثرة البعثات الأوروبية إلى مدارس الأندلس، ورجوع هذه البعثات متأثرة بالثقافة الإسلامية ناقلة معها المنهج العلمي، منبهة المسؤولين هناك بأهمية مضارعة هذه النهضة العلمية» [٢٦]، غير أنني أرجع بدايات الاستشراق العلمي الموجه في بدايات القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري، حيث عقد مؤتمر مجمع (فينّا) الكنسي سنة ٧١٢هـ/ ١٣١١ - ١٣١٢م، وأوصى بتأسيس أقسام للدراسات العبرية والعربية والسريانية في روما على نفقة الفاتيكان، وفي باريس، وأكسفورد، وفي بولونيا، فنشأت تلك الأقسام ورعت الدراسات الاستشراقية، وقد نشطت في الحقبة الموطئة للاستعمار وواكبته وساندته وأمدته بالمعرفة الاجتماعية والنفسية والدينية والسياسية والعسكرية لتمكينه من الهيمنة والغلبة وبخاصة منذ القرن الثامن عشر، لذلك لم يكن اختراق الغرب للشرق أمرًا مفاجئاً في القرن التاسع عشر، بل تقدّمته سنوات من الدراسة الباحثة، ويؤكد إدوارد سعيد الازدهار التاريخي للدراسات الاستشراقية في الفترة الممتدة بين ثمانينات القرن التاسع عشر وسنوات ما بين الحربين العالميتين وما بعدها [٢٧]، وأصبح المسلم العربي يولى اهتمامًا جادًا في العالم الجامعي، وعالم مخططي السياسة، وعالم الأعمال من جانب «الخبير الإقليمي» كما يسمي المستشرق نفسه الآن. لقد أصبح الشرق بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة لا مسألة شاملة عريضة كما كان قد مُثّل في أوربا لقرون بل مسألة إدارة، قضية

للمعالجة السياسية، شريحة اجتماعية، تخضع لمعالجة الخبير الإقليمي الذي يطّرح جانبا وظاهريًا وشاح الاستشراق !

وقد تشكلت الجدلية المعاصرة حول الاستشراق عقب صدور كتاب إدوارد سعيد عن الاستشراق سنة ١٩٧٨ .

- **الإطار المؤسساتي للاستشراق بين الغرب والشرق :**

- ارتبطت دراسات الاستشراق - كما أسلفنا - بوثاقة ووضوح بالمؤسسات الأكاديمية والكنسية والسياسية والعسكرية في الغرب، وتكثر هذه المؤسسات في الولايات المتحدة في وقتنا الحاضر، وقد أورد **«دليل الدراسات الشرقأوسطية في الولايات المتحدة وكندا» (١٩٨٥)** مائة وأربع وعشرين مؤسسة أمريكية، وستة مؤسسات كندية تقدم برامج دراسية عن الشرق الأوسط، بينما تقدم المؤسسات في بقية أقطار العالم ما مجموعه أربعة وخمسين برنامجًا عن الشرق الأوسط، كثير منها في أوربا .

- وتتوافر معاهد ومؤسسات لدراسات الاستشراق في الهند واليابان والصين وفي استراليا .

- ولا تعتبر معاهد الدراسات الشرقأوسطية في بعض الأقطار العربية (كمعهد دراسات الشرق الأوسط في جامعة عين شمس، القاهرة)، معاهد استشراقية لاختلافها عن المؤسسات الاستشراقية الغربية بحثًا ودافعًا وغرضًا .

من هنا كان على المفهرس أن يدرك أبعاد المعالجة الملائمة والصحيحة لواقع هذه المؤسسات وأغراضها ومراميها، والتعبير بدقة قصوى عن هذه المؤسسات واهتماماتها الموضوعية وتوزعاتها الجغرافية، باستخدام الواصفات أو رءوس الموضوعات والتفريعات الملائمة .

- **الإطار المصطلحي :**

تفتقر المكانز وقوائم رءوس الموضوعات العربية والإنجليزية إلى التغطية الملائمة للمصطلحات التي تتمحور حولها المفاهيم التي تعالجها المعرفة الاستشراقية، بل وفي طرح مصطلح الاستشراق ومجاله كما يدل الجدول التالي، وإن أي جهد مبذول لمواجهة هذا الخلل ينبغي أن يسفر عن إثراء مجزيء: للواصفات و / أو رءوس الموضوعات التي سيساهم استخدامها في رفع معدل الاسترجاعية والدقة الموضوعية فيما يتم الحصول عليه من المنشورات حول أحد مباحث الاستشراق، ويتطلب الأمر تغطية ما يأتي :

١ - المصطلحات المستولدة من دراسات الاستشراق مثل: الاستبناء، الشّرقنة، الاستشراق الظاهر، الاستشراق الكامن، الدراسة الإقليمية، العلوم الاجتماعية، المعاصرة، الاستغراب، الشرق اللغزي، العالمية، الأصولية، الاستشراق الجامعي، الاستشراق الإسلامي، العلمنة، الدراسات العربية/ الاستعراب .

٢ - المفاهيم الاجتماعية والسياسية والانثربولوجية ذات الصلة بالاستشراق .

٣ - الديانات والسلالات والأعراق واللغات واللهجات والحضارات . . . الشرقية .

٤ - أسماء الدول والمناطق والمدن . . . المبحوثة في الاستشراق.

٥ - أسماء الأشخاص والمؤسسات الاستشراقية التي تكون موضوعات لمعالجات دراسات الاستشراق .

٦ - عناوين الأعمال الاستشراقية المهمة من كتب ومعاجم وأدلة وكشافات وببليوجرافيات ومجلات متخصصة .

(٨) «طرح مصطلح الاستشراق في قوائم رءوس الموضوعات والمكانز»

المصادر	مفهوم دراسة الاستشراق ومصطلحه
Library of Congress. Subject headings, 14th ed. Washington, D.C. : LC, 1991, p. 2814 .	الدراسات الشرقأوسطية Middle East-Stuly and teaching Near East / Eastern studies Oriental studies
Sears list of Subject headings. 13th ed. New York : Wilson, 1986, p. 465 .	الاستشراق : دراسة الفنون واللغات والقوانين والآداب والفلسفة الشرقية Orientalism Oriental Studies
قائمة رؤوس الموضوعات العربية . الرياض: معهد الإدارة العامة، ١٤١٣/ ١٩٩٣، ص٣٨	الاستشراق : يشمل دراسة الثقافة والحضارة الإسلامية
قائمة رؤوس الموضوعات العربية الكبرى/ شعبان عبدالعزيز خليفة، ومحمد عوض العايدي . الرياض : دار المريخ، ١٤٠٥ / ١٩٨٥، مج١، ص١٦٤	الاستشراق والمستشرقون (لم يحدد المفهوم)
مكنز الجامعة : تونس : جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، مركز التوثيق والمعلومات، ١٩٨٧، ص١٤٢ .	الاستشراق (لم يحدد المفهوم)

٢/٢ . فهرسة المداخل الرئيسة المتصلة بأسماء العلماء والمؤسسات الاستشراقية :

يعتور الاختلاف تسجيل أسماء الأشخاص والمؤسسات المتصلة بالاستشراق، مما يعيق الاسترجاع ويؤثر فيه سلبًا، فكانت سياسة الزركلي في الأعلام أن يكتب أسماء المستشرقين كما ينطق بها أهلها على الأغلب، وأسهمت الإحالة إليها في مظانّ وجودها في تذليل عقبة اختلاف النطق بين أمة وأخرى للاسم الواحد، فهناك مثلاً «Ignac» ، حيث يلفظ بالفرنسية «إينياس»، وبالألمانية «إغناتس Ignaz»، وكان المستشرق المجري «غولد تسيهر» يكتب اسمه بالعربية: «إجناس كولد صهر»، وكتبه غيره «إغناطيوس»، و «إيغناز»، وهو بالإيطالية «Ignazio»، ويلفظه الإيطاليون «إينياتسيو»، وكان المستشرق الإيطالي «جويدي» يكتب اسمه «إغناطيوس»، وكتبه مرةً «إغنازيو»، وقد يكون المسمى إنكليزيًا : «Charles»، فيلفظه الانكليز «تشارلس»، ويجعله من يأخذه عن الفرنسية «شارل»، وعن الإسبانية «كارلوس»، وعن الإيطالية «كارل»، أو يكون ألمانيا «Wilhelm»، فيلفظه الألمان «فلهلم»، وكثير منهم يلفظونه «ڤيلم»، والهولنديون «ڤيلم»، والسويديون «Vilhelm» أي «ڤلهلم»، ويحوله الفرنسيون إلى «غيوم» «Guillaume»، فينقل عنهم إلى العربية «غليوم»، وشوهد في مخطوطة عربية من القرن السادس للهجرة «كليام»، وكتبه ابن جبير «غليام»، ويقابله عند الانكليز «William»، ويكتبهُ النقلة اليوم «وليم، وويليام، ووليام»، وفي المستشرقين من عَرَّب اسمه ولم يتقيد بما ينطق به في لغته مثل المستشرق «Freitz Krenkow» الذي تَسَمَّى بسالم الكرنكوي، و «Joseph Hammer Purgstall» الذي تسمى «يوسف حامر». ويضيق المرء ذرعًا بانتساخ الحرف «G»، أهو إلى الجيم في «جويدي»، أم الغين في «غوردون»، أم الكاف في «انكليزي» (٢٨) .

ولإدراك جسامة مشكلة اختلاف كتابة أسماء المستشرقين، فسأسوق الأمثلة المجدولة التالية المأخوذة من عدة مصادر .

(٩) «اختلاف صور تعريب أسماء المستشرقين»

المصدر	صور كتابة الاسم
المستشرقون / نجيب العقيقي	ديتريشي ، فردريخ (ص ١٣٩٢)
الموسوعة العربية الميسرة	ديتريش ، فريدريش (ص٨٢٩)
المستشرقون/ نجيب العقيقي	كراتشكوفسكي، إينياس (ص١٤٠٤)
الموسوعة العربية الميسرة	كراتشكوفسكي ، اجناتيوس يوليانوفتش (ص١٤٤٥)
المستشرقون/ نجيب العقيقي	كراوس ، بول (ص١٤٠٤)
الموسوعة العربية الميسرة	كراوس ، پول (ص١٤٤٧)
مصادر المعلومات عن الاستشراق . . ./علي النملة	بيكر ، كارل هينرش (ص١٢)
المستشرقون / نجيب العقيقي	بيكر ، كارل هنريخ (ص١٣٨٧)
مصادر المعلومات عن الاستشراق . . ./علي النملة	ماير (ص٩٨)
المستشرقون / نجيب العقيقي	مايار (ص١٤٠٩)
مستشرقون . . . / نذير حمدان	باسيه ، رينه (ص١٢٠)
المستشرقون / نجيب العقيقي	باسه ، رينه (١٣٨٣)

وتقتضي معالجة هذا التباين في تعريب أسماء المستشرقين (أي انتساخها أو نقحرتها إلى الحروف العربية) الرجوع إلى ما يلي :

أولاً : قوائم أسماء المستشرقين بالصيغ الأشهر تداولاً في كتب التراجم والاستشراق ككتاب: المستشرقون/ لنجيب عقيقي، وموسوعة المستشرقين/ لعبدالرحمن بدوي، والأعلام/ لخير الدين الزركلي ومستشرقون، سياسيون، جامعيون/ لنذير حمدان . . . ، حيث اكتظت ملاحق بعض هذه الكتب بأسماء المستشرقين، وقوائم الجامعات والمؤسسات والجمعيات والمعاهد الاستشراقية .

ثانيًا : جداول الانتساخ أو النقحرة من الحروف اللاتينية إلى العربية ، ونورد منها طريقتين مقبولتين إحداهما للبستاني في موسوعته ، والأخرى لمحمود أتيم في ترجمته لقواعد الفهرسة الأنجلو أميركية :

(١٠) ما يقابل الحروف الأفرنجية من العربية

a	أ . ـَ . ا	g	ج . غ	o	أ . أو . وُ . ُ	u	أ . أو . و . ُ
b	ب	h	هـ . ـ	p	پ . ب	v	ڤ . ف . و
c	ق . ك . س . ش	i	إي . ي . ـِ	qu	ك	w	و
ch	ش . ك . خ	j	ج . ي	r	ر	y	اي . ي . ـِ
d	د . ذ	k	ك . ق	s	س	z	ز
e	إ . ـِ	l	ل	sh	ش	zz	تس . زْ
é, ée	إي . ي . .	m	م	t	ت		
f	ف	n	ن	th.	ث		

(٢٩)

[٢]	(١١) التقحرة	

هـ . ١ . قاعدة عامة

صوّر الحروف الإنجليزية بالحروف العربية على أساس الصوت الذي يلفظ به الحرف في الكلمة وليس كحرف بمفرده

لا تصور الحروف التي تكتب ولا تلفظ

هـ . ٢ . اصوات الحروف .

مع مراعاة الأمثلة والقواعد ادناه صور الحروف الإنجليزية على النحو التالي :

A	a	ء (همـزة) ، ا ، ي
Au	au	و
B	b	ب
C (1)	c	ك ، س
CH	ch	تش ، ك ، خ
D	d	د
E	e	ء (اول الكلمة) ، ـِـ ، ي
ee, ie		يَ
G	g	ج ، غ
H	h	هـ
I	i	ءَ(أول الكلمـــة) ، آي ، ـِـ ، ي
J	j	ج
K	k	ك
K	kh	خ
L	l	ل
M	m	م
N	n	ن
O	o	و
P	p	ب
PH	ph	ف
Q	q	ك ، ق
R	r	ر
S	s	س ، ز
SH, SCH	sh, sch	ش
T	t	ت
TH	th	ث ، ذ ، ط
U	u	و ، ي ـُـ ، ء أحيانا (في أول الكلمة)
V	v	ف
W	w	وَ ، وُ ، وِ
X	x	كس ، زَ
Y	y	ي ، يَ ، يُ ، يِ
Z	z	ز

هـ . ٣ . الحروف العربية الدخيلة .

هـ . ٣أ . الحروف المغربية

لأغراض التقحرة لا تستخدم الحروف المغربية التالية محافظة على التوحيد في قواعد التقحرة :

ف	بدل	ف
ف	بدل	ق
ق	بدل	غ اوج المصـــرية

هـ . ٣ب . الحروف الخاصة بالعراق ومصر

لا تعتمد الحروف التالية المستخدمة في العراق ومصر :

ج اوج	بدل	تـش
ك	بدل	ج المصـرية
ج المصـرية	بدل	غ

(٣٠)

نتائج الدراسة

تمخضت دراسة القضايا المطروحة في الفقرات السابقة عن نتائج مفيدة تمس ما يلي :

١ . إبراز إشكاليات تصنيف المعرفة الاستشراقية ومظاهرها وعواملها ، واقتراح مداخل للمعالجة .

٢ . تحليل أهم أُطُر الفهرسة الموضوعية للمعرفة الاستشراقية .

٣ . معالجة الاستنادية في تسجيل أسماء المستشرقين والمؤسسات . . . الاستشراقية ، وطرح حلول ملائمة لمشكلة تباين صور تعريب هذه الأسماء .

٤ . مناقشة الجانب المعرفي التنظيمي للمعرفة الاستشراقية وايضاح سماتها .

المراجع والهوامش

* التركيز على الفهرسة الموضوعية .

** تتضمن الدراسات الاستشراقية .

*** تشمل البابليات والآشوريات والعبرانيات .

١ - Cognitive paradigms in Knowledge representation. - Bangalore : SRELC, 1992, p.95 .

٢ - Ibid, p. 335 .

٣ - Ibid, p. 395 - 399 .

٤ - العقيقي ، نجيب . المستشرقون
القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٥ ، ص٤٦٢ - ٩٠٣ .

٥ - وفيدي ، محمد . تطور الصياغة الأيديولوجية في الاستشراق . دراسات عربية : مج١٨ ، ع٧ (أيار ١٩٨٢) ، ص٣ - ٣٤ .

٦ - النملة ، علي . الاستشراق في الأدبيات العربية
الرياض : مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤٠٤، ١٩٩٣ ، ص٣٦ - ٣٨ .

٧ - سعيد ، إدوارد . الاستشراق ؛ ترجمة كمال أبو ديب . ط٢ . بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص٦، ٨٥ - ٨٦، ٣٢٥ .

٨ - حسنة ، عمر عبيد . مراجعات في الفكر والدعوة . هيرندن : المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٢، ١٩٩١ ، انظر مقدمته «البعد الثقافي لإنتاج المستشرقين» .

٩ - الدعمي ، محمد . المتغير الغربي : الشرق، الاستشراق، أدب الصحراء . بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية» ، ١٩٨٦ ، ص١٦١ .

١٠ - Kalia, D.R. Classification schedules for area Studies. New Delhi : Reliance Pub. , 1988 , p. 1 - 2 .

١١- Williams, J. G., Manheiwer, M. , Daily, J. eds. Classified Library of Congress subject headings . 2nd ed. pt. B. New York : M. Dekker, 1982, p . 461.486 .

١٢- [تصنيف موضوع الاستشراق والمستشرقين]. خطاب مرقون مؤرخ في ٣ / ٩ / ١٤١٣هـ ، صادر عن إدارة التصنيف والفهرسة في مكتبة الملك فهد الوطنية .

١٣- تصنيف ديوي العشري. الطبعة العربية الأولى للطبعة ١١ المختصرة: الجداول. الكويت : شركة المكتبات الكويتية، ١٩٨٤ .

١٤- Kalia, D.R. op cit, p.1 - 9 .

١٥- النملة ، علي . الاستشراق في الأدبيات العربية، ص١٣ .

١٦- العقيقي ، نجيب . المصدر المذكور، ص ١١٠٣ .

١٧- Turner, Bryan S. "From orientalism to global Sociology ". Sociology : vol. 23, no. 4 (Nov. 1989), p. 630.

١٨- Karpat, Kemal. "Arab and Turkish studies in the USA..." In : Studies on Turkish - Arab relations. Annual 1986. Istanbul : Divit, 1986, p. 165 - 173 .

١٩- سعيد ، إدوارد . المصدر المذكور، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

٢٠- Lexicon universal encyclopedia . New York : Lexicon pub., 1986 , vol. 13, p. 396 .

٢١- The Universal almanack 1991 . Kansas City, Miss.: Andrews & Mc Meel, 1991, p. 224 .

٢٢- Library of Congress subject headings. 14th ed. Washington, D.C. : LC, 1991, p. 2814 .

٢٣- الموسوعة العربية الميسرة. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٧ ، ١٩٨٧ ، مج٢ ، ص ١٠٧٩ .

٢٤- قائمة رؤوس الموضوعات العربية . ط٣. الرياض : معهد الإدارة العامة ، ١٤١٣ ، ١٩٩٣ ، ص١٩٣ .

٢٥- قائمة رؤوس الموضوعات المالية والاقتصادية . الرياض : مركز المعلومات المالية والاقتصادية ، ١٤١١ ، ١٩٩١، ص ٣٨٧ .

٢٦- النملة ، علي . الاستشراق في الأدبيات العربية، ص١٣ - ٣٢ .

٢٧- سعيد ، إدوارد . المصدر المذكور، ص٢٢٠ ، ١٤٢ .

٢٨- الزركلي ، خير الدين. الأعلام : قاموس تراجم. ط٨ . بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٨٩ ، ص١٤ - ١٥ .

٢٩- البستاني، بطرس . دائرة المعارف . بيروت: دار المعرفة ، (د . ت .) ص ٧ .

٣٠- قواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية، ترجمة محمود أحمد أتيم . عمان : جمعية المكتبات الأردنية، ١٩٨٧ ، ص٨٧١ - ٨٧٢ .


كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر

تأليف الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي

الاستشراق في جامعة توبنجن الألمانية
(المعهد الشرقي)

يحيى عبدالرؤوف جبر

أستاذ اللغويات بجامعة النجاح الوطنية – نابلس

مدخل

لطالما أغرى المشرق الأوربيين بارتياده ، فهو مهبط الرسالات السماوية ، وموطن الحضارات منذ فجر التاريخ ، وملتقى التجار من بلاد البخور والحرير والعاج والتوابل ، وموئل الشمس والبيد بصفائها واتساعها وخلائها الحافل بالمعاني والرؤى . وقد اقتحم الأوربيون المشرق في العهد الروماني وتوغلوا فيه ، ولكن اتجاه الحركة بعد ظهور الإسلام انقلب رأسًا على عقب ، حين راح العملاق الجديد ينشر ظلاله في كل اتجاه ، فازداد التواصل بين الشرق والغرب وتمخض عن التفاعلات المستجدة صراع ما لبث أن اتخذ أشكالاً من الصدام كانت ذروتها عندما اتحدت كلمة الأوربيين في القرنين الخامس والسادس على شن حرب ضد المسلمين للسيطرة على بيت المقدس وبيت لحم بوصفهما محج النصارى في العالم بأسره ، وهي التي عرفت في التاريخ باسم الحروب الصليبية .

عندئذ وجد حكام أوربة ، وعلى رأسهم الكنيسة بأنفسهم حاجة إلى مزيد من المعلومات عن المشرق وأهله ، فبدأت دراسته والتعرف على لغاته وأديانه وتاريخ شعوبه وبلدانه مختلطة مع علم اللاهوت الذي كان يولي اللغة العبرية أهمية خاصة . وتلك بداية الاستشراق بوجه عام ، بالرغم من أن ثمة من يعود به إلى ما قبل الحروب الصليبية ، فيدخل فيه جهود التراجمة كيوحنة الإشبيلي وجيرادي كرموني ، والأوربيين الذين قصدوا جامعات الأندلس طلبًا للعلم مثل جريردي أوراياك الذي عرف من بعد باسم سلفستر الثاني (١) «ويرجع اتصال ألمانية بالشرق إلى الحملة الصليبية الثانية (١١٤٩– ١١٤٧) وعودة حجاجها من الأراضي المقدسة ووصفهم لها ونقلهم منها شيئاً من حضارتها ، وقيام الرهبان بالترجمة من العربية بالأندلس وفيهم الألمان» (٢) وفي أوائل القرن الثامن عشر الميلادي اقتنى يوهان كريستوف مكتبة للمخطوطات العربية ، كما «كان فيلهلم شيكار ، الذي شغل كرسي اللغة العبرية في جامعة توبنجن من سنة ١٦١٩ – ١٦٣٥ قد تعمق في دراسة اللغة العربية عن طريق نسخة من القرآن الكريم ... وأنه قام بتأليف عديد من البحوث في مجال اللغة العربية» (٣) مما يشير إلى بواكير الاستشراق الألماني وأنها كانت تتوالى ببطء شديد.

ولم يبدأ الاستشراق الألماني بدايته الحقيقية إلا في أوائل القرن الميلادي الثامن عشر عندما قصد نفر من الألمان هولندة ، حيث تعلموا اللغات الشرقية ، ولما عادوا إلى بلادهم علموها في جامعاتهم ، وأخرجوها من نطاق التوراة ... إلى ميدان الثقافة العامة ، ومن مشهوريهم في هذا المجال رايسكي (١٧١٦ – ١٧٩٧) – جامعة لايبزج، وجوستاف تيخسن (١٧٣٤ – ١٨١٥) – جامعة روستوك وتعد جهود فلايشر (١٨٠١ – ١٨٨٨) وإيفالد (١٨٠٣ – ١٨٧٥) في مجال الدراسات العربية – الأساس الذي قامت عليه هذه الدراسات في ألمانيا من بعد (٤) .

وفي القرن التاسع عشر ، أيضًا ، برز في ألمانيا مستشرقون أعلام من أمثال توربيكه الذي توفي عام ١٨٩٠ ، وكان جل اهتمامه منصباً على الأدب الجاهلي، ويترمن المتوفى عام ١٨٧٦ ، وكان قد رحل إلى بلاد المشرق وعاد بكثير من المخطوطات ، وأوجست ملّر المتوفى

سنة ١٨٩٢ ، الذي كان له الفضل في نشر كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة ، وماركوس جوزيف ملر المتوفى سنة ١٨٧٤ ، الذي صنف فهرس المخطوطات العربية في مدينة منشن (ميونخ) وذي الباع في اللغة العربية» (٥) .

ولم يكن نشاط المستشرقين الألمان ليقف عند هذه الحدود ؛ بل تجاوزها إلى تأسيس الجمعيات والمكتبات وإصدار المجلات وتخصيص المعاهد التي تعنى بشكل مباشر بالدراسات الشرقية والحضارة الإسلامية بوجه عام، فمن الجمعيات والمجلات على سبيل المثل لا الحصر :

١ – الجمعية الألمانية للدراسات الإسلامية ، أسسها مارتن هارتمان ، وأصدر مجلة عالم الإسلام ، سنة ١٩١٣ .

٢ – الجمعية الشرقية الألمانية *DMG* ، التي أسسها فلايشر في مدينة هاله سنة ١٨٤٥ .

٣ – المجلة الشرقية الألمانية *ZDMG* ، وكان تأسيسها في مدينة فسبادن سنة ١٨٤٧ .

٤ – مجلة الإسلام ، وقد أنشأها الوزير كارل هينريخ بيكر (المتوفى سنة ١٩٣٣) لصالح الجمعية الشرقية الألمانية سنة ١٩٢٠ .

٥ – مجلة إسلامكا – إسلاميات ، وقد أنشأها فيشر في مدينة لايبزج سنة ١٩٢٤ .

وفي ألمانية اليوم من المعاهد المشهورة في مجال الدراسات الشرقية عدد كبير ، حيث لا تكاد تخلو جامعة كبيرة من قسم أو معهد يخصص لهذا الغرض ، ففي عام ١٩٧٤ بلغ عدد معاهد الاستشراق والأقسام المخصصة له ستة عشر ، ولا شك أن العدد ارتفع عقب ذلك ، لا سيما بعد تحقيق الوحدة الألمانية ، ويقع في مقدمة هذه المعاهد ذلك الذي أسسه ساخاو سنة ١٨٨٧ في مدينة برلين الذي حل محله عام ١٩٦٠ معهد اللغات الشرقية في بون ، والمعهد الشرقي في جامعة توبنجن ، ذو الشهرة العالمية المستطيرة في أوساط المستشرقين والباحثين في الدراسات الشرقية .

ومن المكتبات الأثيرة بالنظرة إلى ما تحتوي عليه من كنوز الشرق مكتبة برلين ، ومكتبات جامعات كل من جوتنجن وهايدلبرج ومَاينس وتوبنجن ، حيث توجد أعداد كبيرة من المخطوطات وأمهات المصادر من الطبعات الأوربية والإسلامية القديمة (٦) ناهيك عن ما ينشر حديثًا هنا وهناك .

كما تجاوزت اهتمامات المستشرقين الألمان حدود الدراسة النظرية (٧) ، وتأسيس المرافق الضرورية لإنجازها إلى الدراسات الميدانية ممثلة في شد الرحال إلى بلاد المشرق والتنقيب عن الآثار (٨) كرحلة هارتمان إلى ليبيا ، وبترمن إلى منطقة الشرق الأوسط ، وأدولف فون فريده إلى اليمن ، «حيث عثر في وادي دوعن على بقايا حائط قديم وعلى نقش حضرمي» (٩) .

وفي هذا القرن نشط الألمان في استشراقهم ، وبذلوا جهوداً كبيرة في مجالي البحث والدراسة من ناحية ، وفي تحقيق المخطوطات ونشرها وفهرستها من ناحية أخرى ، وقد نذكّر في هذا المجال بصنيع كارل بروكلمان في سفره الضخم «تاريخ الأدب العربي» الذي فهرس فيه المخطوطات العربية ويعمل فؤاد سزكين (وهو تركي الأصل) الذي يعد استكمالاً لما فات بروكلمان وما اكتشف بعد صدور كتابه وهو كثير جداً .

ومن الدراسات الرائدة في مجالها ما قام به جزنيوس وروديجر من دراسة اللغات العربية الجنوبية (السوقطرية والمهرية والشحرية «الجبلية» والبطهارية والحرسوسية والقتبانية والأوسانية) على أساس النقوش السبئية التي اكتشفها الإنجليز سنة ١٨٣٦ في صنعاء، ووضع كتاب عن حضرموت . وجدير بالذكر أن دراسات المستشرقين الألمان عن جنوب الجزيرة العربية تعد أول الدراسات وأوفاها ، لا سيما في المجال اللغوي .

ومن أعلام المستشرقين الألمان نذكر ابن الورد «ولهلم ألفرت» المتوفى سنة ١٩٠٩ الذي كان من أقدر المتمكنين من اللغة العربية وأكبر حجة في الشعر الجاهلي وشعر الرجازين على حد قول عبدالرحمن بدوي (١٠) .

وليتمان – أنّو ، «الذي رأس قسم الدراسات الشرقية في جامعة توبنجن (المعهد الشرقي) لمدة ثلاثين عامًا ، ومازالت آثاره لها فعاليتها حتى اليوم في مجالات كثيرة ... كما أن بحوثه التي تربو على خمس مئة تعكس الوجوه المتعددة لإنتاجه العلمي» (١١) . ويضيق المجال عن ذكر مزيد من المستشرقين الألمان ، فهم كثر .

في توبنجن

مدينة توبنجن صغيرة بحجمها كبيرة بجامعتها عريقة ، فقد أنشئت عام ١٤٧٧ واحتفلت سنة ١٩٧٧ بمناسبة مرور خمس مئة عام على تأسيسها ، وسنعرِّف بجهود جامعة توبنجن من خلال بعض مرافقها ، والمشاريع التي نهضت بها ومن خلال معهدها الشرقي ، أو معهد الدراسات الشرقية ، والمناشط الجمة التي يتصدى لها علماؤه الذي يتعاقبون على العمل فيه . وسنتحدث فيما يلي عن كل من الموضوعات التالية :

١ – المعهد الشرقي ، بشيء من تفصيل .
٢ – مخطوطات جامعة توبنجن بإيجاز مع إيراد بعض النماذج .
٣ – معجم اللغة العربية الفصحى بإيجاز .
٤ – أطلس توبنجن للشرق الأوسط بالتفصيل .

أولا : المعهد الشرقي (قسم الدراسات الشرقية) :

من أوائل المستشرقين الذين أسهموا في تنشيط الدراسات العربية في توبنجن وإفساح المجال أمامها – كرستيان شنور الذي عمل «أكثر من ثلاثين عامًا بين أستاذ بقسم الدراسات الشرقية ورئيس للقسم وباحث مثابر ، وفي عام ١٨١١ نشر كتابه «المكتبة العربية» وفيه وصف معظم الكتب العربية التي طبعت في أوربة (حوالي ٥٠٠ كتاب)» (١٢) .

ويمكن إيجاز تاريخ إدارة المعهد في ذكر الأساتذة الذين تعاقبوا على كرسيه ، وكان لهم دور كبير في السير بالدراسات الاستشراقية قدمًا ابتداءً من أوائل القرن الماضي وهم (١٣) :

١ – هاينرش إيفالد ، من ١٨٣٨ – ١٨٤٨ . ومن مؤلفاته «دراسات نقدية في قواعد اللغة العربية ، وأوزان الشعر العربي» .
٢ – إيرنست هاينرش ماير ١٨٥٦ – ١٨٦٦ .
٣ – أد ألبرت مركس ١٨٦٦ – ١٨٧٢ .
٤ – ألبرت سوستين ١٨٧٢ – ١٨٩٠ ، ومن مؤلفاته ديوان أواسط الجزيرة العربية ، وقواعد اللغة العربية .
٥ – أبرهارت نيستلي ١٨٩٠ .
٦ – كريستيان فريدريش زايبولد ١٩٠١ – ١٩٢١ ومن أهم تحقيقاته ومؤلفاته :
– كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (رسالة للدكتوراه سنة ١٨٨٦) .
– كتاب المرصع لابن الأثير .
٧ – أنو ليتمان ١٩٢١ – ١٩٥١ ، وله من المؤلفات ما يربو على خمس مئة بين بحث وكتاب ، وذلك في مجالات متعددة ، ويمكن حصر جلها في النقوش السامية واللغات الحبشية والأدب الشعبي الحبشي .
٨ – رودي بارث ١٩٥١ – ١٩٦٨ ومن أبرز أعماله :
– الترجمة الألمانية للقرآن الكريم .
– الدراسة التحليلية للنص القرآني .
٩ – يوسف فان إس ١٩٦٨ – وإلى يومنا هذا . وله من الأبحاث عدد وفير وذلك في مجال الفقه الإسلامي والفلسفة الإسلامية .

ومن المستشرقين الذين عملوا في المعهد ابتداءً من بداية السبعينات نذكر كلا من الدكاترة :

– الأستاذ مانفريد أولمان ، وتتركز أبحاثه في مجال اللغة العربية والأدب العربي القديم وتاريخ العلوم الطبيعية ، وله عدة أبحاث في تاريخ العلوم عند العرب ، ومما يذكر له مثابرته على إعداد مادة معجم العربية الفصحى .
– الأستاذ ألكسندر بولنج ، وهو متخصص في لغات المشرق وحضارته .
– الأستاذ فالتر ميلر ، أستاذ الدراسات السامية ، لا سيما العربية الجنوبية والحبشة .
– جرنوت روتر ، وهو متخصص في تاريخ صدر الإسلام ، والإسلام في أفريقية السوداء .
– روتراود فيلانت ، وهي متخصصة في الأدب العربي الحديث والأدب التركي الحديث .
– إيرادج خليفة سلطاني ، محاضر اللغة العربية الفارسية .
– ماتياس شرام ، أستاذ تاريخ العلوم الطبيعية .
– هلموت مايخر ، أستاذ التاريخ الحديث .
– دوروتيا كرافولسكي ، حضارة إيران .

– هاينز جاوبي ، مدرس الآثار .
– الأستاذ هاينز هالم ، أستاذ التاريخ .
– حبيب جاويش ، محاضر اللغة العربية .
– أولرش ريشتك . – بيتر تراو .
– أولرش شايكا . – برجت كراوفتز .

ويلتحق بالمعهد عدد كبير من الطلبة من جنسيات شتى وفي مراحل الدراسة المختلفة ، حيث يمنح درجات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه ، وذلك في جميع التخصصات التي ترتبط بحضارة المشرق تقريبًا (منهم حوالي ١٥٠ طالبًا عام ٩٢/ ٩٣ يحضرون لدرجتي الماجستير والدكتوراه) . ولا تقتصر الدراسة فيه على الموضوعات التاريخية القديمة التي نحسب نحن المشارقة أن اهتمام القوم مقصور عليها وحسب ؛ بل تتعداها إلى العصر الحديث كالبحث في قانون الأسرة في الجزائر مثلاً، والهجرة الداخلية في المملكة المغربية ، ناهيك عن الأبحاث التقليدية مما له ارتباط بالدراسات الإسلامية وعلم اللاهوت وتحقيق المخطوطات ودراستها .

ومن الطريف حقًا في هذا المجال أن نشير إلى أن القوم يفيدون من التراث العربي إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، فالباحثة «بياته سيفرت» تعكف على تحقيق جانب من مخطوطة ابن أخي خزام في تربية الخيل وأدوائها وأدويتها، وهي تتعقب ما انتقل من علم العرب في ذلك المجال إلى أوربة عن طريق أسبانية وفرنسة وإيطالية وتربط بين دراستها (أطروحة دكتوراه) وبين اهتمام الألمان المتزايد في تربية الخيول (العربية وغيرها) وبيطرتها . ويذكّرني هذا بصنيع أحد أساتذة علم الفلك في أمريكا عندما قدم إلى معهد المخطوطات العربية في القاهرة في السبعينات وصور خمسًا وثلاثين مخطوطة في علم الفلك عند العرب ، نعم لقد تجاوزت معارف الغرب ما عرفه العرب في القرون الخالية عن الفضاء الخارجي ، ولكن تاريخ العلوم يقف عند تلك الحدود ويضعها بعين الاعتبار ، ناهيك عن أن في معارف العرب ما لا تزال الحاجة إليه قائمة ، لا سيما في مجال القرانات والتعليم بالصور النجومية على الطبائع والأحوال في الأزمنة المختلفة .

ويحتل المعهد طابقًا من مبنى الجامعة القديم ، الذي يقع إلى جانب الكنيسة الرئيسية في وسط المدينة القديمة ، ويقع في الطابق الأعلى قسم الدراسات الهندية . وللمعهد مكتبة خاصة تحفل بالمصادر والمراجع والدوريات التي تفتقر إليها جامعاتنا ومعاهدنا العلمية مع شديد الأسف ، إما لنفاد طبعاتها أو لقدم عهدها أو لأن مؤسساتنا العلمية لا تولي بعضها شيئًا من اهتمامها ، لا سيما ما كان من ذلك لعلاقة باللغات والآثار القديمة في بلادنا ، أو كان دوريات تصدر عن معاهد في الغرب والشرق بلغات غير العربية .

ثانيا : مخطوطات جامعة توبنجن :

أما مكتبة الجامعة الرئيسية ، فهي تحتوي على أضعاف ما في مكتبة المعهد ، إذ بلغت مجلداتها عام ١٩٧٤ في مختلف وجوه الدراسات الشرقية فقط مئة وخمسة وعشرين ألف مجلد منها عدد يتراوح بين ٧٠ و ٨٠ ألف كتاب تختص كلها بالثقافة والأدب في العربية [١٤]، هذا إلى جانب عدد كبير من المخطوطات العربية التي تحتل جزءًا من مبنى المكتبة القديم ، وقد صنفت فهارس المخطوطات العربية في ثلاثة مجلدات على النحو التالي :

١ – المجلد الأول : وهو بعناية المستشرق فريدريش زايبولد ، وقد صدر في توبنجن سنة ١٩٠٧ .
٢ – المجلد الثاني : وقد عني به ماكس فايس فايلر ، وصدر في مدينة لايبزج سنة ١٩٣٠ .
٣ – المجلد الثالث : ولا يزال مخطوطًا .

وتحرص المكتبة على زيادة عدد محتوياتها من المخطوطات وتخصص لهذا الغرض جانبًا من ميزانيتها وتحتفظ بين مخطوطاتها على بعض النوادر من حيث الموضوع وقدم العهد كفضائل القرآن [١٥] لأبي عبيد القاسم بن سلام التي يعود تاريخ نسخها إلى أواسط القرن الهجري السادس ، ونسخة نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب [١٦] للفقيه الأندلسي علي بن موسى بن سعيد . وقد قمت بتصوير ثلاث من مخطوطات مكتبة جامعة توبنجن لتحقيقها ، وهي :

١ –(رقم ٦٣ من الجزء الثاني) رسالة الوضع لعضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي المتوفى سنة ٧٣٦هـ ،

وشرحها للمحقق علي بن محمد القوشجي المتوفى سنة ٨٧٩هـ ، وهي في اللغـة ، وتحـديداً في علم الوضع – وضع اللفظ للمعنى على جهة الاصطلاح وغيره ، وتقع في أربع وعشرين صفحة .

٢ – (رقم ٦٥ من الجزء الثاني) – رسالة لابن كمال باشا، أحمد بن سليمان المتوفى سنة ٨٤١هـ ، في تعريب الكلمة الأعجمية ، وتقع في تسع صفحات مضغوطة ، ويعود تاريخ نسخها إلى سنة ٩٤٧هـ .

٣ – (رقم ٢٣٧ من الجزء الثاني) ، تعليم المتعلم في طريق التعلم ، لبرهان الدين الزرنوقي الذي كان حياً سنة ٦٠٠هـ ، وهي في التربية ، وهي نسخة حديثة نسبياً ويعود تاريخ نسخها إلى سنة ١٢٧٨هـ .

«وباختصار ، فإن مكتبة جامعة توبنجن تحتل المرتبة الثالثة بين المكتبات الألمانية فيما يختص بعدد ما تمتلكه من مخطوطات ، وذلك بعد مكتبة الدولة البروسية في برلين (وقف الممتلكات الثقافية البروسية) ثم مكتبة الدولة البافارية في ميونخ» [١٧] .

ثالثا : معجم اللغة العربية الفصحى :

من الإنجازات التي يحق لجامعة توبنجن أن تباهي بها معجم اللغة العربية الفصحى الذي يواصل مانفريد أولمان إعداد مادته حيث صدر منه أخيراً حرف اللام ، وجدير بالذكر أن فكرة هذا المعجم مرت في مراحل مختلفة، تطورت خلالها إلى أن شرعت جامعة توبنجن ابتداءً من ثلاثينات هذا القرن الميلادي في تصنيف قاموس جديد مستقل عن مشروع المعجم الذي وضع خطته أوجست فيشر عام ١٩٠٧م . وقد حاولنا أن نلتقي أولمان لنطلع من خلاله على تطورات العمل في هذا المعجم فلم نظفر بذلك .

رابعا : أطلس توبنجن للشرق الأوسط TAVO :
(Tubinger Atlas Des Vorderen Orients.)

وهو إنجاز ضخم جديد تنهض به جامعة توبنجن الألمانية في مجال الدراسات والأبحاث الاستشراقية ، فهو ضخم بالنظر إلى المساحة التي غطاها ، وبالنظر إلى توغله في الزمان إلى عصر ما قبل التاريخ ، إلى يومنا الحاضر، وهو جديد لأن لجامعة توبنجن على يد أساتذتها باعًا طويلاً في الدراسات العربية الإسلامية ، ومنجزات سبقته إلى الظهور .

ففي عام ١٩١١ وضع جوته أطلس الإنجيل ، وهو يغطي رقعة فلسطين وحسب ، وفي عام ١٩٢٦ ، تم طبعه مع إضافات وتعديلات ، غير أن نتائج البحث والتنقيب والكشوف الأثرية المتلاحقة أفقدته شيئاً لا بأس به من قيمته ، فلم يكن ثمة بد من إصدار جديد يتضمن منطقة الشرق الأوسط جميعها ويغطي تاريخها من أقدم العصور مروراً بالتطورات التي شهدتها القرون المتعاقبة إلى يومنا هذا .

وصادف أن أتاح المجلس الألماني للعلوم فرصة لاستحداث مجال للبحث المتخصص ، تقترحه الجامعات الألمانية وتقوم – بدعم منه – بتنفيذه في نطاقها ، وبادرت جامعة توبنجن إلى الإفادة من هذه الفرصة ، فقررت سنة ١٩٦٧ أن تخطو خطوة جريئة على هذا الطريق ، فكانت المصادقة على مشروع البحث الخاص رقم ١٩ ، وهو «الدراسات الشرقية مع عناية خاصة بالشرق الأوسط» .

وابتداءً من عام ١٩٦٩ ، رصدت الأموال اللازمة للإنفاق على المشروع وبدأت الاتصالات بالمتخصصين والفنيين ، وباشر المعنيون بإعداد خطة العمل بالأطلس . واختير هلموت برونر – خبير الآثار المصرية – ليكون أول ناطق رسمي باسم لجنة الأطلس . وما أن باشر القوم العمل ، حتى عرضت أمور أدت إلى تشكيل «غرفة عمليات» مهمتها التنسيق بين العاملين في المشروع ، فاختير سنة ١٩٧٢ أستاذ الجغرافية «جونتر شفايتسر» منسقًا بينهم ، واتخذوا من القصر التاريخي بتوبنجن مقراً، وما لبثوا حتى استحدثوا مرسمًا خاصاً بالمشروع استعداداً لنسج الخرائط .

وجاء حجم الأطلس منسجمًا مع البعدين اللذين حُدَّ بهما في المكان والزمان ، وقد بلغت عدة خرائطه نحواً من ٣٢٠ خريطة بالألوان ، مساحة كل خريطة ٥٦ × ٤٤ سم ، و رسمت هذه الخرائط استناداً إلى مقاييس تختلف من

لوحة لأخرى وتحمل كل منها في أعلاها عنوانها العام والتفصيلي . كما أثبت في هامش كل منها مفاتيح لقرائها ، واسم المعد أو المشاركين في إعدادها ، إضافة إلى فقرة تتكرر في كل لوحة تحمل اسم الأطلس والجامعة والناشر وحقوق النشر .

وللأطلس مقدمة عامة ، وقائمة بأسماء المشاركين، كما تتصدره فهارسه التفصيلية حيث ينقسم إلى قسمين B,A غطي فيهما الشرق الأوسط جغرافياً وحضارياً ، كما أصدرت نشرات توضيحية تكاد تغطي كل لوحة من لوحاته ، وتقدمها للقارئ والمستقرئ في مادة علمية مفصلة، وقد استخدم في إخراج هذا الأطلس اللغتان : الألمانية والإنجليزية سواء في خرائطه أم في المادة العلمية المرافقة .

ويبلغ عدد العاملين الذين اشتركوا في إعداده وتجسيد مادته النظرية على واقع الخرائط نحواً من ستة وسبعين عالمًا متخصصًا (منهم بعض العرب) وثمانية فنيين، وهذا العدد الكبير يبين لنا حجم النفقات الضخمة التي خصصت لإنجاز الأطلس ، لا سيما أن المشروع استغرق إعداده حوالي عشرين عامًا ، ناهيك عن المبالغ التي أنفقتها البعثات العلمية الموفدة في زيارات ميدانية إلى الأماكن المختلفة من منطقة الشرق الأوسط ، كتلك التي قام بها فريق من العاملين إلى الإمارات العربية المتحدة وزيارة هلموت بلومي إلى جبل طويق في المملكة العربية السعودية ، وزيارة أرنولف كوشكي وفريقه إلى سهل البقاع في لبنان ... وغيرها .

ومن الملاحظات العامة التي يستطيع مستعرض الأطلس أن يخرج بها أن الألمان ينظرون - من خلال ما يشير إليه الأطلس - إلى المنطقة نظرة عامة المستشرقين إليها ، ولم يسموها ، وكذلك بعض أجزائها ، بما يسميها به أهلها ، فالتسمية «الشرق الأوسط» تسمية غربية تعود إلى حقبة الاستعمار المباشر ، فلم نجد ذكراً لبلاد الشام على سبيل المثال ، كما أطلق على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط LEVANT ، وغالبًا ما تناوله الخرائط في قسمين : الشمالي والجنوبي ، وهذه ونحوها من التسميات الخاصة بالمستشرقين والدوائر الغربية .

ولا ندري لما أسقط القائمون على الأطلس باكستان بينما أدخلوا في أفغانستان التي يذهب جزؤها الشمالي مشرقًا إلى ما هو أبعد من حدود باكستان ... اللهم إلا إذا كانوا لا يزالون ينظرون إليها بوصفها جزءاً (كان يومًا ما) لا يتجزأ من الهند .

كما يلاحظ المستقرئ أن ثمة اختلافًا بين ما ورد في الأطلس وما ورد في فهرسه ، فاللوحتان ٦ ، ٧ من المجموعة ٨ من القسم الأول A V111 تحملان عنوانين هما : اللغات الرسمية واللغات المستخدمة في التدريس والإعلام والحركة الداخلية ، واللغات ومجموعة اللهجات ... على الترتيب ، ولكن الخريطتين تتحدثان عن الأديان عمومًا، وفي لبنان على الترتيب . ولعل هذا التفاوت ناجم عن أن الفهرس وضع قبل المشروع في اللوحات ، أو أن بعض اللوحات ألغيت أو ضمنت لوحات أخرى فكان التفاوت . وننبه هنا إلى أن بعض الدول والأقاليم حظيت بأعمال أكثر من غيرها ، ولا ندري ما السبب في ذلك .

وقد يكون لنا أن نقترح على القائمين على هذا العمل العملاق أن يعملوا على إصدار طبعة جديدة بحيث تغلف كل لوحة برقائق بلاستيكية شفافة تحفظها وتسهل عملية استخدامها ، وأن يفصلوا جزأي الأطلس A , B كلاً في مجلد مستقل بعد إعادة النظر في توحيد اتجاه الرسم في جهة واحدة - الطول أو العرض ليتم تحديد شكل المجلد .

وكم كنا نتمنى لو كان هذا الأطلس بالعربية ، ولو أن مؤسساتنا هي التي بادرت إلى مثل هذا العمل ، فلدينا الإمكانات العلمية والفنية ، ولعل إمكاناتنا المادية والعلمية لا تقل عن الإمكانات الألمانية في هذا المجال ، ولكن يبدو أننا لا نزال نؤثر أن ننظر إلى أنفسنا من خلال نظرات الآخرين ... الأجانب ... الذين غدوا يعرفون عنا أكثر مما نعرف عن أنفسنا ، فهلا أفقنا ؟

وينقسم كل من شقي الأطلس A , B إلى أقسام فرعية تحمل الأرقام اللاتينية I, II, III, IIII وهكذا ، كما ألحقت بالأطلس أربع خرائط هي :

١ - خريطة قلاورنوس بطليموس .

٢ - خرائط قديمة للعالم .

٣ - صورة الأرض لابن حوقل ، ما اختص به الأطلس .

٤ – خريطة الإدريسي سنة ١١٥٤ .

وسنقدم في ما يلي تفصيلاً بخرائط الأطلس استناداً إلى الأطلس نفسه ، وليس إلى فهارسه .

القسم الأول A I قسم الجغرافية

أ - التضاريس والمياه .

١ – التضاريس والمياه في الشرق الأوسط .
٢ – التضاريس والمياه في تركية .
٣ – في إيران وأفغانستان .
٤ – الجزيرة الفراتية .
٥ – في (الساحل الشرقي للمتوسط) .
٦ – وسط وجنوب الجزيرة العربية .
٧ – مصر وشمال وغرب الجزيرة العربي .
٨ – دلتا النيل .

الجيولوجيا : A II

أ - التضاريس : A III

١ – تضاريس الشرق الأوسط .
٢ – تركية .
٣ – إيران وأفغانستان .
٤ – الساحل الشرقي للمتوسط .
٥ – وسط وجنوب الجزيرة العربية .
٦ – نماذج من التضاريس وتشمل سواحل البحر الميت وجبل طويق ، وتضاريس الساحل التركي وصوراً لأراضي صحراوية من حوض البفق من إيران والكرست .

ب - المناخ :

١ – درجات الحرارة السنوية في الشرق الأوسط استناداً إلى قراءات مدد تتراوح بين عشر إلى عشرين سنة .
٢ – المناطق المتجانسة حرارياً في الشرق الأوسط .
٣ – متوسط درجات الحرارة يناير ، كانون ثاني .
٤ – متوسط درجات الحرارة ، يوليو ، تموز .
٥ – معدل الأمطار السنوي في الشرق الأوسط .
٦ – مناطق تساقط المطر في الشرق الأوسط .
٧ – رسم بياني لمناخ في الشرق الأوسط .
٨ – الرطوبة والجفاف .
٩ – الأقاليم المناخية .
١٠– الأقاليم المناخية لمنطقة الساحل الشرقي للمتوسط .
١١– الأقاليم المناخية لمنطقة ما بين النهرين وغرب إيران .

جـ - وصف المياه : A V

١ – وصف المياه في الشرق الأوسط .
٢ – نهر الأردن ، دراسة في وصف المياه .
٣ – النيل الأسفل دراسة في وصف المياه .
٤ – ما بين النهرين دراسة في وصف المياه .

د - الحياة النباتية : A VI

١ – الحياة النباتية في الشرق الأوسط .
٢ – النبات الطبيعي في الشرق الأوسط .
٣ – المناطق النباتية في الشرق الأوسط في عصر الهلوسين المبكر .
٤ – الغطاء النباتي في وسط جبال طوروس بتركية الوسطى .
٥ – الغطاء النباتي في جبال زاغروس بإيران الوسطى .
٦ – الغطاء النباتي في جبال هندوكوش الوسطى في أفغانستان .
٧ – الغطاء النباتي في الجزء الشمالي من الساحل الشرقي للبحر المتوسط .
٨ – الغطاء النباتي في وسط المملكة العربية السعودية .
٩ – نماذج من الغطاء النباتي عن كل من أعالي المناطق الجبلية في ألدغلاري . الأشجار الألبية في درّابي غوهام بأفغانستان .
١٠– وأواسط الأناضول بتركيا توزغولو ، وحوض نهر قزوين قرب شيراز في إيران (المنطقة الوسطى) .

١١- الجغرافية الحيوانية البرية في الشرق الأوسط ، مناطق الحيوانات والفراش والعث والزواحف والثديات .
١٢- مناطق المياه العذبة في سواحل شرق المتوسط.
١٣- وصف لبعض الفقاريات الضخمة المختارة وانقراضها في الأحقاب التاريخية .
- عائلة القطط الكبيرة .
- عائلة الفيلة والثديات والحيوانات اللبونة .
١٤- ١- الأفاعي السامة في الشرق الأوسط بأنواعها المختلفة في ٤ لوحات .
٢ - العقارب وما هو من جنسها .
١٥- ١- المواد الخام من أصل حيواني .
٢ - اللؤلؤ والصدف .
٣ - القواقع وريش الزينة وأصداف السلاحف والميكا (فلوس السمك) .
١٦- أجداد الحيوانات المحلية وأوطانها الأولى .
١ - الماعز الأهلي والبري
٢ - الثور البري والبقر .
٣ - الضائن .
٤ - الخنزير البري والأهلي .
٥ - الحصان البري والأهلي .
٦ - الجمل البري والأهلي .
٧ - الحمار .
٨ - الكلب والذئب .

هـ - المناطق الطبيعية : AV II
١ - المناطق الطبيعية في الشرق الأوسط .
٢ - تركية - غرب تركية - شرق تركية .
٣ - غرب إيران .
٤ - ساحل شرق المتوسط .
٥ - الشرق الأوسط : البيئة الطبيعية والمنافع الاقتصادية في ما قبل التاريخ .

و - السكان : AV III
١ - المناطق السياسية والإدارية .
٢ - توزيع السكان .
٣ - مناطق الكثافة السكانية .
٤ - سكان المدن والأرياف .
٥ - الحركة البشرية في الشرق الأوسط .
١ - تركية سنة ١٩٦٥م .
٢ - تركية / التطور السكاني والعمراني .
٣ - إيران - الهجرة الداخلية .
٤ - جنوب لبنان - الهجرة الداخلية .
٥ - (فلسطين المحتلة - إسرائيل) الهجرة منها وإليها ، والحركة الداخلية .
٦ - اللغات الرسمية - واللغات المستخدمة في التدريس والإعلام . (ولكن الخريطة عن الأديان).
٧ - اللغات ، ومجموعات اللهجات . (الخريطة عن الأديان في لبنان) .
٨ - المسيحية في الشرق الأوسط .
٩ - المسيحية في لبنان .
١٠- اللغات واللهجات .
١١- أفغانستان / اللغات واللهجات .
١٢- اللهجات العربية في مصر .
١٣- المجموعات العرقية - بيان نوع الدم .
١٤- ١ - الجمهورية التركية ، الأقليات العرقية الريفية / الجزء الغربي .
٢ - الجمهورية التركية ، الأقليات العرقية الريفية / الجزء الشرقي .
١٥- القسم الجنوبي من الساحل الشرقي للبحر المتوسط - المجموعات العرقية .
١٦- دول الخليج - العمال الوافدون .
١٧- إيران - المجموعات العرقية .

A IX
١ - التجمعات البشرية (المستوطنات) قديمًا وحديثًا.
٢ - المستوطنات الريفية - نماذج .
١ - الأكواخ المصنوعة من الأغصان (صيقل - جنوب العراق) .
٢ - إيسدية بتركية .
٣ - مضارب البدو في منطقة المضية بعمان .

٤ – وقرية الغربة – اليمن .
٥ – بين الحيرة – اليمن .
٦ – جندزرشك – إيران .
٧ – شهكوي – تركية .
٨ – القرية التعاونية (المابل / إسرائيل) .
٣ – أنماط البيت الريفي التقليدي في الشرق الوسط .
٤ – توزيع أنماط البيت الريفي التقليدي في الشرق الوسط .
٥ – أنماط الخيمة البدوية في الشرق الأوسط .
٦ – التطور الحضري والعمراني .
٧ – أفغانستان : مواقع المدن والأسواق في أواخر ق ١٩ .
٨ – أفغانستان : مواقع المدن والأسواق حوالي سنة ١٩٧٣ .

تطور المدن - نماذج

٩ – ١– تطور مدينة طهران .
٢ – سوق طهران .
٣ – الإنشاءات الحضرية في طهران الكبرى .
٤ – المنشآت الصناعية بطهران .
٩ – ٢ دمشق .
٩ – ٣ مكة المكرمة .
٩ – ٤ سوق أصفهان / إيران .
٩ – ٥ نماذج من مدن الشرق الأوسط الكبيرة / الطائف السعودية .
١ – المنشآت الحضرية .
٢ – تقسيم السوق / الأبنية والتجارات .
٣ – مسألة الملكية في السوق .
٤ – أصول أصحاب المتاجر .
٩ – ٦ مدينة القاهرة . الإنشاءات العمرانية .
١٠– نماذج من المدن المتوسطة والصغيرة – الإنشاءات العمرانية .
١ – أنطاكية – تركية.
٢ – طرابلس – لبنان .
٣ – ساري – إيران .

٤ – صعدة – اليمن .
٥ – رداع – اليمن .
٦ – أسدود – (إسرائيل).
٧ – مشهاب – العراق .
٨ – أروك – تركية .
٩ – غزنة – أفغانستان .
١٠– كسداسي – تركية .

ز - الاقتصاد والاتصالات : AX

١ – استثمارات الأراضي .
٢ – ١ – تركية استثمار الأراضي / ١ الجزء الغربي .
٢ – تركية استثمار الأراضي / ٢ الجزء الشرقي .
٣ – إيران ، الجزء الغربي – استعمال الأراضي .
٤ – ما بين النهرين .
٥ – مصر .
٦ – شمال الساحل الشرقي من المتوسط .
٧ – جنوب الساحل الشرقي من المتوسط .
٨ – جنوب الساحل الشرقي من المتوسط ، استثمار الأراضي في النصف الثاني من ق ١٩م .
٩ – جنوب الساحل الشرقي من المتوسط ، استثمار الأراضي حوالي ١٨٨٠ .
١٠– أمثلة عن استثمار الأراضي .
١ – زراعة الشاي في سواحل البحر الأسود .
٢ – أنواع المزروعات في المناطق الجبلية ، شمال اليمن .
٣ – زراعة خاصة في سواحل البحر المتوسط (طبرغة – لبنان) .
٤ – الزراعة المروية بالمطر في جبال زاغروس الوسطى – إيران .
٥ – الزراعة المروية / الواحات الخارجة / مصر .
٦ – الزراعة المروية في المرتفعات الإيرانية (سهل أوروميه) .
٧ – واحات النخيل (القابل – عمان) .
٨ – الواحات المروية (الفيوم – مصر) .

١١- التبدي وأشكال الرحلة الرعوية الأخرى في الشرق الأوسط .
١٢- نظام الحياة الرعوية .
١ - بدو الجبال وتوطين البختيارية .
٢ - بدو الجبال وتوطين القشقائية .
٣ - الجزيرة العراقية / توطين البدو .
٤ - الزراعة الألبينية في منطقة جايكارا - مقاطعة طربزون / تركية .
٥ - جنوب شرق الجزيرة العربية - النماذج التقليدية والتحول إلى الحداثة في البادية (الصناعة والتعدين) .
٦ - أفغانستان ، البداوة وأنصاف البدو .
١٣- الصناعة والتعدين في الشرق الأوسط .
١٥- الصناعة في إيران .
١٦- الصناعات النفطية في الخليج العربي .
١٧- السعودية / صناعة النفط .
١٨- ١ - الشرق الأوسط - تطور خطوط المواصلات البرية والبحرية .
٢ - النقل الجوي .

ح - العصر الباليوليثي : B I

١ - الشرق الأوسط في العصر الباليوليثي الأول .
٢ - الشرق الأوسط في العصر الباليوليثي الأوسط.
٣ - نماذج من العصرين السابقين .
١ - وادي النهر الكبير - سورية .
٢ - منطقة أنقرة - تركية .
٣ - راماث منشة وما حولها .
٤ - النبق وما حولها - سورية .
٤ - الشرق الأوسط في العصر الباليوليثي المتأخر .
٥ - الشرق الأوسط في عصر ما بعد الباليوليثي ، وبداية العصر النيليثي Neolithic .
٦ - الشرق الأوسط في بداية العصر النيليثي الأول.
٧ - الصيادون والملتقطون المتأخرون في الشرق الأوسط - نماذج .

٨ - ١- بدليبي وبلباشي (أنطاكية - تركية ١٠٠٠٠-٨٠٠٠ ق م مع الساحل الجنوبي .
٢ - الغطاء النباتي .
٨ - ٢ ١ - مشاهد طوبوغرافية .
٢ - الغطاء النباتي في عصر البليوستسين.
٣ - الغطاء النباتي المعاصر .
٤ - تضاريس نمار كبرنبد .
٨ - ٣ جنوب شرق الجزيرة العربية - مستوطنات ما قبل التاريخ .
١ - شبه جزيرة عُمان في العصر الحجري.
٢ - شبه جزيرة عُمان في العصر البرونزي الأول .
٨ - ٤ العصر الحجري - المستوطنات على ساحل رأس الحمراء (مسقط - عمان) .
١ - الجانب الطوبوغرافي .
٢ - التضاريس .
٣ - الغطاء النباتي المعاصر .
٩ - القسم الجنوبي من الساحل الشرقي للمتوسط في العصور المتقدمة .
١٠- الشرق الأوسط في العصر الإكرامي النيوليثي.
١١- الشرق الأوسط في العصر ، فخاريات العصر النيوليثي .
١٢- مصر في العصر النيوليثي .
١٤- العصر النيوليثي - مشاهد ، واستثمار الأراضي.
١ - جنوب طوروس وحوض أواسط الفرات وتدمر .
٢ - منطقة سنجار .
٣ - زاجروس الأوسط وخوزستان .
١٥- الشرق الأوسط في العصر النيوليثي - نماذج.
١ - منطقة البتراء - الأردن .
٢ - كتل حيوك وكان حسّان الثالث - الزراعة والمستوطنات - قديمًا - تركية .
١٦- الجزيرة الفراتية في العصر Chalcolithic.
١٧- الجزيرة الفراتية - مظاهر التحضر .

١٨- المرتفعات الإيرانية في العصر Chalcolithic.

BII

١ - مصر ، المملكة القديمة .

٢ - مصر في العصر الوسيط الأول .

٣ - مصر / المملكة الوسطى .

٤ - مصر / في العصر الوسيط الثاني .

٥ - النوبة : المجموعة أ ، والمملكة القديمة .

٦ - النوبة : المملكة في العصر الوسيط ، والمجموعة ج وكرمة .

٧ - الجزيرة الفراتية ، في عصر السلالات القديمة .

٨ - في زمن أكّد وأور الثالثة .

١ - إمبراطورية أكّد

٢ - إمبراطورية الأسرة الثالثة في أور .

٩ - بابل وأكّد في زمن أسرة أور الثالثة .

١ - المستوطنات .

٢ - النظم السياسية في إمبراطورية أور الثالثة.

١٠- ١ - جنوب الساحل الشرقي للبحر المتوسط في العصر البرونزي الأول .

٢ - جنوب الساحل الشرقي للبحر المتوسط في العصر البرونزي الأول وأوائل البرونزي الأوسط .

٣ - جنوب الساحل الشرقي للبحر المتوسط في العصر البرونزي الأوسط .

٤ - جنوب الساحل الشرقي للبحر المتوسط في العصر البرونزي المتأخر .

١١ - سيناء والنقب في العصر البرونزي .

١ - البرونزي الأول .

٢ - البرونزي المتأخر .

٣ - سيناء والنقب في مرحلة التحول من البرونزي الأول للمتأخر .

١٢- ١ - الجزيرة الفراتية في العهد البابلي الأول . المستوطنات .

٢ - الجزيرة الفراتية في أوائل العهد البابلي الأول .

١٣- أسيا الصغرى - العصر البرونزي الأوسط .

١٤- المرتفعات الإيرانية في العصرين البرونزي الأول والأوسط .

BIII

١ - المملكة الحديثة في مصر . القسم الجنوبي .

- المملكة الحديثة في مصر . القسم الشمالي .

٢ - النوبة - المملكة الحديثة ، والفترة المتأخرة قبل قيام (مملكة نباته)

٣ - فلسطين وسورية في الحقبة المصرية الحيثية .

٤ - ٥ مصر وساحل شرق المتوسط - الواردات الإيجية في الألف الثاني قبل الميلاد .

٦ - أسية الصغرى - الإمبراطورية الحيثية من ق ١٣ - ١٣ق م .

٧ - بابل وأشور في النصف الثاني من الألف الثاني ق م .

٨ - المرتفعات الإيرانية من العصر البرونزي الوسيط إلى العصر الحديدي .

BIV

١ - دلتا النيل (مصر) الإمارات الليبية (٤/٣/٢/١٠) .

٢ - النوبة والسودان من الأسرة ٢٥ إلى عهد البطالمة (العصور الرومانية) القسم الشمالي.

٣ - النوبة والسودان من الأسرة ٢٥ إلى عهد البطالمة (العصور الرومانية) القسم الجنوبي .

٤ - شبه جزيرة إيبرية - الاكتشافات (اللقى) المصرية والتمصرة .

٥ - فلسطين - أماكن الاستيطان الإسرائيلية ومملكة داود .

٦ - ١ - ممالك يهودا وإسرائيل - القسم الشمالي .

٢ - ممالك يهودا وإسرائيل - القسم الجنوبي .

٧ - ١ - القدس / التطور المعماري .

- من العصر البرونزي الأول - إلى دمارها على يد نبوخذنصّر .

- من إعادة بنائها في العهد الفارسي إلى دمارها على يد تيطس .

٢ – القدس التطور المعماري .
– من إعادة بنائها في زمن هدريان إلى أوائل الحروب الصليبية .
– القدس التطور المعماري ، من ١٠٩٩ – ١٧٥٠م .
٩ – أسية الصغرى من ق ١٢ – ٦ ق.م المستوطنات والكشوفات .
١ – ١٢٠٠ – ٧٠٠ ق.م
٢ – ٧٠٠ – ٥٠٠ ق.م
١٠– أشور حتى ٨٠٠ ق.م
١١– إمبراطوريات العيلاميين .
١٢– شرق أسية الصغرى ، ق ٩ – ٧ ق.م .
١٣– إمبراطورية أشور الحديثة ٧٢٠ – ٦١ ق.م ، وإمبراطورية بابل الحديثة ٦١٢ – ٥٣٩ ق.م .
١٤– سورية وفلسطين قبل ضمهما من قبل أشور سنة ٧٣٢ ق.م .
١٥– فلسطين تحت الحكم الأشوري (بعد ٧٣٢ ق.م).
١٦– فلسطين تحت حكم البابليين والفرس ٥٨٧ – ٣٣٢ ق.م .
١٧– نماذج من المدن الشرق أوسطية القديمة – أوروك .
١ – في عهد أوروك .
٢ – في عهد بابل الأول .
٣ – في عهد البارثيين والسلوقين .
٤ – مخطط عام لأوروك .
١٨– نماذج من المدن الشرق أوسطية القديمة – أور.
١ – مخططها العام .
٢ – موقع المعبد .
٣ – بيوت بابلية قديمة .
٤ – مخطط Giparu البابلية .
٢١– نماذج من المدن الشرق أوسطية القديمة – المستوطنات في الدولة الأشورية – أشور .
٢٢– إيران في العصر الإخميني ٦ – ٤ ق.م .

BV

١ – الشرق الأوسط – إمبراطوريات ال Di-adochi ٣٠٣ ق.م .
٢ – الشرق الأوسط – دول العصر الهلنستي – ق ٣ ق . م .
٣ – الشرق الأوسط ، الاقتصاد والزراعة والتربية في العصي الهلنستي ق ٣ ق . م .
٥ – منطقة آسية الصغرى والبحر الأسود – حقبة المترادين العظام ١٢١ – ٦٣ ق . م .
٦ – إعادة تنظيم الشرق من عصر بمباي – إلى أغسطس (شرق المتوسط والجزيرة الفراتية) .
٧ – إعادة تنظيم الشرق من (عصر أنطونيوس بيوس إلى آخر الإمبراطورية البارثية) ١٣٨ – ٢٢٤م .
٨ – شرق المتوسط والفراتية – عصر الأزمات الإمبريالية ٢٣٥ – ٢٨٤م .
٩ – الحدود الشرقية للدولة الرومانية ق ١ – ٥ م .
١٠– أسية الصغرى وسورية .
١١– ١ – الساحل الشمالي من شرق المتوسط (ق ٣ – ١ ق . م) .
٢ – لوسية بمفيلية .
١٢– ١– الحروب السورية ، ٢٨٠ – ١٤٥ ق . م .
٢ – المكابيين والهسمونيين .
١٣– ١ – فلسطين – المستوطنات في الأزمنة اليونانية الرومانية ٣٠٠ ق . م – ٣٠٠ م الجزء الشمالي .
٢ – فلسطين – المستوطنات في الأزمنة اليونانية الرومانية ٣٠٠ ق . م – ٣٠٠ م الجزء الجنوبي .
١٤– مصر في العصر الهلنستي الروماني .
١٥– شمال شرق أفريقية وشبه الجزيرة العربية – الدول والسكان ق ٤ – ١ ق . م .

BVI

١– تنظيم المشرق من ديوقليط إلى قسطنطين ٢٨٤ – ٣٧٣م .
٢ – شرق المتوسط والفراتية – المسيحية إلى زمن مجلس نكاية .
٣ – شرق المتوسط والفراتية – العهد الروماني المتأخر ٣٣٧ – ٥٢٧م .
٤ – الشرق الأوسط – المسيحية في العاديات المتأخرة ق ٤ – ٧ م .

٥ – الشرق الأوسط – أسية الصغرى ، النظام الإكليركي (الكنسي) في الدولة البيزنطية ق٤ – ١٥ م .
٦ – أرمينية وجورجية : المسيحية والتطور الإقليمي من ق ٤ – ٧ م .
٧ – مصر – المسيحية إلى زمن الفتح العربي – ق ٧م.
٨ – إسرائيل الكنس ، مدارس التوراة والمحاكم القانونية ق ١ – ٧ م .
٩ – إسرائيل استنادًا إلى أدبيات الربانيين (الكهنة).
١٠– الدياسبورا اليهودية حتى ق ٧ م .

B VIII

١ – الجزيرة العربية حتى وفاة النبي ﷺ ٦٣٢م / ١١هـ .
٢ – الدولة الإسلامية في عهد الراشدين ، ٦٣٢ – ٦٦١م ، ١١ – ٤٠هـ .
٣ – الدولة الإسلامية في عهد عبدالملك ٦٨٥ – ٧٠٥ .
١ – الوضع السياسي والعسكري ، من الفتنة الثانية صيف ٦٨٤ – أخر ٦٨٥م .
٢ – تعضيد الدولة الإسلامية .
٤ – مدارس الفقه الإسلامي حتى نهاية الأسرة السامانية حتى ٩٩٩م .
٥ – الجزء الشرقي من الدولة العباسية (السامانيون الغزنويون من ق ٩ – ١١م) .
٦ – ١ – إمبراطورية السلاجقة العظام حتى وفاة ملكشاه (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢) الجزء الشرقي.
٢ – إمبراطورية السلاجقة العظام حتى وفاة ملكشاه (٤٨٥هـ / ١٠٩٢) الجزء الغربي .
٧ – آسية الصغرى في ق ١٢ – أوائل ق ١٣ م م .
٨ – مصر وسورية : الطولونيون ، الأخشيديون ، الحمدانيون .
٩ – مصر الفاطمية ٩٦٩ – ١١٧١م .
١٠– نماذج من المدن الإسلامية .
١ – القاهرة – المباني .
٢ – حلب – المباني .
٣ – سامراء – تطور المدينة في عهد خلفاء العباسيين (٢٢١ – ٢٧٩/ ٨٣٦ – ٨٩٢م).

١١ – أرمينية وجورجية في ق ١٠ ن ١١م .
١٢– أرمينية وجورجية حوالي سنة ١٢٠٠ .
١٣– أسية الصغرى : توسع الإمبراطورية البيزنطية ق ١٠ ، ١١م .
١٤– الإمبراطورية البيزنطية : السلاجقة والصليبيون ١٠٨١ – ١٢٠٤م .

B IIX

١ – الشرق الأوسط حوالي سنة ٩٢٠٠ م .
٢ – أرمينية وجورجية – المسيحية في القرون الوسطى ق ٧ – ١٥ م .
٣ – مصر – المسيحية في العصور الوسطى والحديثة.
٤ – سورية وفلسطين – الإمارات الصليبية حتى نهاية ق ١٢م .
٥ – سورية وفلسطين – الإمارات الصليبية في ق١٣م.
٦ – سورية وفلسطين – التقسيمات العسكرية المدنية.
٧ – مصر في عهد المماليك .
٨ – إيران – الإمبراطورية الإيلخانية ٦٥٦ – ٧٣٦ (١٢٥٨ – ١٣٣٦) الجزء الغربي .

B IX

١ – الشرق الأوسط حوالي سنة ١٥٠٠م .
٢ – الشرق الأوسط حوالي ١٧٤٠م .
٣ – دولة الخلافة العثمانية حتى ١٤٥٣م .
٤ – ١ – أسية الصغرى في ق ١٧ م استنادًا إلى إقلياجلبي (الجزء الشرقي) .
٢ – أسية الصغرى في ق ١٧ م استنادًا إلى إقلياجلبي (الجزء الغربي) .
٥ – الدولة العثمانية ، ١٥٧٤ – ١٦٨٣م .
٦ – الدولة العثمانية ، ١٦٨٣ – ١٧١٨ .
٧ – الدولة العثمانية ، ١٧١٨ – ١٨١٢ .
٨ – الدولة العثمانية ، ١٨١٢ – ١٨٨١ .
٩ – الدولة العثمانية ، ١٨٨١ – ١٩١٢ .
١٠ – الدولة العثمانية ، الإدارة الإقليمية في أواخر ق ١٩م .
١١– اليهود في فلسطين ، ٦٣٤ – ١٨٨١ .

١ – في الحقبة الإسلامية الأولى ٦٣٤ – ١٠٩٩.
٢ – في عصر الحروب الصليبية ، ١٠٩٩ – ١٢٩١ .
٣ – في عصر المماليك ١٢٩١ – ١٥١٥ .
٤ – في العهد العثماني ١٥١٦ – ١٥٩٩ .
٥ – في العهد العثماني ١٥٩٩ – ١٧٩٨ .
٦ – في العهد العثماني ١٧٩٩ – ١٨٨١ .
١٢– أرمينية وجورجية ، المسيحية من ق ١٥ – ١٩م.
١٣– سورية وفلسطين في نهاية ق ١٩م .
١٤– التوسع المصري في ق ١٩ .
١٥– الدولة المهدية في السودان ودولة عمان / زنجبار في ق ١٩م .
١٦– الاستعمار في الأوسط ق ١٩م .
١٧– شرق المتوسط والفراتية (المسيحية الجورجية والأرمنية ١٨٧٨ – ١٩١٤) .

B X

١ – الشرق الأوسط – الاستعمار في النصف الأول من ق ٢٠م .
٢ – تركية سن ١٩٢٠ .
٣ – تركية ١٩٢٣ .
٤ – وسط الجزيرة العربية – الدولة السعودية الأولى والثانية .
٥ – وسط الجزيرة العربية – نشأة المملكة العربية السعودية .
٦ – جمهوريات القوقاز ١٩١٨ – ١٩٢١ .
٧ – النفوذ السوفيتي في القوقاز منذ ١٩٢١ .
٨ – ١ – الدولة العربية في ق ٢٠ .
٢ – شمال فلسطين في ق ٢٠ .
٣ – جنوب فلسطين حوالي سنة ١٩٢٠ .
٩ – مصر – المسيحية اليوم .

وأخيراً ؛ فهذه نبذة قد تكون كافية لتعريف القارئ بجهود المستشرقين الألمان ، لا سيما أولئك الذين ينتسبون لجامعة توبنجن في أقصى الجنوب الغربي من ألمانية – في مجال الدراسات العربية والإسلامية ، والمشروعات العملية المتميزة التي ينهضون بها ، مما نأمل أن يشكل حافزاً لدى علمائنا ومؤسساتنا العلمية للمبادرة إلى وضع خطة عريضة لتحقيق نهضة علمية شاملة ، ودراسة التراث العربي الإسلامي مجدداً لتأسيس البناء عليه بشكل متين يضيء الحاضر ، ويرسم الطريق نحو المستقبل . وأن لدى أمتنا من الخبرات والأموال ما يكفي ؛ بل يتجاوز إمكانات المستشرقين بعامة ، ناهيك عن كون الأمر خاصاً بنا ، ويعنينا أكثر من سوانا ، مع ترحيبنا بالتعاون مع كل راغب في البحث العلمي المجرد .

الهــــوامــــش

١ – العقيقي – نجيب ، المستشرقون ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤م ، الجزء الأول ، ص١٢٠.
٢ – المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص٦٧٨.
٣ – جرنوت روتر – الدراسات العربية والإسلامية بجامعة توبنجن – الاستشراق الألماني – الطبعة العربية، دار صادر – بيروت ١٠٧٤ ، ص١٠ .
٤ – العقيقي ، الجزء الثاني ، ص٦٧٩ .
٥ – بدوي – عبدالرحمن ، موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٨٤م ، ص ٩٨، ٩٣، ٢٩٥ ، ٢٩٦، لكل من المذكورين في هذه الفقرة على التوالي .
٦ – بدأ الألمان حديثًا يجمعون طبعات بولاق القديمة .
٧ – انظر كتاب رودي بارث عن الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية الذي صدر عام ١٩٦٦ .
٨ – هناك بعثة الآن في الأردن .
٩ – العقيقي ، ج٣ ، ص١٨٤٣ .
١٠– ص٢٩ .
١١– جرنوت روتر – مرجع سابق ، ص١٤.
١٢– جرنوت روتر – مرجع سابق ، ص١١.
١٣– المصدر السابق بتصرف .
١٤– أميل كرومر ، رعاية الدراسات العربية في مكتبة جامعة توبنجن ، الاستشراق الألماني ، مصدر سابق، ص٢٨ .
١٥– رقم ٩٥ ، من المجلد الثاني .
١٦– رقم ١ من المجلد الأول .
١٧– أميل كرومر ، مصدر سابق ، ص٣٠ .

آثار برنارد لويس العلمية

دراسة تحليلية

مازن صلاح مطبقاني

أستاذ مساعد في كلية الدعوة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – المدينة المنورة

تتعدد أعمال برنارد لويس ونشاطاته العلمية ، ونظراً لكثرتها رأى الباحث تصنيفها إلى عدة مجالات علمية منها مجال التأليف في عدة تخصصات في الدراسات العربية والإسلامية ، ومنها ما يتعلق بالنشاطات العلمية المختلفة مثل إلقاء المحاضرات العامة ، والاشتراك في المؤتمرات والندوات ، وإلقاء الأحاديث الإذاعية والتلفزيونية، وتقديم الاستشارات السياسية ، والإشراف على الرسائل الجامعية . ولا يزعم الباحث هنا أنه أحاط بكل نشاطات هذا المستشرق فقد قام هذا المستشرق ، ومازال (بلغ الآن ٧٨ سنة) يقوم بنشاطات علمية كثيرة في التأليف والمحاضرة والكتابة الصحافية . ولعل عرض هذه النشاطات يحث الباحثين المسلمين لتحمل مسئولياتهم في البحث والتأليف والدفاع عن قضايا أمتهم فهم أولى بمثل هذا النشاط .

أولاً : مجال التأليف

لقد ألف لويس تقريباً في معظم مجالات الدراسات العربية والإسلامية ، ونظراً لكثرة أعماله المؤلفة رأى الباحث ضرورة تصنيفها موضوعياً حسب موضوعاتها ومجالاتها وهي : التاريخ الإسلامي ، والفكر السياسي ، والحركات الإسلامية المعاصرة ، ودراسات المجتمع الإسلامي ، والدراسات الخاصة بالدولة العثمانية ، والدراسات والمقالات الخاصة باليهودية وفلسطين .

أ – التاريخ الإسلامي

1- The Arabs in History (London : 195) 5th edition, 1970 Reprinted 1975,PP.77, 81, 84.

وترجم الكتاب بعنوان : العرب في التاريخ ؛ ترجمة نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٥٤) .

صرح المؤلف أنه لم يقصد في هذا الكتاب إلى كتابة دراسة تاريخية عن العرب ، ولكنه يقدم مجموعة ملاحظات أراد بها أن يوضح وجهة نظره حول موقع العرب في التاريخ . وطبع الكتاب خمس طبعات بها بعض التعديلات الطفيفة جداً ، ولعلها لا تغير من مضمون الكتاب شيئاً . وقد ذكر المؤلف أن الكتاب صدر ضمن سلسلة موجهة للقارئ العادي الذي لا تهمه الهوامش والإحالات والحواشي (٢) ، فلذلك لم يوثق ما كتبه ، ولكنه أثبت في نهاية الكتاب قائمة بالمصادر وهي جميعها كتب المستشرقين الأوربيين الذين تناولوا التاريخ الإسلامي . ويلاحظ أنه نهج نهجهم في كثير من القضايا ، ولعل أبرزها التشكيك في القرآن الكريم ، وأنه مأخوذ من الكتب السماوية السابقة ، وكذلك التشكيك في صحة الحديث ، وانتقاد منهج علماء الحديث .

2 -The Cambridge History of Islam. 2vols in 4. Cambridge : Cambridge University Press. 1970 (Co-editor with others) .

سلسلة كامبردج للتاريخ الإسلامي ؛ أربعة أجزاء في مجلدين (شارك في التحرير مع آخرين) ، قدم لويس في هذه السلسلة مقالتين إحداهما هي «مصر وسوريا» تحدث فيها عن الحكم الإسلامي في هذين البلدين ، وكان تركيزه على موقف القبط في مصر من الدولة الإسلامية وتذمرهم – في نظره – من ارتفاع الضرائب ومن جبايتها . وتحدث كذلك عن الحركات السياسية والفكرية في مصر وسوريا .

أما مقالته الأخرى فهي بعنوان : «الحكومة والمجتمع والحياة الاقتصادية تحت الحكم العباسي والفاطمي» .

3 - **Islam in History**. London : Alcove Press, 1973.

الإسلام في التاريخ ، (١٩٧٣م) .

وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة من البحوث والدراسات التي كان لويس قد نشرها سابقًا أو شارك بها في مؤتمرات وندوات مختلفة . وتتناول قضايا التاريخ الإسلامي من عصر صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر ، بعضها في الجوانب الفكرية وبعضها تاريخي. وهو كتاب يفتقد إلى الانسجام بين موضوعاته أو المنهجية في التأليف (٢) .

4 - **History - remembered, recovered, invented** - Princeton : Princeton University Press, 1975. reprinted New York: Simon & Schuster, 1987.

التاريخ ، تذكره ، اكتشافه ، اختراعه ، (برنستون مطبعة جامعة برنستون) ، ١٩٧٥م . أراد لويس في هذا الكتاب أن يتحدث عن فلسفة التاريخ متخذاً من تاريخ الشرق الأوسط ميدانًا لتطبيق هذه الفلسفة ، وكما يشير العنوان ، فإن لويس قسم التاريخ إلى ثلاثة أنواع تذكر الماضي ، ويشترك في هذا الأمر الأشخاص والقبائل والدول . والقسم الثاني إعادة اكتشاف التاريخ ، وهو ما ضرب له المثال باحتفال الشاه بمرور ٢٥٠٠ سنة على ميلاد الدولة الساسانية ، وحادثة المسادا في التاريخ اليهودي . والتاريخ المخترع هو القسم الثالث الذي يقدم لأهداف كثيرة من بينها تأييد السلطة وتأكيد هيمنتها ، وغير ذلك من الأهداف . وقد استغل لويس هذا الكتاب ليطعن في إنجازات المسلمين في الأندلس زاعمًا أن المسلمين يضخمون دورهم الحضاري في هذه البلاد .

5 - **The Muslim discovery of Europe**. New York : W. W. Norton , 1982.

اكتشاف المسلمين لأوربا (١٩٨٢م) . وأصل هذا الكتاب بحث نشر في مجلة الدراسات الشرقية والأفريقية عام ١٩٥٧ ، أشار المؤلف فيه إلى اهتمام المؤرخين عادة باكتشاف أوربا للعالم الإسلامي وموقفها منه . ولكنه أراد أن يبحث موقف العالم الإسلامي من أوربا ، وكيف تطور هذا الموقف من تجاهل تام إلى الخضوع والتغريب وزعم أن سبب تجاهل المسلمين لأوربا هو اعتقادهم بأن الأوربيين كانوا همجًا ، وليس لديهم ما يمكن أن يقدموه للمسلمين . وثانيًا لقناعة المسلمين باكتفائهم بما لديهم من نظم وفكر . وهنا تجاهل لويس أن الاعتقاد بأن أوربا كانت همجية في قرونها الوسطى لم يكن رأي المسلمين وحدهم ؛ بل هو الرأي العلمي السائد . أما مسألة الاكتفاء فثمة فرق واضح بين الاكتفاء في مجالات العقيدة والنظم التي جاء بها الإسلام وتتفوق على كل ما يمكن للبشر أن ينتجوه من فكر ، وبين الاقتباس في شئون العلم . وقد أثبت التاريخ انفتاح المسلمين على حضارات الأمم جميعًا يؤيد ذلك أعمال الترجمة التي شملت جميع المجالات .

ب - الفكر السياسي الإسلامي والحركات الإسلامية المعاصرة

من القضايا التي أولاها لويس عنايته الخاصة مسألة الفكر السياسي في الإسلام ، ويأتي اهتمامه بالحركات الإسلامية المعاصرة من زاويتين إحداهما موقف هذه الحركات من قضية فلسطين وموقفها من الغرب ومن كتابته في هذا المجال ما يأتي :

1 -"Communism and Islam" in **International Affairs**, vol. 30. Jan. 1954. pp. 1-12.

«الشيوعية والإسلام» في مجلة شئون دولية ، ١٩٥٤ .

وكان الأصل في الموضوع محاضرة ألقيت في تشاثام هاوس Chatham House في ٦ أكتوبر ١٩٥٣ حاول الكاتب أن يجد تقاربًا بين الفكر الإسلامي والشيوعية، وبخاصة في مسألة الإذعان للسلطة والخضوع لها .

2 -"Return of Islam, in **Commentary**, Jan. 1967. pp. 89-101.

أعيد نشر هذا المقال في **Middle East Review** ثم نشر مرة ثالثة ضمن كتاب **Religion and Politics in the Middle East** . Princeton : Princeton University Press. 1981.

وقد قامت مجلة الدعوة المصرية التي كانت تصدر من النمسا بترجمة المقال ونشره في أعدادها ٨٦ إلى ٨٩ في الفترة من ذي القعدة ١٤٠٣ حتى صفر ١٤٠٤ (٣) .

ركز لويس في هذا المقال على أهمية الدين الإسلامي ودوره في أحداث العالم الإسلامي ، وتناول الدولة الإسلامية وانطلاقها من العقيدة الإسلامية ضاربًا المثل

بالدولة الإسلامية التي قامت في المدينة المنورة بعد هجرة المصطفى ﷺ إليها ، وقد ذكر إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق أن هذا المقال هو إعادة أو تكرار لمقال سبق أن نشره لويس بعنوان «المفاهيم الإسلامية للثورة» Islamic Concepts of Revolution (1) .

3 - Politics and war In Islam in The **Legacy of Islam** edited by Joseph Schacht and C.E. Bosworth. (Oxford : 1974) pp. 156- 208.

وقد ترجم هذا البحث إلى العربية (1) .

تناول لويس في هذا البحث مسألة الدين والسياسة مقارنًا بين الإسلام والمسيحية مشيرًا إلى القول المنسوب إلى عيسى ، عليه السلام : «أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله» وتحدث عن مسألة الجهاد والفتوحات الإسلامية . كما ناقش مصطلح الأمة زاعمًا أن أصل الكلمة عبري وتحدث عن رسائل الرسول ﷺ إلى الزعماء والملوك في عصره مشككًا في صحة هذه الرسائل .

٤ - «الدولة والفرد في المجتمع الإسلامي» بحث ألقاه لويس في ندوة اليونسكو التي عقدت في باريس في شهر أكتوبر عام ١٩٨٢ بعنوان «رؤية الإسلام السياسية والأخلاق» نشر مترجمًا في مجلة الثقافة (الجزائر) ع٩ صفر / ربيع أول ١٤٠٦هـ / نوفمبر / ديسمبر ١٩٨٥م ، ص٧١ - ٨٧ . وقد قام لويس بنشر هذا البحث مختصرًا في دورية مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية عام ١٩٨٦م بعنوان :

4 - "On the quitist and activist traditions in Islamic political writing," in **Bulletin of the School of Oriental and African Studies**, vol. 49 (1986) : pp. 141 - 147.

وتناول المؤلف في هذا البحث قضايا مهمة في الفكر السياسي الإسلامي أبرزها قضية الطاعة للسلطة من قبل الفرد . وقسم الفكر السياسي الإسلامي إلى موقفين أحدهما الإذعان والخنوع والثاني التمرد . وحاول أن يحشد الأدلة لتبرير أن الموقف الغالب هو موقف الإذعان والخنوع والخضوع . وهنا يجعل لويس واقع المسلمين حكمًا على الدين الإسلامي الذي بمجرد النطق بالشهادتين يخرج المسلم من العبودية والذل لكل شيء إلى العبودية الحقيقية لله الواحد القهار .

5 - Usurpes and Tyrants : Notes on some Islamic politcal terms "**in Logos Islamikos : Studia islamica in honorem Georgii Michaelis Wickens** edited by Roger M. Savory and Dionisius A. Agius, pp. 259 - 67 Papers in Mediaeval Studies 6. Toronto : 1984.

«المغتصبون والمستبدون : ملاحظات حول بعض المصطلحات السياسية الإسلامية» (١٩٨٤) . ويبدو أن موضوع المصطلحات والمفردات من الأمور التي يهتم بها لويس كثيرًا حيث ناقشها في أكثر من مقال وبحث ، وأخيرًا أفردها بكتاب مستقل بعنوان «اللغة السياسية في الإسلام (Political language of Islam Chicago and London : 1988 .

وكان لويس قد أشرف على أحد الباحثين اليهود وهو Ami Aylon في بحثه المعنون «نظرة الشرق أوسطيين للغرب : دراسة في المصطلحات السياسية العربية» عام ١٩٨٠ . وقد سبق للويس أن نشر كتابًا بعد الحرب العالمية الثانية بقليل بعنوان : **A Handbook of Diplomatic and Political Arabic** (London : 1974) Reprinted 1956.

دليل المصطلحات الدبلوماسية والسياسية العربية (١٩٤٧) وأعيد طبعه سنة ١٩٥٦ .

6 - Islamic political movements in **Middle East Insigth** 3, (April 1984) pp. 12-17.

«الحركات السياسية الإسلامية» .

وأعيد نشره في مجلة **Middle East Review** في صيف ١٩٨٥م وص٢٣ - ٢٧ وفيه أشار لويس إلى قيام الدول الإسلامية بالتعاون وتكوين جمعيات ومؤتمرات دولية مثل رابطة العالم الإسلامي ومنظمة مؤتمر الدول الإسلامية ، وتعرض لويس بسخرية خفية إلى مسألة الدين كرابطة في العصر الحاضر بين الدول ، وضرب الأمثلة باجتماعات تخيلها بين بعض الدول الأوربية بناءً على اعتناق شعوبها للكاثوليكية أو البروتستانتية ، أو اجتماع بعض دول جنوب شرق آسيا التي تعتنق البوذية .

ولما قامت الثورة في إيران عاد لويس إلى الحديث عن الثورة في الإسلام والفكر السياسي في مقالات صحافية ، وبخاصة في مجلة نيويورك لمراجعة الكتب

New York Review of Books ومع ذلك فلابد من ذكر كتاب له نال شهرة واسعة ، وترجم إلى اللغة العربية وهو كتاب «الشرق الأوسط والغرب» والذي ترجمه نبيل صبحي دون معلومات نشر ، وأعيد طبعه لدى دار المختار الإسلامي للنشر – وقد تناول لويس في هذا الكتاب مجالات واسعة من أبرزها التغريب والصحوة الإسلامية (٦) .

ج – الفرق والعقيدة الإسلامية

1 - The Origins of Ismailism. (Cambridge : 1940) reprinted in New York 1975.

«أصول الإسماعيلية» . ترجمة خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب . بغداد : مكتبة المثنى ، ١٩٥٤م .

هذا الكتاب في الأصل هو رسالة الدكتوراه التي تقدم بها لويس إلى مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية عام ١٩٣٩ ونشرت بعد ذلك بعام واحد . وكانت تحت إشراف المستشرق هاملتون جب . وفي هذا البحث قسم لويس الموضوع إلى قسمين تحدث في القسم الأول عن المصادر حيث جعلها مصادر شيعية ومصادر سنية . وقلل من أهمية مراجع السنّة للخلاف الذي بين السنّة والشيعة (في نظر لويس) ، والسبب الآخر في ذلك أيضًا عدم اطلاع السنّة على مراجع الشيعة . وتحدث في القسم الثاني عن الموضوع نفسه . وقد رجع لويس إلى العديد من المستشرقين الذين كتبوا في هذا الموضوع . ولعل دراسة لويس على يدي ماسنيون في باريس التي وجهته إلى دراسة قضايا الفرق .

وتناول لويس الفرق في عدة بحوث أخرى هي :

2 - "Saladin and the Assassins" in Bulletin of the School of Oriental and African Studies ,vol 15 (1952) pp.239-45.

«صلاح الدين والحشاشون» .

3 - "The Sources of the History of the Syrian Assassins" in Speculum 17 (1952) pp. 475 - 89.

«مصادر تاريخ الحشاشين في سوريا» .

4 - "Assassins of Syria and Isma'ilis of Persia" in La Persia nel Medioevo (Rome : 1971) pp. 573 - 80.

«الحشاشون في سوريا والإسماعيلية في فارس» .

5 - The Assassins : A Radical Sect in Islam (London : 1967) (New York : 1968).

وترجم سهيل زكار الكتاب ونشره بعنوان (الحشيشية» (دمشق : ١٩٧١) وترجمه مرة أخرى في القاهرة محمد العزب موسى (القاهرة : ١٩٨٦) والكتاب في مجمله بالإضافة للتاريخ لهذه الفرقة المتطرفة محاولة من لويس أن يرسم صورة جميلة لهذه الفرقة زاعمًا أنها ذات فكر سياسي واقتصادي ، وإنها قامت ضد فساد الحكومات القائمة .

6 - "Some Observations on the Significance of Heresy in the History of Islam" In Studia Islamica 1(1952) pp.43-63.

«بعض الملاحظات على دلالة الهرطقة في التاريخ الإسلامي» (١٩٥٣) ناقش لويس في هذا البحث مسألة العقيدة الإسلامية وأسسها ، وركز على مسألة الإجماع وتعذره ، كما تناول مصطلح الهرطقة وأصله النصراني وعدم وجود أساس له في العقيدة الإسلامية ، وأن ما يقاربه هو مصطلح «البدعة» و «الغلو» . وتحدث لويس عن قضية الردة وطرق تطبيق حد الردة .

7 - "The Faith and Faithful" in The World of Islam (London : 1976) pp 23 - 40.

ونشر هذا الكتاب في الولايات المتحدة بعنوان :

Islam and the Arab World. New York: 1976.

وقد صدر هذا الكتاب المكون من عدد من البحوث بإشراف برنارد لويس الذي كتب مقدمة له تتكون من ست صفحات تناول فيها قضايا عديدة من تاريخ الإسلام ، وكان التركيز على التاريخ السياسي حيث ضمنت عناوين فرعية مثل : «طبيعة الدولة الإسلامية» ، و «الأزمة الأولى» و «الخلافة» و «العرب يتخلون عن السلطة» وغيرها (٧) . أما البحث نفسه فقد تناول فيه لويس العقيدة الإسلامية بإيجاز شديد ثم انطلق للحديث عن الأركان الخمسة ، وبعد ذلك تحدث عن أقسام المجتمع وعلاقته بأهل الذمة وطرح قضايا متعددة سوف يتم تناولها في موضعها – بإذن الله.

د – دراسات في المجتمع الإسلامي

1 - "The Islamic Guilds" . in, Economic History Review 8 (1937) pp. 20-37.

وقد ترجم عبدالعزيز الدوري هذا البحث بعنوان «النقابات الإسلامية» ونشر في مجلة الرسالة .

١ – مج٨ ، ع٣٥٥ ، ١٣٥٩/٣/١٤ ص٦٩٦–٦٩٨.
٢ – مج٨ ، ع٣٥٦ ، ١٣٥٩/٣/٢١ ص٧٣٥–٧٣٧
٣ – مج٨ ، ع٣٥٧ ، ١٣٥٩/٣/٢٨ ص٧٨٦–٧٨٨
٤ – مج٨ ، ع٣٦٢ ، ١٣٥٩/٥/٤ ص٩٧٣–٩٧٥

تناول لويس هذه المسألة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية ، وكانت النقابات في نشأتها جزءاً من الحركات والفرق المنحرفة . وتناول من خلال النقابات التشريعات الاجتماعية والاقتصادية ، واستند لويس كثيراً في هذا البحث على ما كتبه أستاذه لوي ماسنيون .

2 - Men, Women and Traditions in Turkey. The Geographical Magazine December, 1959. pp. 346 - 54 .

«الرجال والنساء والتقاليد في تركيا ، ونشر في المجلة الجغرافية عدد ديسمبر ١٩٥٩ . تناول لويس في هذا البحث العلاقة بين الرجل والمرأة في تركيا ، والتقاليد التركية التي تحكم هذه العلاقة والتطورات التي حدثت بدخول أو بفرض العلمانية .

3 - "Govrnment, Society and Economic Life Under the Abbasids and Fatmids", in the Cambridge Medieval History (New edition.) vol 4. Cambridge : 1966 .

«الحكومة والمجتمع والحياة الاقتصادية تحت الحكم العباسي والفاطمي» .

4 - Sources for the Economic History of the Middle East in Studies in the Economic History of the Middle East from the Rise of Islam to the Present day. (edited by M. A. Cook) (London : 1970) pp. 78 - 92.

مصادر التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط منذ ظهور الإسلام حتى التاريخ الحديث (١٩٦٦) .

هـ - الدولة العثمانية وتركيا الحديثة

بدأ اهتمام لويس بالتاريخ العثماني وتركيا الحديثة مبكراً حيث أصدر أول كتبه عن تركيا عام ١٩٥٠ بعنوان :

1 - Notes and Document From the Turkish Archives (Jerssalem: Israel Oriental Society : 1952) .

«ملاحظات ووثائق من الأرشيف التركي» . وقامت بنشر الكتاب جمعية الاستشراق الإسرائيلية عام ١٩٥٢ .

وفي عام ١٩٦١ أصدر لويس كتابه الثاني «ظهور تركيا الحديثة» :

2 - The Emergence of modern Turkey (London and New York : 1961).

ونشر معدلاً عام ١٩٦٨ ، وأعيد طبعه عام ١٩٦٩ و ١٩٨٧ . وفي عام ١٩٦٣ أصدر كتاباً آخر عن الحضارة العثمانية هو :

3 - Istanbul and the civilization of the Ottoman Empire (Norman : University of Oklahoma Press : 1963) .

وقد ترجم الكتاب إلى اللغة العربية وظهرت طبعته الأولى في بنغازي بليبيا عام ١٩٧٤ ، وصدرت الطبعة الثانية للمترجم نفسه سيد رضوان علي بعنوان : «إسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية» (جدة : الدار السعودية للنشر: ١٤٠٢ / ١٩٨٢) وكانت طبعة منقحة ومزيدة . وقد استغل لويس هذا الكتاب ليطعن في الفكر السياسي الإسلامي ، وفي مكانة العلماء في الإسلام ، وكذلك في العبادات . وقد قام المترجم – وإن كان غير متخصص في التاريخ العثماني – بالتعليق والرد على أخطاء لويس في القضايا العامة التي تخص الإسلام عقيدة وشريعة مما أغضب لويس كما ذكر المترجم ذلك في مقدمته للطبعة الثانية .

وتأكد اهتمام لويس بتركيا في مقالات وبحوث مختلفة نذكرها فيما يأتي :

1 - "The Ottoman Archives as a source for the history of the Arab Lands" in Journal of the Royal Asiatic Society. (1951) pp. 139 - 55.

«الأرشيف العثماني كمصدر لتاريخ البلاد العربية» .

2 - "Recent developments in Turkey" in International Affairs. vol 27 (1951) pp.320 - 331.

«التطورات الأخيرة في تركيا» في مجلة شئون دولية (١٩٥١) .

3 - "The Impact of the French Revolution on Turkey" in Journal of World History. vol 1 (1952) pp.105 25.

«أثر الثورة الفرنسية في تركيا» في مجلة تاريخ العالم (١٩٥٢) . تتبع لويس في هذا المقال أثر الثورة الفرنسية في تركيا من الناحية الفكرية مبتدئاً بأسباب

قبول الثورة الفرنسية ، معللاً ذلك بأن الثورة كانت تعادي النصرانية لعلمانيتها – وناقش لويس بعض الأفكار التي زعم أنها انتقلت إلى تركيا مثل الحرية والمساواة وغيرها .

4 - "Islamic Revival in Turkey" in **International Affairs**, vol. 18 Jan. 1952, pp. 38 - 48.

«الإحياء الإسلامي في تركيا» في مجلة شئون دولية مجلد ١٨ ، يناير ١٩٥٢ .

تناول لويس في هذه المقالة مظاهر الإحياء الإسلامي في تركيا ، وبخاصة بعد هلاك مصطفى كمال ، وأول هذه المظاهر في الناحية الثقافية رفض الأتراك ترجمة دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية كما هي ، ولذلك ذُيِّلت كل ملزمة من ملازم هذه الدائرة بتعليقات واسعة توضح ما في الدائرة الاستشراقية من أخطاء وتجاوزات . وكان المظهر الثاني من حركة الإحياء المطالبة بالتعليم الإسلامي في المدارس ، كما اتضحت هذه الحركة في الصحافة الإسلامية وفي ازدياد رواد المساجد . ورغم هذه المظاهر إلا أن لويس يستبعد أن يستطيع الأتراك أو غيرهم من المسلمين أن يجمعوا بين أفضل عناصر الشرق والغرب لأن ذلك لا جدوى منه .

5 - "Constantinople and the Arabs" In, **The Fall of Constantinople : A Symposium** (London) : London University, School Of Oriental and African Studies, (1955) pp. 12 - 17.

ترجم إلى التركية .

«القسطنطينية والعرب» في ندوة سقوط القسطنطينية، ونشر ضمن بحوث الندوة عن مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية عام ١٩٥٥ .

وقد عقدت الندوة في ٢٩ مايو ١٩٥٣ بمناسبة مرور خمس مئة سنة على فتح القسطنطينية (سقوط القسطنطينية) . وفي هذا البحث تحدث لويس عن محاولات المسلمين المتكررة لفتح هذه المدينة ، وأورد بعض الأحاديث المتضمنة النبوءةَ بفتحها ، ولم يهتم لويس بإسناد الأحاديث أو درجتها ، ولم يزد على نسبتها لكتاب «كنز العمال» وعندما لم تصدق بعض النبوءات وفق هذه الأحاديث جعل الموضوع سخرية وتهكمًا .

6 - "Some reflections on decline of the Ottoman Empire" in **Studia Islamica** 9 (1958) pp. 111 - 24.

«بعض الانعكاسات حول تدهور الإمبراطورية العثمانية» (١٩٥٨) . بيّن لويس في أول بحثه أن هناك نقصًا في الاهتمام بأسباب تراجع «الإمبراطورية» العثمانية وانهيارها ، ثم حدد ثلاث مجموعات من العوامل أدت – في نظره – إلى تدهور الدولة العثمانية وانهيارها هي : عوامل تتعلق بالحكومة وقوتها وشخصياتها ، وثانيًا عوامل اقتصادية واجتماعية ، وثالثًا : تغيرات أخلاقية وثقافية وفكرية .

7 - "Turkey : Westernization" in **Unity and Variety in Muslim Civilization**, edited by G. E. von Grunebaum, Chicago : University of Chicage Press, 1956.

«تركيا – التغريب» ونشر ضمن كتاب بعنوان «الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية» . ونشر في الولايات المتحدة الأمريكية . وهذا يدل على صلة لويس المبكرة بالولايات المتحدة والمستشرقين فيها وبمؤسساتها العلمية .

انطلق لويس في حديثه عن تغريب تركيا من تبني تركيا لنظام الحكم الغربي البرلماني الدستوري ذي الأحزاب السياسية ، وبالرغم من أن التغريب بدأ في تركيا كما في غيرها من البلاد الإسلامية من أواخر القرن التاسع عشر ، لكنه كان أكثر نجاحًا في تركيا . وبعد أن بحث لويس أسباب النجاح أكد على أن عقلية الأتراك تأثرت بالغرب حتى كادت تصبح غربية ، وذلك بالقدرة على استيعاب الكل المتكون من أجزاء متداخلة وذات علاقة بدلاً من النظرة الجزئية إلى الأمور ... وفي سياق الحديث تناول علاقة تركيا بالإسلام وعلاقتها بالغرب .

8 - "What have we done to her lately : Turkey turns away" in **The New Republic**, February 18, 1978.

«ماذا فعلنا لها مؤخراً ؟ تركيا تتجه بعيداً» تناول لويس في هذا المقال اختيار تركيا خط التغريب فكرياً وسياسياً ، ولكن هذا الاختيار وجد من يعترض عليه ، وحدد الجهات الرافضة للتغريب بأنها .

١ – المتمسكون بالإسلام التقليدي المعارضون لإلغاء الخلافة المنادون بتطبيق الشريعة ... إلخ .

٢ – المؤيدون لليسار وهذا اليسار تم استيراده من لندن وباريس . وتناول لويس تدخل تركيا في قبرص

وامتناع أمريكا عن تزويد تركيا بالأسلحة في حين استمرت في تزويد اليونان بها .

٣ – دعاة الجامعة الإسلامية فتركيا التي عرفت حتى الآن بأنها دولة علمانية ترفض كل الروابط الإسلامية أصبحت تبعث مسئولين ذوي مستوى رفيع إلى الاجتماعات الإسلامية .

و - اليهود والإسلام وقضية فلسطين :

إن يهودية لويس تبدو واضحة من خلال معالجته لكل القضايا التي يتناولها مما سيكون موضع بحث ، ولكنها أشد ما تكون وضوحًا في اهتماماته الخاصة بتاريخ اليهود وقضية فلسطين منذ عام ١٩٦٨ حيث كتب عدداً من الكتب والمقالات والبحوث تربو على العشرين منها ما يأتي:

1 - "A Jewish source on Damascus just after the Ottoman Conquest" in **Bulletin of the School of Oriental and African Studies.** vol. 10 (1939) pp. 179 - 84.

«مصدر يهودي عن دمشق بعد الفتح العثماني» يقدم فيه لويس ترجمة وتعليقًا على هذا المصدر اليهودي مجهول النسبة ، حيث يهتم هذا الرحالة بأحوال دمشق من الناحية الاقتصادية ، كما يهتم بأحوال اليهود في دمشق ومعابدهم، وأوضاعهم الاقتصادية ، وتقديمهم القروض بربا يصل إلى أربع وعشرين في المئة .

2 - **Notes and Documents from the Turkish Archives : A Contribution to the History of the Jews in the Ottoman Empire** (Jerusalem : Israel Oriental Sociey, 1952) .

ملاحظات ووثائق من الأرشيف التركي : إسهام في تاريخ الإمبراطورية العثمانية (القدس : جمعية الاستشراق الإسرائيلية ، ١٩٥٢) .

يلاحظ من العنوان الفرعي أن هدف هذا الكتاب تقديم اليهود من خلال الوثائق العثمانية ، ويزداد الأمر وضوحاً من خلال عناوين فصول الكتاب ، وهي :

أ – الأرشيف العثماني كمصدر للتاريخ اليهودي .

ب – اليهود في فلسطين في القرن السادس عشر .

ج – اليهود في مدن سوريا في القرن السادس عشر.

د – طرد اليهود من صفدفي ١٥٧٦ – ١٥٧٧ .

3 - "The Arab - Israeli War : The consequences of defeat.in **Foreign Afairs** vol. 46 January 1968 .

«الحرب العربية الإسرائيلية : عواقب الهزيمة» .

بدأ لويس مقالته هذه بالشعار الذي نادت به بعض الدول العربية بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وهو «إزالة آثار العدوان» مستبعداً أن يكون هذا ممكنًا في هذا القرن الذي حدثت فيه حروب كثيرة ، واضطر الملايين إلى ترك ديارهم زاعماً أن نتائج الحرب لا يمكن إبطالها ، أو إعادة الوضع كما كان . ثم تناول لويس موقف روسيا المؤيد للعرب وتآمرها في نظره ضد إسرائيل .

4 - "The Pro - Islamic Jew" in, **Judaism** (New York) vol. 17, No.4, Fall Issue 1968 pp. 391 - 404.

«اليهودي المناصر للإسلام» في مجلة اليهودية : مجلة فصلية لحياة اليهود وفكرهم ، ١٩٦٨ .

تحدث لويس في هذا المقال عن دزرائيلي – رئيس الوزراء البريطاني (١٨٠٤ – ١٨٨١) وموقفه المؤيد – حسب زعمه – للدولة العثمانية ضد روسيا ، ولكن لويس ضرب صفحًا عن كل ما قيل حول دزرائيلي أو اللورد بيكونسفيلد Lord Beaconsfield ومواقفه في تدبير استيلاء بريطانيا على أسهم قناة السويس عام ١٨٧٥ ، ولا شك أن موقف دزرائيلي لم يكن حبًا في الدولة العثمانية أو لضمان استقرار الأمور ، ولكن لتنال بريطانيا وبالتالي اليهود مزايا لمصلحتهم (٨) . استغل لويس هذه المقالة ليستعرض بعض المستشرقين اليهود وإسهاماتهم في الدراسات العربية الإسلامية متخذاً أسلوب الدعاية والتمجيد لكل هؤلاء ، وذكر منهم مثلاً المستشرق اليهودي مارجليوث .

5 - "The Great Powers, The Arabs and the Israelis" in, **Foregin Affairs**,vol. 46, No. 4, 1969, pp. 642 - 652.

«القوى العظمى ، والعرب والإسرائيليون» في مجلة شئون خارجية . تناول لويس في هذا المقال ما يمكن أن تقدمه القوى العظمى لإيجاد حلول سياسية للصراع العربي الإسرائيلي ، ووضح كيف أفاد السوفيت من هذا الصراع بأن استطاعوا تحقيق مكانة لهم في المنطقة . وقدم بعض الآراء التي تنسب إلى روسيا رغبتها في هزيمة العرب لاستمرار اعتمادهم عليها .

6 -"Semites and anti - semites : race in the Arab - Israel conflict" in, Survey No. 2. Spring 1971, pp. 169 - 84.

«الساميون والمعادون للسامية» : العرق في الصراع العربي الإسرائيلي (١٩٧١) . وبهذا ينتقل لويس من البحث في قضية الصراع العربي اليهودي (الإسرائيلي) من الجانب السياسي إلى الجانب العرقي، ويتناول انتقال معاداة السامية من أوربا إلى العالم العربي . وهذا المقال أصبح موضوع كتاب يحمل العنوان نفسه صدر ١٩٨٦ ، والمقال نفسه هو في الأصل محاضرة ألقاها لويس في معهد علاقات الأجناس في لندن في فبراير ١٩٧١ .

7 -"The Palestinians and the PLO : a historical approach." in Commentary, Jan. 1975, pp. 32 - 48 .

وهو دفاع عن اليهود والصهيونية ضد منظمة فتح الفلسطينية .

8 - Hearings before the Permanent Sub-committee on Investigations of the Committee on Government Operations United States Senate Ninety - Third Congress - Second Session - Part 3 with Bernard Lewis .

ونظراً لهذا الإنتاج الغزير في مجال العلاقات العربية اليهودية واتساع دائرة علاقات لويس بالأوساط السياسية الصهيونية فقد دعته لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس الأمريكي للمرة الثانية لإلقاء محاضرة على أعضاء اللجنة بعنوان «المرحلة الحالية للصراع العربي الإسرائيلي» وكان ذلك في مارس ١٩٧٤ . وكانت لجنة الشئون الخارجية برئاسة السناتور هنري جاكسون ، والذي رحب بالمحاضر ، والذي كان قد عاد مؤخراً من زيارة لكل من إسرائيل ومصر. وقال جاكسون في ترحيبه بلويس : «إنني شديد الإيمان بأهمية التاريخ كمرشد يقود إلى اتخاذ قرارات حكيمة في الشئون الخارجية والدفاعية بما في ذلك معالجة المفاوضات الحاسمة كتلك التي تجرى الآن في قضية العرب وإسرائيل» وأضاف أن «قليلاً من الناس يساوون لويس في فهمه للتاريخ في مثل هذه القضية فهو بصفته مؤرخ بارز متميز متخصص في منطقة الشرق الأوسط سيكون قادراً على إلقاء أضواء جديدة على العلاقة بين الشرق والغرب وتطورات الشرق الأوسط» .

وبعد تعريف موجز ببرنارد لويس وإنجازاته العلمية بدأ لويس محاضرته التي أعقبها فصل من الأسئلة والأجوبة والتعليقات . ويبدا أن الجميع معجبون بلويس وبمحاضرته ، وشكروا له سعة اطلاعه ، وفهمه العميق لهذه القضايا . وهذه المحاضرة هي ضمن وثائق لجنة الشئون الخارجية الأمريكية بعنوان :

"The Present stage of the Arab - Israeli conflict"

وفي هذه المحاضرة تناول لويس مسألة المفاوضات مع إسرائيل ، وأكد أن مثل هذه المفاوضات لا يمكن أن تكون ناجحة حتى يكون هناك موافقة على الاعتراف بإسرائيل ... اعتراف بوجودها ، ثم يكون الحديث حول حدودها ، وبدون الشرط الأول لا يمكن أن تتم المفاوضات . فمسألة الحدود بالرغم من صعوبتها لكنها ، يمكن أن تحل بالنقاش والمفاوضات ، وربما بالوسائل الدبلوماسية . وكان لويس طوال محاضرته يدعو إلى التوصل إلى معاهدة سلام بين إسرائيل والعرب تتضمن تطبيع العلاقات بين جميع الأطراف .

ويلاحظ أن قسم المعلومات بوزارة الخارجية الإسرائيلية - بالقدس قام بنشر المحاضرة كاملة بعد شهر واحد من إلقائها . ولكن لويس لم يشر من قريب أو بعيد لهذه الأعمال السياسية في الكتاب الذي وضع تكريماً له بمناسبة بلوغه السبعين عاماً (٩) .

9 -"The Anti - Zionist Resolution" in, Foregin Affairs. vol. 55. October, 1967. pp. 54 - 64.

وعندما أصدرت هيئة الأمم المتحدة قرارها بعدّ الصهيونية حركة عنصرية انبرى لويس للرد على هذا القرار بمقالة ظهرت بسرعة مدهشة في مجلة Foregin Affairs حاول فيها تبرئة الصهيونية من العنصرية واتهام روسيا والعرب بالتآمر لإصدار مثل هذا القرار .

10- "Settling The Arab-Israeli Conflict" in, Commentary vol. 63, June 1977, pp.50 - 56.

«حل النزاع العربي – الإسرائيلي»
وهو مواصلة لاهتمام لويس في هذا الميدان الذي يحاول أن يضفي على نفسه فيه صفة الباحث عن السلام .

11- "Is Peace still Possible in the Middle East : The Egyptian Perspective." in, Commentary vol 66. July 1978. pp. 37 - 45.

هل السلام مازال ممكنًا في الشرق الأوسط ؟ وجهة النظر المصرية . في مجلة كومنتري ١٩٧٨ .

12- "The Bases of political power and perceptions in the Middle East" in, the Political Economy of the Middle East : 1973 - 78, A Compendium of Papers submitted to the Joint Economic Committee, Congress of the United States, Washington D. C : Goverment Printing Office, 21 April 1980.

«أسس القوة السياسية والمفاهيم في الشرق الأوسط» قُدِّمَ هذا البحث ضمن مجموعة بحوث تحت عنوان الاقتصاد السياسي للشرق الأوسط من ١٩٧٣ حتى ١٩٧٨ للجنة المشتركة في الكونجرس الأمريكي ، وصدر عن المطبعة الحكومية في واشنطن العاصمة بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٨٠.

ولعل هذا البحث الثالث الذي قدمه لويس للحكومة الأمريكية كان قبل حصوله على الجنسية الأمريكية بعامين.

13- The Jews of Islam (Princeton : Princeton University Press, 1984).

في هذا الكتاب حاول لويس أن يثبت أن العداء لليهود الذي كان منتشراً في أوربا في القرن التاسع عشر قد انتقل إلى البلاد العربية بسبب الاستعمار وهيمنة الغرب السياسية والفكرية على العالم العربي . كما تناول لويس موقف الإسلام من اليهود بوصفهم من «أهل الذمة» زاعمًا أنهم كانوا مواطنين من الدرجة الثانية لا يتمتعون بحقوق المواطنة الكاملة ، كانت تجبى منهم الضرائب الباهظة ، وأن ما زعم عن التسامح الإسلامي ليس إلا أمرًا نسبيًا ، وذلك لأن هذا التسامح يقارن عادة بما حدث لليهود في أوربا ، وما كان يحدث بين الفرق النصرانية المختلفة ، وبخاصة محاكم التفتيش التي أقامتها الكنيسة الكاثوليكية .

14 - The New Anti-Semitisim. in New York Review of Book, April 10, 1986.

«المعادة للسامية الجديدة» .

15 - Semites and anti semits (New York: 1986) .

«الساميون والمعادون للسامية» (نيويورك : ١٩٨٦) .

وهو إعادة لبعض ما سبق أن نشره في عدة صحف ودوريات ، ومن اللافت للنظر أن لويس أعاد نشر مقالته السابقة ضمن هذا الكتاب مع تعديلات طفيفة تشبه ما يفعله الكاتب عندما يراجع ما يكتب فيضيف كلمتين أو ثلاث ، أو يحذف مثلها ، وهو لم يشر لنشرة جريدة نيويورك تايمز في هذا العدد ، ولعل هذه المسألة تتعلق بحقوق النشر وما يتبعها من حقوق مالية .

يبدو أن هذه الجهود التي قام بها لويس في الدفاع عن إسرائيل ، واتخاذ موقف صهيوني واضح لم تذهب هباءً ؛ فقد تم اختياره ليرأس معهد بحوث اننبرج Annenberg للدراسات اليهودية ودراسات الشرق الأدنى ، وتم الإعلان عن أهداف هذا المعهد في المجلة الفصلية اليهودية في شهر يولية ١٩٨٦ بعنوان :

Annenberg Research Institute For Judaic and Near Eastern Studies : Statement of Purpose, in The Jewish Quarterly Review vol. LXXVII, No. 1 (July 1986) p .1 - 4 .

وكما ذكر سالفًا أن اهتمام لويس باليهود والتاريخ اليهودي وقضية اليهود في المحافظة على دولتهم لم يقتصر على الكتابات السابقة ذات الطابع السياسي ؛ بل كانت هناك بعض الدراسات والبحوث التي تهتم بجوانب من التاريخ اليهودي ، منها ما يأتي :

16 - (Coauthor with Amnon Cohen) Population and revenue in the towns of Palestine in the Sixteenth Century (Princeton : Princeton University Press, 1978) .

بالاشتراك مع أمون كوهين : «السكان والإيرادات في مدن فلسطين في القرن السادس عشر» صدر عن جامعة برنستون سنة ١٩٧٨ .

17 - "Palestine : on the history and geograply of a name," in International History Review, vol. 11, January 1980, pp. 1 - 12.

فلسطين : حول تاريخية الاسم وجغرافيته ، يناير ١٩٨٠ .

18 - A Letter from Little Menahem. in Studies in Judaism and Islam in Honour of Professor S.D. Goiten's 80 Birthday (Jerusalim Magnes Press, 1981) .

«الرسالة من مناحيم الصغير» في كتاب دراسات في اليهودية والإسلام تكريمًا للبروفيسور اس . دي . جويتن لبلوغه سن الثمانين ، ونشر الكتاب في القدس عام ١٩٨١ .

19 - Coeditor with Benjamin Braude : Christians and Jews in the Ottoman Empire. 2 vols. New York: 1982) .

شارك في تحرير الكتاب «النصارى واليهود في الإمبراطورية العثمانية» وقد صدر في مجلدين في نيويورك عام ١٩٨٢ ، وهذا عبارة عن محاضرات ومداولات مؤتمر عقد تحت هذا العنوان .

20- "The Decline and Fall of Islamic Jewry" in Commentary, June 1984 pp.44-54.

«انحدار وسقوط اليهود في البلاد الإسلامية» وهو جزء من كتابه «يهود الإسلام» .

ز - برنارد لويس والاستشراق :

ونختم الحديث عن كتابات لويس بالحديث عن الاهتمام الخاص الذي أولاه لويس في الكتابة عن الاستشراق والدفاع عن هذا الفرع من الدراسات . وقد بدأ لويس الكتابة في هذا الموضوع بالأحاديث الإذاعية التي بثت من خلال الإذاعة البريطانية في أثناء الحرب العالمية الثانية بعنوان «تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية» (بدون ناشر وبدون تاريخ) بينما نشر النص الإنجليزي بعنوان مختلف قليلاً وهو «إسهامات البريطانيين في الدراسات العربية» وصدرت الطبعة بتقديم للمستشرق أربري عام ١٩٤١ (١٠) .

ونشرت في ست مقالات لأول مرة في مجلة المستمع العربي (١١) . وعدد صفحات الكتاب ست وثلاثين صفحة مزودة بصور للمستشرقين ، ولبعض المعالم البريطانية كالمتحف البريطاني، وبعض الجامعات الإنجليزية؛ وقد كتب تحتها تعليقات دعائية من مثل «منظر رائع للمتحف البريطاني بلندن ... وفي ظلال التاريخ والتقاليد : ركن من مباني دار الكتب في جامعة أكسفورد» وغيرها .

والكتاب عبارة عن سرد تاريخي دعائي لجهود المستشرقين البريطانيين في الاهتمام بالدراسات العربية . يتناول الإيجابيات فقط ؛ فمن ذلك حديثه عن المستشرق بدول Bedwell حيث لم يذكر كتابه عن الرسول ﷺ الذي امتلأ حقدًا وعداوة وعصبية ، ولكنه ركز على اهتمام بدول باللغة العربية .

كما يلاحظ أن النص العربي حمل عبارات من مثل «النبي الكريم ﷺ» بينما لا توجد هذه العبارات في النص الإنجليزي .

واستمر لويس في اهتمامه بالكتابة عن الاستشراق مدافعًا ومناضلاً عن أهمية هذا الفرع المعرفي حتى كان من بين الذين حضروا مؤتمر المستشرقين الدولي الثالث والعشرين الذي عقد في باريس في شهر يوليو ١٩٧٣ ، وترأس لويس فيه جلسات البحوث حول تركيا ، وقد اتخذ هذا المؤتمر قرارًا بتغيير مسمى المؤتمر الدولي للمستشرقين إلى المؤتمر الدولي للعلوم الإنسانية في آسيا وشمال أفريقيا . وكان لويس من المؤيدين لهذا القرار حيث تناول في مقالته التي يرد فيها على كتاب إدوارد سعيد «الاستشراق» . ويتخذ لويس موقفًا خاصًا من الاستشراق يتلخص في أن الغرب قد تخطى مرحلة الإمبريالية والتوسع ، وأن معظم المستشرقين (وإن كان يرفض هذه التسمية الآن) لا يعملون إلاّ من أجل الوصول إلى المعرفة، وإن رائدهم في أبحاثهم هو طلب المعرفة فقط متخذين من الموضوعية والنزاهة منهجًا لهم ، وأنهم بالتالي لا يخضعون لعصبية جنسية أو للنظرة الفوقية التي كان ينظر بها مستشرقو عصور أوربا الوسطى للمسلمين وهذه هي مقالاته :

1 - "The Study of Islam" in Encounter (London) vol. 38 January 1972. pp. 31 - 39 .

«دراسة الإسلام» .

تحدث لويس في هذا المقال عن الطريقة التي كانت تتم بها دراسة الإسلام منذ عصور أوربا الوسطى حتى الوقت الحاضر . وأشار إلى الأهداف التنصيرية والتوسعية الاستعمارية والأهداف الاقتصادية . وتحدث عن نزعات الاستشراق المختلفة ، ولكنه استثنى المستشرقين اليهود الذي كان دخولهم إلى هذا المجال -

في نظره – إثراءً للدراسات العربية الإسلامية لعدم وجود أحقاد قديمة بينهم وبين المسلمين كالحروب الصليبية مثلاً ، ولإمكاناتهم الأكبر في تعلم اللغة العربية لقربها من اللغة العبرية .

وتحدث عن دراسة الإسلام لدى الشيوعيين في الوقت الحاضر ، وانتقدها بأنها حاولت أن تفسر التاريخ الإسلامي تفسيراً ماركسياً ، وقد بلغ الحد ببعض المستشرقين الروس نفي وجود النبي محمد ﷺ وغير ذلك من التشويه للإسلام ولنبيه عليه الصلاة والسلام ولشريعته. كما انتقد لويس أيضاً بعض المستشرقين الأوربيين الذين يخفون تعصبهم خلف الحواشي التي تميز الكتابات الأكاديمية .

2 - "The State of the Middle Eastern Studies," in, **The American Scholar**, Summer 1979. pp. 365 - 381.

«وضعية الدراسات الشرق أوسطية» في مجلة العالم الأمريكي ، صيف ١٩٧٩ . بالرغم من أن هذا المقال صدر بعد مدة من صدور كتاب إدوارد سعيد الاستشراق فإنه لم يتناوله بالرد ، وربما كتب المقال قبل ظهور كتاب إدوارد سعيد ، وقد ناقش لويس في بداية مقاله تطور الاستشراق، وكيف تأثر في انطلاقته بالتنصير والاستعمار ، ثم ذكر بعض كبار المستشرقين وكيف أنهم كانوا علماء حقاً ، ولم يتأثروا بهذه المؤثرات . وكرّر هنا رأيه في المستشرقين اليهود المبرئين – في نظره – من تهمة التعصب والتحريف. ثم جعل بقية مقاله لمناقشة وضع الدراسات العربية والإسلامية في بريطانيا وأمريكا ، وذكر أن الحاجة الماسة لعدد كبير من المتخصصين في هذه الدراسات بعد الحرب العالمية الثانية دفعت الحكومة البريطانية لتأليف لجنة حكومية لدراسة الوضع ، وقد وضعت هذه اللجنة اقتراحات كثيرة لتطوير الدراسات العربية الإسلامية في الجامعة البريطانية ، وقد تم الأخذ بكثير من مقترحات هذه اللجنة [١٢] . أما في أمريكا فقد بدأ الاهتمام بالدراسات الاستشراقية على نطاق واسع بعد الحرب العالمية الثانية ونظراً لعدم توافر الوقت لإعداد متخصصين أكفاء فقد امتلأت الساحة العلمية بمتخصصين كانو عبئاً على هذه الدراسات ، كما أن استعانة الجامعات الأمريكية ببعض المتخصصين من أبناء العالم الإسلامي أدى إلى انخفاض مستوى هذه الدراسات ، وخاصة إذ حرصت بعض الجامعات على تعيين متخصصين ينتمون إلى الأفكار والأيديولوجيات السائدة في البلد المطلوب دراسته كتعيين باحث ماركسي لدراسة روسيا . وتناول لويس بالرد على دراسة أعدتها لجنة منبثقة عن مؤتمر الشباب الإسلامي الذي عقد في ليبيا عام ١٩٧٣ وتم تحديث الدراسة عام ١٩٧٥ زاعماً بأنها أعدت من قبل شخص واحد لم يسمه لويس ، ولكنه ألمح إلى أنه ت . ب . إيرفنج T.B. Erving العالم المسلم الكندي المقيم في الولايات المتحدة . واتهم لويس الدراسة بالتحريض ضد سيطرة اليهود والمارونيين على هذه الدراسات في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا . ولم يقدم لويس أية أدلة أو براهين لنفي أو دحض افتراضات هذه الدراسة ، لكنه هو نفسه قدم اتهامات تشبه إلى حد كبير تقارير المخابرات حول تموين دولة عربية (ليبيا) لكرسي للدراسات العربية باسم زعيم ليبيا دون أن يحدد اسم الجامعة ، وإن كان قد أشار إلى أنها جامعة كاثوليكية . وهو بهذا يلمح إلى تدخل بعض الدول العربية في مسيرة هذه الدراسات عن طريق مساعداتها المالية لبعض المؤسسات مما يؤثر – في نظره – على حيدة هذه الأقسام ونزاهتها . ولكن لويس ينسى وجود عدد كبير من اليهود والصهاينة في قسم دراسات الشرق الأدنى بجامعة برنستون Princeton التي التحق بها لويس منذ عام ١٩٧٤ حتى تقاعده عام ١٩٨٨ بالإضافة إلى استدعاء أساتذة زائرين من العلمانيين والملحدين من أنحاء العالم الإسلامي ، فهذا بلا شك يؤثر على حيدة هذا القسم ونزاهته، وكذلك غيره من الأقسام المماثلة [١٣] .

3 - "The Question of Orientalism" in **New York Review of Books** Junt 24, 1982, pp. 49 - 56 .

كتب لويس هذا المقال بعد أربعة أعوام من ظهور كتاب إدوارد سعيد «الاستشراق» ليكون بمنزلة الرد عليه ، وقد بدأ لويس مقالته بأسلوبه المعتاد البعيد جداً عن الموضوع وعن الانفعال ، وأسهب في تفسير كلمة «استشراق» وكيف تحولت إلى لفظة ذات مدلولات سيئة ، وتتبع ظهور اللفظة ثم تحول المستشرقين إلى مصطلحات أخرى . وتحدث عن الصراع الذي دار في أروقة المؤتمر الثالث والعشرين الدولي للمستشرقين الذي عقد في باريس

عام ١٩٧٣ حول هذه التسمية ، وتشبث الروس من الاتحاد السوفيتي (سابقًا) بلفظ الاستشراق .

وتناول لويس كتاب إدوارد سعيد بالنقد ، وكان معظم النقد شخصياً وبعيداً عن الموضوعية ، ودار سجال فيما بعد بين الطرفين حيث قام إدوارد سعيد بالرد على لويس ثم أفسح المجال لبرنارد لويس بالتعقيب . ويرى لويس أن الاستشراق فرع معرفي هدفه العلم ، ولم يعد له ارتباط بالإمبريالية ، أو المصالح السياسية . وانحصر دور التنصير في مجال الاستشراق . وهذه في الواقع مغالطات واضحة ؛ لأن الاستشراق ما زال مرتبطًا بالمصالح السياسية وأوضح دليل على ذلك ما يقدمه أساتذة الجامعات من دراسات وبحوث أو نتائج هذه الدراسات للحكومات الغربية للإفادة منها في اتخاذ قراراتها السياسية . والتنصير لم يتوقف وما مؤتمر كولورادو الذي عقد عام ١٩٧٨ إلا دليلاً على هذا النشاط .

ثانياً : نشاطات لويس العلمية الأخرى :

أ - دوائر المعارف : دائرة المعارف الإسلامية

The Encyclopedia of Islam, Leiden : E. J. Brill.

اختير لويس عضواً محرراً في الطبعة الثانية من الموسوعة التي صدر منها حتى الآن سبعة مجلدات . وقد شارك لويس بنفسه في كتابة العديد من المواد في هذه الدائرة كما إن نفوذه في اختيار كتاب الدائرة لا شك يؤثر في الوجهة العلمية لها . وفيما يأتي نموذج لبعض هذه المواد من المجلدات الأول إلى الثالث :

المجلد الأول :

١ – العباسيون ص ١٥ – ٢٣ .

1 - Abbasids, PP. 15 - 23

٢ – الأبناء ص ١٠٢

2 - Al Abna', P. 102

٣ – أحمد مدحت ص ٢٨٩ – ٩٠ .

3 - Ahmad Midhat, P. 289 - 90

٤ – علي بن محمد الزنجي ص ٣٨٨ – ٨٩ .

4 - Ali b Muhammad Alzingi, P. 388 - 89

٥ – بنباشي (لقب تركي) ص ١٢٢٩ .

5 - Binbashi, P. 1229

المجلد الثاني : (١٤)

٦ – شاكرجي باشا ص ٦

٧ – شناجر باشي ص ١٥ .

٨ – تشمزادة ص ٢٦ .

٩ – دفتر ٧٧ – ٨١ .

١٠– دفتر دار ٨٣

١١– همايوني ٢٣٧ – ٢٣٩ .

١٢– جانكلي حاجي علي باشا ٤٤٦ – ٤٤٧ .

١٣– فضلي ٧٣٧ – ٧٣٨

١٤– فاكيري ٧٥٨

١٥– مصطفى إنجزاده فهيم (فهيمي كاديم) ص٨٧٨

١٦– فتنة زبيدة ٩٣١

١٧– غالب ديدي ٩٩٩ – ١٠٠٠

المجلد الثالث

١٨ – الحج ٣٣ – ٣٨

١٩– الحرمين ١٧٥ – ٢٥١

٢٠– فهمي أفندي ٢٥٠ – ٢٥١

٢١– حسن أفندي ٢٥١

٢٢– هاشمية ٢٦٧ – ٢٦٨

٢٣– حاتم بن هرثمة ٢٧٤

٢٤– أحمد حلمي أفندي ٣٩٢

٢٥– حرية ٥٨٩ – ٥٩٤

٢٦– ابن العديم ٢٩٥ – ٦٩٦

٢٧– ابن العطاش ٧٢٥

٢٨ – ابن الدواداري ٧٤٤

٢٩– إفرنج جاهد ٦٢١ – ٦٢٣

٣٠– حسين رحمي ٦٣٠ – ٦٣١

كما شارك لويس في دائرة المعارف البريطانية Britannica بمادة عنوانها «الفاطميون» في الطبعة الخامسة عشرة (١٩٧٤) المجلد السابع ص ١٩٣ – ٩٤ ، وشارك لويس في الكتابة في موسوعة تشامبرز عام ١٩٥٦ ص ٣٠٦ – ٣١٢ : Chambers (London Encyclopedia World Survey 1956) .

وكتب في الموسوعة نفسها عدداً آخر من المواد منها: سوريا ، ولبنان ، وفلسطين ، والإسماعيلية ، والوهابية ، والسنوسية ، والنصيرية ؛ وغير ذلك ولم يقتصر إسهامه على هذا العام فقد كان له مشاركات فيها في أعوام أخرى .

ب - الأحاديث الإذاعية والتلفازية :

دعي لويس لإلقاء أحاديث إذاعية منذ الحرب العالمية الثانية فكانت له ست حلقات بعنوان « المساهمات البريطانية في الدراسات العربية » عام ١٩٤٠ في الإذاعة البريطانية الموجهة للعالم العربي . واستمر هذا النشاط حيث ألقى مجموعة من الأحاديث عام ١٩٥١ . وفي عام ١٩٥٣ قدم أحاديث حول « الإمبراطورية العثمانية والإسلام » . وقد نشرت هذه الأحاديث في مجلة « المستمع العربي » وفي عام ١٩٥٤قدم عدداً من الأحاديث والمناقشات والندوات في البرنامج العربي والفرنسي . ولم تقتصر إسهاماته هذه على بريطانيا ؛ بل كان يدعى أثناء زياراته للولايات المتحدة الأمريكية أو غيرها من الدول لإلقاء أحاديث في إذاعاتها . كما قدم ندوات تلفزيونية في نيويورك وهوليود ومحطات محلية في كل من نيويورك ، وواشنطن ، وسان فرانسسكو ، وسولت ليك سيتي Saltlake city وغيرها . وفيما يأتي بعض مشاركات لويس كما جاءت في التقرير السنوي لمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية .

School of Oriental and African Studies : Reports of the Governing Body .

1 - Year Ending July 1940 : The Islamic Guilds in the Middle Ages (in Arabic).

النقابات الإسلامية في العصور الوسطى - هيئة الإذاعة البريطانية

2 - Year Ending 3 July 1941. Nationalism - Socialism and the Arabs B. B. C (Arabid) .

القومية الاشتراكية والعرب . هيئة الإذاعة البريطانية باللغة العربية .

ج - المحاضرات العامة :

إن المحاضرات العامة التي قدمها لويس كثيرة جداً ، وربما لا يمكن إحصاؤها ، ولكن يكفي أن نضرب المثال ببعضها مرتبة تاريخياً .

عام ١٩٤٨ :

1 - The Assassins : London Mediaeval Society .

«الحشاشون» ألقيت في جمعية لندن للعصور الوسطى .

2 - The Arabs in Europe (4 Lectures) University of London .

العرب في أوربا - (٤ محاضرات) جامعة لندن .

3 - The Jew in Mediaeval Islamic Civilization : Society for Jewish Studies .

« اليهودي في الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى » ألقيت في « جمعية الدراسات اليهودية » .

عام ١٩٥٠ :

1- Islam : Senate House, University of London .

« الإسلام » في مكتبة ألسنت بجامعة لندن .

2 -"Recent developments in Turkey and Islamic revival," Royal Institute of International Affairs .

«التطورات الأخيرة في تركيا والصحوة الإسلامية في تركيا» ، ألقيت في المعهد الملكي للشئون الدولية .

3 -"Turkey and the Middle East," Royal Naval College.

«تركيا والشرق الأوسط» ألقيت في الكلية الملكية البحرية .

عام ١٩٥٣

1 - "The Significance of Heresy in Islamic History," Guest Lecture, Manchester University .

«دلالة الهرطقة في التاريخ الإسلامي» المحاضرة الافتتاحية في جامعة مانشستر .

2 -"The Ottoman Empire in Europe" Historical Association Hammersmith .

«الإمبراطورية العثمانية في أوربا» الجمعية التاريخية في هامرسميث .

3 - "Nationalism and Historiography in Turkey" Royal Institute of International Affairs.

«القومية وكتابة التاريخ في تركيا» ألقيت في المعهد الملكي للشئون الدولية .

4 - "Introduction to the Middle East" London Services Education Board, Royal Institute of International Affairs, Rotary Weekend School, Oxford University Jewish Students Union.

«مدخل إلى الشرق الأوسط» ، ألقيت في كل من : «مجلس لندن لخدمات التعليم» و«المعهد الملكي

للشئون الدولية» ، و «جمعية الطلاب اليهود في جامعة أكسفورد» .

عام ١٩٥٤

1 - "Communism and Islam," Royal Institute of International Affairs.

«الشيوعية والإسلام» ألقيت في المعهد الملكي للشئون الدولية .

2 - "Reactions de L'Islam a L'egard du communisme. Centre des Haute etudes d'administration Musulman, University of Paris .

«ردود فعل الإسلام بالنسبة للشيوعية» ألقيت في مركز الدراسات العليا لإدارة المسلمين بجامعة باريس (باللغة الفرنسية) .

3 - "Lectures on Middle Eastern History" to Imperial Defence College, Royal Naval College, Joint Service Staff Council on Foreign Relations (New York), Middle East Institute (Washington), Forign Policy Association (New York), World Affairs Council (Portland, St. Lonis) Committee on Feregin Relations (Albuquerque) and the following Universities, Columbia, Harvard, Brandies, Michingan... etc.

«محاضرات في تاريخ الشرق الأوسط » ألقيت في المعاهد والمراكز والجمعيات الآتية :

كلية الدفاع الملكية ، والكلية البحرية الملكية ، وكلية القوات المشتركة ، ومجلس الشئون الخارجية (نيويورك)، ومعهد الشرق الأوسط (واشنطن) ، ورابطة السياسات الخارجية (نيويورك) ، ومجلس الشئون العالمية (بورتلاند، وسياتل وسانت لويس) ، ولجنة العلاقات الخارجية (البكركي - ولاية نيومكسيكو) ، والجامعات الآتية : كولومبيا ، هارفارد ، براندیس ، میتشجان وغيرها .

عام ١٩٥٥:

1- "Toleration in Islam " Immaculate Heart College .

« التسامح في الإسلام » في كلية القلب الطاهر .

2 -The Value of Oriental Studies " University of Califorornia, L. A.

« قيمة الدراسات الاستشراقية » ألقيت في جامعة كاليفورنيا - لوس أنجلوس .

3 -"The Middle Esat." Townhall, Los Angeles .

«الشرق الأوسط» ألقيت في قاعة المدينة الكبرى. لوس أنجلوس .

عام ١٩٥٧ :

1 - The Muslim Discovery of Europe - Royal Asiatic Society .

«اكتشاف المسلمين لأوربا» الجمعية الملكية الآسيوية .

2 - Nationalism st. Antony's College, Oxford .

القومية - كلية سينت أنتوني بجامعة أكسفورد .

3 - Democratic Institutions in the Middle East, Battle of Britain House .

«المؤسسة الديمقراطية في الشرق الأوسط» ألقيت في مؤسسة المعرة البريطانية .

4 - The Historical Background of Middle East Problems" - Royal Institute of International Affairs.

«الخلفيات التاريخية لمشكلات الشرق الأوسط» ألقيت في المعهد الملكي للشئون الدولية .

عام ١٩٥٨ :

1 - "Ottoman Civilization" - Anglo - Turkish Society.

2 - "The Influence of Western Culture on Islam and Turkey .

3 - The Middle Eastin World Affairs" . School of Advanced International Studies, Conference,Washington D.C.

الشرق الأوسط في الشئون الدولية «مؤتمر مدرسة الدراسات الدولية المتقدمة» . واشنطن د. س.

4 - La Decouverte de L'Europe Par Les Musulmans - Sorbonne, Paris .

«اكتشاف المسلمين لأوربا» ألقيت في جامعة السوربون بباريس (بالفرنسية) .

5 - "The Middle East" - Pakistan Institue of International Affairs .

الشرق الأوسط - معهد الباكستان للشئون الدولية .

6 -"The Study of Modern Middle Eastern History". The Middle East Indian School of International Studies - New Delhi .

«دراسة تاريخ الشرق الأوسط الحديث» . ألقيت في المدرسة الدولية الهندية للدراسات الدولية نيودلهي.

عام ١٩٥٩ :

1 - The Importance of Documents for Arab History - Sudan Cultural Centre - Khartum .

أهمية الوثائق للتاريخ العربي» ، مركز السودان الثقافي الخرطوم .

2 -An Historical Introduction to the Middle East. NATO Defence College.

«مقدمة تاريخية للشرق الأوسط» ألقيت في كلية حلف الأطلسي للدفاع .

3 - Europe as Seen by the Middle East - Wilton Park .

أوربا كما يراها الشرق الأوسط – ولتون بارك .

واستمر لويس يلقي محاضراته في شتى أرجاء العالم حول موضوعات متنوعة في المجالات الثقافية والسياسية ، وفي الجمعيات الحكومية ، والجامعات والمعاهد مَثَلُه كَمَثَلِ صاحب قضية لا يفتأ يدعو لها، ويناضل من أجلها دون كلل أو ملل . ويلاحظ أنه اهتم بالجهات السياسية والعسكرية في إلقاء محاضراته ، وكان من آخرها محاضرته في مكتبة الكونجرس في مايو ١٩٩٠ التي دعته لإلقائها جمعية وقف الإنسانيات الأمريكية ، والتي كان عنوانها :

"Western Civilization : A view from the East" .

«الحضارة الغربية : رؤية من الشرق» (١٠) .

وانتقل بعد ذلك ليلقيها في عدة جامعات أمريكية من بينها جامعة ستانفورد بكاليفورنيا وجامعة نيوهامشير وغيرهما . وإن كان لابد من كلمة حول هذا النشاط الكبير فهي أن لويس عرف كيف يستفيد من رسالة الأستاذ الجامعي فبذل في سبيل تحقيقها كل ما في وسعه من جهد وطاقة . فلعل الله أن يقيض لهذه الأمة أساتذة جامعيين يدافعون عن قضاياها ، ويحملون همومها ، ويبذلون الغالي والرخيص من أجل عزتها ورفعة شأنها .

د - المؤتمرات والندوات :

لقد حضر لويس الكثير من المؤتمرات والندوات مما يجعل حصرها أمرًا صعبًا ، ولكن يلاحظ أن معظم ما ألقاه من بحوث ودراسات في هذه الملتقيات العلمية قد نشر . وفيما يأتي نذكر بعض هذه الندوات والمؤتمرات :

عام ١٩٥٣ :

1 - "Turkey" Colloquium on Islamic Civilization, Universtiy of Lie'ge.

«تركيا» ندوة عن الحضارة الإسلامية بجامعة ليج بفرنسا .

٢ – ندوة بمناسبة مرور خمس مئة سنة على سقوط القسطنطينية في ٢٩ مايو ١٩٥٣ بإشراف مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ، وقدم لويس فيها بحثًا حول فتح القسطنطينية والعرب وحضر الندوة أعضاء السفارة وأفراد من الجالية اليونانية بلندن .

3 - "The Muslim Discovery of Europe". International Congress of Historical Sciences 1955 .

«اكتشاف المسلمين لأوربا» المؤتمر الدولي للعلوم التاريخية (عام ١٩٥٥) .

4 -"The Ottoman Archives", Annual Convention of the American Oriental Society, Baltimore .

«الأرشيف العثماني» – المؤتمر السنوي لجمعية الاستشراق الأمريكية – بالتيمور .

5 - European Writings on Early Islamic History. Middle East Seminar, St. Antony's College Oxford .

الكتابة الأوربية حول التاريخ الإسلامي المبكر .

ندوة الشرق الأوسط في كلية سينت أنتوني بجامعة أكسفورد . (١٩٥٥) .

6 - Conference on Historical Writing of the Near and Middle East (1957) .

مؤتمر حول كتابة تاريخ الشرق الأدنى والأوسط . عقد المؤتمر تحت إشراف برنارد لويس في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن ، ودعي إليه باحثون من مختلف أنحاء العالم العربي منهم : حلمي

أحمد من جامعة القاهرة ، وكمال صليبي من الجامعة الأمريكية بيروت ، والسيد ستوده من جامعة طهران ، وكوران من جامعة إستانبول ، وأحمد الشيال من جامعة القاهرة . وقد أشرف لويس على تحرير محاضرات المؤتمر وبحوثه وطباعتها . وكانت دعوة هؤلاء الباحثين قبل انعقاد المؤتمر بمدة تزيد على شهرين للاشتراك في الإعداد للمؤتمر ليكون ذلك تدريباً أيضاً على مثل هذه الأعمال .

٧ – شارك لويس في مؤتمر حول الدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية عليكره بالهند (١٩٥٧) .

٨ – ندوة اليونسكو حول الفرد والدولة في المجتمع الإسلامي عقدت في باريس في ديسمبر ١٩٨٢ . وقد قدم لويس موضوعه في نسخة عربية وأخرى إنجليزية . وقد قامت مجلة الثقافة الجزائرية بنشر محاضرة لويس في العدد ٩٠ ، صفر / ربيع الأول ١٤٠٦ – نوفمبر / ديسمبر ١٩٨٥ .

9 - The Mesa Debate : The Scholars, The Media, and the Middle East .

مناظرة رابطة دراسات الشرق الأوسط حول العلماء والإعلام والشرق الأوسط . شارك فيها برنارد لويس ، وإدوارد سعيد وباحثون آخرون . ونشر نص غير رسمي للمناظرة في مجلة دراسات فلسطينية .

Palestine Studies Vol. XVI, No. 2, Winter 1987. pp. 85 - 104 .

هـ - الاستشارات السياسية :

أشرنا سابقًا إلى الكلمة التي ألقاها لويس أمام اللجنة الفرعية للشئون الخارجية بالكونجرس الأمريكي في ٨ مارس ١٩٧٤ . ولم تكن هذه هي المرة الأولى حيث إن هنري جاكسون رئيس هذه اللجنة حينما رحب بلويس ذكر أنه سبق له أن قدم شهادته أمام اللجنة . ويبدو أن لويس لم ينقطع طوال حياته عن الاتصال بالحكومات الغربية ، وتقديم خبراته ونتائج بحوثه لها . وربما كان سبب هذا أن لويس بدأ حياته العلمية يمارس هذه الأعمال سراً أحياناً وعلناً أو جهرة أحياناً أخرى . فقد ذكر التقرير السنوي لمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية للعام المنتهي في ٣١ يوليو ١٩٤١ أن لويس استدعي للخدمة العسكرية في مارس ١٩٤١م ، ولكنه بعد قليل تم تعيينه للقيام بمهمات خاصة (١٦) . وكان من المهمات التي قام بها لويس خلال الحرب تدريس ضباط الجيش اللغة العربية كما أشرف على فصول في دراسة التاريخ والسياسة (١٧) .

وفي عام ١٩٥٣ قدمت وزارة الخارجية طلبًا لجامعة لندن ليقوم برنارد لويس بجولة مدتها ستة أسابيع لإلقاء محاضرات في الولايات المتحدة حيث زار أيضًا عددًا من الجامعات الأمريكية . وحضر بعض المؤتمرات ، وألقى محاضرات في كل من ليج وباريس . وهنا لابد من التنبيه إلي أن وزارة الخارجية قد اختارت برنارد لويس ليقوم بهذه الجولة العلمية في ظاهرها السياسية في حقيقتها مما يؤكد الارتباط الوثيق بين السياسة والاستشراق الأمر الذي يحاول لويس أن ينفيه في جميع المناسبات (١٨) .

ومن الملاحظ أن لويس حينما قام عدد من زملائه وتلاميذه بإصدار كتاب تكريمًا له بمناسبة بلوغه السبعين لم يذكر من أعماله هذه الاستشارات السياسية رغم أهميتها في حياته ، وإن كان قد أهمل مشاركات علمية أخرى . فلاشك أن لويس حريص كل الحرص على أن لا ينشر هذه الأعمال التي تدين صلته بالحكومات الغربية ، وتقديم المشورة لها ، وبخاصة ما يتضمن مواقفه الصهيونية الصريحة .

و - بعض الرسائل الجامعية التي أشرف عليها لويس :

من المعروف لدى الأساتذة الجامعيين أنهم يرغبون في بحث كثير من الموضوعات ، ولكن ظروفهم من حيث الوقت والإمكانات والجهد لا تسمح لهم بذلك ، فيقومون بتوجيه تلاميذهم لتناول هذه الموضوعات في بحوث الماجستير والدكتوراه . وللوصول لمعرفة هذه الرسائل فقد استشار الباحث التقرير السنوي لمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية حيث كانت تذكر بعض الرسائل العلمية والمشرف عليها عند إنجازها ، ثم أصبحت الرسائل تذكر دون اسم المشرف . أما سجلات الجامعة أو المكتبة الرئيسة لجامعة لندن فلا تذكر في سجلاتها سوى الباحث وعنوان بحثه والرسائل نفسها محفوظة خارج لندن .

أما في جامعة برنستون فليس من متطلبات القسم أن يكتب اسم المشرف على غلاف الرسالة كما هو معمول به عندنا ، ولا يمكن معرفة اسم المشرف إلا إذا ذكره الباحث في صفحة الشكر والتقدير ، أو في مقدمة الرسالة . ومع ذلك فقد تيسر للباحث الاطلاع على بعض سجلات جامعة برنستون وأسماء الباحثين وعنوانات رسائلهم ، وفيما يأتي بعض الرسائل الجامعية في جامعة لندن وجامعة برنستون .

أ – مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية :

1 - V. L. Me'nage. a survey of the early Ottoman histories with studies on their textual problems and their sources. 1961 - 62 .

ف . ل . ميناج : «عرض للتواريخ المبكرة للدولة العثمانية مع دراسة لمشكلات النصوص ومصادرها ١٩٦١ – ٦٢» .

2 - D G. Maitland Mullan - a Study and translation of the First Book of the Compendium of History by Rashid al-dinFadl Allah concerning Turkish and Monglo Tribes. 1957 - 58 .

الإشراف بالاشتراك مع البروفيسور مينورسكي Minorsky .

د . ج . ميتلاند : «دراسة وترجمة للكتاب الأول من تاريخ رشيد الدين فضل الله بخصوص القبائل التركية والمغولية» .

3 - Kamal S. Salibi, Studies on the traditional historiography of the Maronites in the Period 1100 - 1516.

كمال صليبي . دراسات حول الكتابة التقليدية للتاريخ الماروني في الفترة من ١١٠٠م – ١٥١٦م .

4 - O.S.A. Ismail the Reign of Mu'tasim 218 - 227 (933 - 42) .

أ . أس . آي . إسماعيل . عهد المعتصم ٢١٨ – ٢٢٧ (٨٣٣ – ٨٤٢) .

5 - Zein N. Zene . Syira and Lebanon in international politics from Mudros to Maisalun 1918. (with M. Bowen) .

زين . ن . زين : سوريا ولبنان في السياسة الدولية من مدروس إلى ميسلون عام ١٩١٨ .

الإشراف بالاشتراك مع بون .

6 - C. L Geddes. History of the Yu'firid Dynasty of San'a .

ى . ال قدس تاريخ اليعافرة في صنعاء .

7 - N. Akel . Studies in the social history of the Umayyad Period as revealed in the kitab al-Aghani .

ن . أكل . دراسات في التاريخ الاجتماعي للدولة الأموية كما تظهر في كتاب الأغاني .

8 - A. M. Abu Hakima . The Utbi States of Eastern Arabia in the second half of the eighteenth century (Lewis with Dr. Yapp) .

أي . ام . أبو حاكمة . الدول العتبية في شرق الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. (بالاشتراك مع د . ياب) .

9 - T. Naff. Ottoman Diplomacy and the Great Euroean Powers 1797 - 1802) (Lewis and Dr. Holt) .

ان . ناف . الدبلوماسية العثمانية والقوى الأوربية العظمى ١٧٩٧ – ١٨٠٢ بالاشتراك مع د . هولت .

10- Muhammad Manazir Ahsan. social life undre the Abbasids (170 - 286 - 788 - 902) .

محمد مناظر أحسن . الحياة الاجتماعية في حكم العباسيين (١٧٠ – ٢٨٩ / ٧٨٦ – ٩٠٢) .

11- Coskun Alptekin The Reign of Zangi (521 - 541 / 1127 - 1146) .

كوسكن البتكين . حكم الزنج (٥٢١ – ٥٤١هـ / ١١٢٧ – ١١٤٦م) .

12- Shereen Najib Khairallah. Arabic studies in England in the late 17th and early 18th Centuries .

شيرين نجيب خير الله . الدراسات العربية في بريطانيا في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر .

13- S. H. M. Jafri . The Early development of Legitimist Shi'ism with special refrence to the role of the Imam Ja'far Al-Sadiq .

اس . اتش . ام جعفري . التطور المبكر للشيعة الشرعية مع اهتمام خاص بدور الإمام جعفر الصادق .

14- B.J. Beshir. The Fatimid Caliphate 388 / 996 - 478/1094 .

بي جي بشير . «الخلافة الفاطمية ٣٨٦ - ٤٧٨هـ (٩٩٦ - ١٠٩٤)» .

15- H. A. Ladak. the Fatimid Caliphat and the Isma'ili Da'awa From the appointment of Musta'li to the Suppression of the Dynasty .

اتش . اي لاداك . «الخلافة الفاطمية والدعوة الإسماعيلية من تعيين المستعلي حتى نهاية الأسرة» .

16- H. J. Elias. Ali b. **Abi Talib in Ithna - Ashria shi'i Belief .**

اتش . جي إلياس . «علي بن أبي طالب في عقيدة الشيعة الاثني عشرية» .

ب - الرسائل الجامعية التي أشرف عليها في جامعة برنستون منها :

1 - E. R. Toledano . The Suppression of the Slave Trade in Ottoman Empire in the 19th Century (1979) .

اى . آر توليدانو . إنهاء تجارة الرقيق في الإمبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر (اللغة المطلوبة التركية - وميدان البحث تركيا) ١٩٧٩ .

2 - Marmon Shaun . Domestic Slavery in Egypt. Syria and Palestine. (1979).

مارمون شوان . الرق المحلي في مصر وسوريا وفلسطين (١٩٧٩) .

3 - William Blain . Reform of the Ottoman Navy during the Tanzimat (1980) .

إصلاحات البحرية العثمانية خلال عهد التنظيمات (١٩٨٠) .

4 - Amy Ayalon. Middle East Perception of the West : A Study in Arabic Political Thought (1980) .

أمي أيلون . نظرة الشرق الأوسط للغرب : دراسة في الفكر السياسي العربي (١٩٨٠) .

5 - Michael Bronstein Oren. From Revolution to Crisis : Egypt - Israeli Relations 1952 - 56 (1980) .

مايكال برونستين أورن . من الثورة إلى الأزمة : العلاقات المصرية الإسرائيلية ١٩٥٢ - ١٩٥٦ (١٩٨٠) .

6 - Muge Gocek. The Rise of Western Inflecence in the Ottoman Empire During the 16th Century (1981).

موج قوشك : ظهور التأثير الغربي في الإمبراطورية العثمانية خلال القرن السادس عشر (١٩٨٠) . الإشراف بالاشتراك مع كيلر Keller قسم الاجتماع.

7 - Amy Singer. The Peasantry of the Ottoman Arab Province, The Sanjak of berusalem (1982) .

أمي سنجر . الفلاحة في المقاطعة العثمانية العربية : سنجق القدس (١٩٨٢) .

8 - Arron Groiss. Religion and Political Identiy Among Orthodox Christians of Greater Syria 1850 - 1941 Issawi & Lewis .

أرنون جراوس . الدين والهوية السياسية لدى النصارى الأرثوذكس في سوريا الكبرى . ١٨٥٠ - ١٩١٤.

9 - Dina La Gail The Spread of Nagshabandi Order in the Ottoman Empire. (June 1986) .

دينا لاقال . انتشار الطريقة النقشبندية في الإمبراطورية العثمانية (يونية ١٩٨٦) .

10- M. Kramer. Congress in Modern Islam : on the Origin, of an Innovation (Oct. 81) .

ام . كريمر . المؤتمر في الإسلام الحديث : حول أصول البدعة . (أكتوبر ١٩٨١) .

11- Corinne Blake. Study of Syrian Notables at the Mulkiye 1890 - 1941 (1983) .

كوريان بليك . دراسة الأشراف السوريين في عهد الملكية ١٨٩٠ - ١٩٤١ (١٩٨٣) .

12- Ralph Corny. Abdul Rahman Assam & the Developmet of Egypt Arab Nationalism (1983 / 84).

رالف كورني . عبدالرحمن عزام وتطور القومية العربية في مصر (١٩٨٣ – ١٩٨٤)

13- Kaven P. Boyle. Cenception of National Identity in 20th Century Egyp. (1985).

كيفن . بي . بويل . مفهوم الهوية القومية في مصر القرن العشرين (١٩٨٥) .

14- Michel La Gall. Pashas. Beduins, and Notables : Ottoman Administration in Tripoli and bengazi (83 / 84).

ميشال لاقال . الباشوت والبدو والأشراف : الإدارة العثمانية في طرابلس وبنغازي .

15- Eric J. Carson. Copts in Mamluk Egypt (1987).

إيريك جي . كارسون . الأقباط في مصر في عهد المماليك (١٩٨٧) .

16- Muge Gocek. Western Cultural Diffusion and Social Mobility Among 18th Century Ottoman Adminstration.

موجي قوشك . الانتشار الثقافي الغربي والتحرك الاجتماعي بين الإدارة العثمانية في القرن الثامن عشر . (الإشراف بالاشتراك مع Keller كلير من قسم الاجتماع)

وهناك بحوث في المرحلة الجامعية تعد في سنة التخرج ، ويحصل بعض الطلاب المتفوقين على منح للقيام برحلات علمية خارج الولايات المتحدة ، ومن هذه البحوث :

1 - Amy Rosen Perlim. Divorce Middle Eastern Style : An Indication of the Nature of Religious Law in Modern Arab States and Israel.

أمي روزن بيرلين . الطلاق على الطريقة الشرق أوسطية : إشارة إلى طبيعة القانون الديني في الدول العربية الحديثة وإسرائيل .

2 - Berlin. The Weakening of a Foundation : A Study of British Zionist Relations in Palestine Between the Balfour Declaration and Mandat.

ال . برلين . إضعاف الأساس : دراسة للعلاقات الصهيونية البريطانية في فلسطين بين وعد بلفور والانتداب .

يلاحظ في موضوعات الرسائل التي أشرف عليها لويس الاهتمام بجوانب الفرق في التاريخ الإسلامي من شيعية وباطنية وغيرها . وهذا امتداد لبحث لويس الذي نال به درجة الدكتوراه . كما إنه أشرف على رسالة تجعل كتاب «الأغاني» مصدراً لدراسة الحياة الاجتماعية في عصر بني أمية ، والأغاني لا يمكن أن يعد مصدراً تاريخياً . كما ركز لويس في الرسائل التي أشرف عليها ، وبخاصة إذا كان الطالب عربياً مسلماً على نقاط الضعف في تاريخ المسلمين وعلى القضايا الفرعية ، وهو ما لم يحدث مع الطلاب الإنجليز حيث اتسمت موضوعاتهم بالجدية ، كما ركز على دراسات تركيا وعلى العالم العربي في العصر الحديث .

ز - أعمال أخرى قام بها لويس في جامعة لندن :

بالإضافة إلى إشرافه على البحوث والدراسات ، وإلقاء المحاضرات الجامعية والعامة ، وتقديم المشورة لوزارة الخارجية البريطانية فقد قام لويس بأعمال علمية أخرى مثل حصوله على عضوية مجلس دراسات التاريخ في جامعة لندن ، وهذا المجلس يضم أقسام التاريخ جميعها في أنحاء الجامعة . كما انتدب لويس ليقوم بعمل الممتحن في كلية جوردون التذكارية بالخرطوم في مادة تاريخ الشرق الأدنى عام ١٩٤٨ .

وفي ١ يوليو عام ١٩٥٠ تسلم لويس رئاسة التحرير أو الإشراف على نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية Bulletin of S. O. A. S. ، ومن أول أكتوبر ١٩٥٧ أصبح لويس رئيساً لقسم التاريخ بمدرسة الدراسات الشرقية خلفاً للبروفيسور فيليب Philips الذي أصبح مديراً للمدرسة . وظل لويس رئيساً لهذا القسم حتى استقال ابتداءً من أول فبراير ١٩٧٥ .

الهوامش

١ - Lewis, The Arabs in History, p.6.

٢ - يؤيد هذا ما قاله عبداللطيف طيباوي في كتابه المستشرقون الناطقون بالإنجليزية : ص١٣١ حيث قال : «إن هذا العنوان خادع ، إذا تأملنا محتوياته غير المتجانسة التي تفتقر إلى الترابط الموضوعي ...» .

٣ - مجلة الدعوة (النمسا) العدد ٨٦ ، س٣٣ ، ذو القعدة ١٤٠٣ / أغسطس ١٩٨٣ ص٢٨ - ٤٣ ، والعدد ٨٧ ، س٣٣ ، ذو الحجة ١٤٠٣ / سبتمبر ١٩٨٣ ص٣٤ - ٣٩ ، والعدد ٨٨ / ٨٩ س ٣٣ المحرم وصفر ١٤٠٤/ أكتوبر و نوفمبر ١٩٨٣ ص ٥٢ - ٥٧ .
2 - Said op. cit P. 314 .

٤ - نشر هذا البحث في : Revolution in the Middle East (ed) P.J. Vatikiotis (Totowa, N.J. : 1972 PP. 30 - 40 .

٥ - «الحرب والسياسة في الإسلام» في تراث الإسلام تحرير جوزف شاخت وبوزورث ترجمة محمد زهير السمهوري وحسين مؤنس وإحسان صدقي العمد . تعليق وتحقيق شاكر مصطفى ومراجعة فؤاد زكريا (الكويت : ١٩٨٨) ط٢ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

٦ - من هذه المقالات :

A - "The Revolt of Islam" in New York Review of Books (30 June 1983) pp. 35 - 38 .

B - "The shi'a" in New York Review of Books (15 August 1985) pp.7 - 10 .

C - "Islamic Revolution" in New York Review of Books (January 2 - 1988, pp. 40 - 50 .

٧ - محمد صالح الشوربجي . «من كتب المهرجان : العالم الإسلامي بإشراف برنارد لويس» في مجلة الدارة (الرياض) العدد الثالث والرابع السنة الثانية شوال ١٣٨٦/ أكتوبر ١٩٧٦ ص١١٢ - ١٣٢ ويلاحظ أن الشوربجي أخطأ إذ عدّ هذا الكتاب ضمن كتب مهرجان العالم الإسلامي الذي عقد في لندن عام ١٩٧٦ ، واستمر لمدة ثلاثة شهور، وكان بتمويل من الدول العربية والإسلامية؛ ويقول طيباوي (المستشرقون - ص١٢٩) فإن إصدار هذا الكتاب : «يوحي لغير الفطن أن له علاقة بالمهرجان الإسلامي» .

٨ - غازي محمد فريح . النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة . (بيروت : ١٤١١ / ١٩٩٠) ص١٦٣ وما بعدها قدم المؤلف أدلة موثقة على حماسة دزرائيلي ليهوديته .
انظر أيضًا ما كتبه عاصم حمدان علي . «من ملامح التآمر الصهيوني في الفكر الأوروبي» في المدينة المنورة ع٨٢٤٥ ، ١٠/٥/١٤١٠ ، ٨ /١٩٨٩/١٢ حيث نقل عن فوت Michael Foot في كتابه «ديوان التكريم» قوله إن الدارسين اعتبروا بنجامين دزرائيلي مبشرًا بالتعاليم الصهيونية منذ ظهور روايته «الرؤى» عام ١٨٣٣ أي قبل حوالي خمسين سنة من ظهور الصهيونية كحركة سياسية.

٩ - The Islamic World : From Classical to Modern Times edited by C. E. Bosworth et al. (Princeton : 1989) pp. X111 - XXV.

١٠ - Bernard Lewis. Brritish Contirbutions to Arabic Studies (London : New York and Toronto : 1941) .

١١ - المستمع العربي ، الأعداد :
١٠ في ١٩٤٠/٨/٢١ ص٤ - ٥ .
١١ في ١٩٤٠/٩/٧ ص٩ - ١١ .
١٢ في ١٩٤٠/٩/٢١ ص١٢ - ١٣ و ١٥
١٣ في ١٩٤٠/١٠/٧ ص٩ - ١٠
١٤ في ١٩٤٠/١٠/٢١ ص٨ - ٨
١٥ في ١٩٤٠/١١/٧ ص ٧ - ٨

١٢ - كان لويس من بين الشخصيات العلمية البريطانية الذين استشارتهم هذه اللجنة ، لذلك كان لابد له أن يهتم بها .

١٣- إدوارد سعيد . «الاستشراق والصهيونية» . في مجلة المجلة ، ع٤٠٨ ، ٢ - ١٩٨٧/١٢/٩ ص٢٨ - ٢٩ .

١٤- علي القمراوي . فهرست المؤلفين وعناوين المقالات للنسخة الإنجليزية الجديدة من دائرة المعارف المجلدان ٢ و ٣ . في دراسات استشراقية وحضارية (المدينة المنورة : ١٤١٣) ص٢٥٥ - ٥٦ و ٢٧٥ - ٢٧٦ .

١٥- حصل الباحث على نص المحاضرة من المؤسسة الأمريكية التي دعت لويس لإلقاء هذه المحاضرة وهي:
National Endowment for the Humanities, Washington D. C.

١٦ - Annual Report of the Governing body of S.O. A. S. 1941, p. 45.

١٧ - Ibid, for 1939, 40 p. 8 .

١٨ - Annual Report, 1953 / 54. p.10 .

غوستاف ڤون غرنباوم (١)

آراؤه الأدبية

عبدالإله أحمد نبهان

حمص - سورية

ملخص البحث

يناقش هذا البحث طائفة من آراء المستشرق النمساوي الأصل الأمريكي الموطن غوستاف ڤون غرنباوم ، وقد تم التركيز على مناقشة بعض آرائه النقدية والأدبية اعتماداً على كتاب «دراسات في الأدب العربي» الذي ضم طائفة صالحة من أعماله .

وانصب البحث على نقد موقف غرنباوم وآرائه في الأدب والنقد العربيين من حيث هو موقف متعصب دائماً للمركزية الأوربية والحضارة اليونانية ، ومتحامل دائماً على الحضارة العربية والأدب االعربي ، فهو دائم الادعاء - ودائماً بلا دليل - بأن العرب أخذوا عن اليونان وعن الحضارة الهيلينية ، حتى في أمور هي من خصائص كل شعب كمسألة الحب .

ولم يبخس البحث غرنباوم حقه ؛ بل إنه أثنى على بعض بحوثه الجادة التي استطاع فيها أن يكون موضوعياً بقدر ماتتيحه له ظروفه من الموضوعية ، وقوّم البحث أعماله تقويماً عاماً فحواه أن الاستاذ غرنباوم كتب في المعلومات، ولم يكن دقيقاً في أحكامه، ولم يكن استقراؤه كافياً أصلاً لإصدار الأحكام ، وهذا ماجعل دراساته غير ذات قيمة جادة في نظر بعض الدارسين .

يمكن الزعم بأن ذيوع اسم غرنباوم وشهرته بين دارسي الأدب العربي في العالم العربي ، إنما يعودان بادئ ذي بدء إلى كتاب (دراسات في الأدب العربي) الذي ترجمه نفر من الأساتذة (٢) بإشراف محمد يوسف نجم ونشر في بيروت عام ١٩٥٩م ، وفي العام نفسه نشر لغرنباوم كتاب آخر بترجمة محمد يوسف نجم أيضاً بعنوان (شعراء عباسيون) (٣) وعلى الكتاب الأول كان الاعتماد الأساسي في كتابة هذا البحث.

ولا أملك إلا أن أصرح منذ بداية البحث أن آراء غرنباوم تتسم بالصراحة ، واجتناب التلميح ، فأنت معه لأول وهلة مع أستاذ أوربي يدرس الأدب العربي للأوربيين ، بعد أن درسه على أساتذته من منظور غربي ، فهو مبدئياً منسجم مع نفسه ، وهو يقدم مقالاته بالطريقة نفسها التي درس بها ، فإذا كانت الحضارة اليونانية في اعتقاد الغربيين هي البداية أولاً ، وهي شعلة النهضة الأوربية ثانياً ، وهي النبراس الذي لايذبل ثالثاً ، فإنها لدى غرنباوم أيضاً : البداية والنهاية ، إنها المتن والحاشية والتقرير في الأدب والفكر والفن والنقد، وفي كل مظهر من مظاهر الحضارة .. أما لماذا يكون هذا ؟ فإننا لانملك الجواب عنه ، وغرنباوم لا يذكر لنا لماذا ؟ ، لأن المسألة عنده من البدهيات ، فهو دائماً يقرر هذا وفي كل مناسبة ، دون أن يشفع ما يذهب إليه بدليل .

لذلك وبناءً على ماسبقت الإشارة إليه نراه يفتتح بحثه في الأسس الجمالية في الأدب العربي بالتقرير بأن الفكر الإسلامي على وجه العموم قد بُني على سيكولوجية أرسطو طاليس (٤) ، وأن هذه السيكولوجية لا تمنح الخيال نسبياً منزلة رفيعة (٥) بل تضعه مع القوى الحيوانية على صعيد واحد ، وأن المسلمين اعتنقوابعد

شيء من التردد رأي أرسطو في العقل ، مما أدى إلى استهجان خيال الشعراء ، وما كانت عصور العقل أبداً صالحة للفن الملهم

ويبني غرنباوم آراءه على هذه المقدمة ، ليجعل من نظرة العرب إلى الشعر نظرة لاتتعدّى القول إن الشعر ديوان الجماعة ، وأن دور الخلق والإلهام دور تافه صغير ، لأن الوحي والإلهام خاص بالأنبياء ، أما الشاعر فهو يحفظ ما نظمه سابقوه وينسخ على منوالهم . ثم يزعم أن الإغراب أصبح معياراً للتفوق الشعري ، وأن الحاجة إلى التعليقات والشروح إنما هي شاهد على القيمة الممتازة للقصيدة . ويرى أن الجمال في الشعر يحدده طبيعة النظر إلى الشكل والمحتوى ، وهذه أيضاً برأيه نظرة أرسطو طاليسية مؤداها أن الشكل كيان مستقل في ذاته مقدور له بنوع من التعسف أن يرتبط بالمحتوى ، وأن عنصر الجمال الذي يمنح هذه القطعة قسطاً من المتعة ويحرِم تلك القطعة متعتها حين يغيب منها ، لهو شيء زائد يَوشى به الكلام العادي ، كما يوشَى الثوب بالتطريز ، وكل النظرية الأدبية - في رأيه - عند العرب تستند عمليّاً إلى هذا الاعتقاد ، فالمحتوى أو مايسمى المعاني يرى شيئاً قائماً بذاته ، ويمكن أن يعرض بأساليب مختلفة ، ويرى أن الدين الإسلامي بسبب من اعتماده على الوحي ، حال دون رفع الشعر إلى مسّتوى الإلهام الصادر عن قوة لا إنسانية ، وأنه وقف سداً دون الإيمان بقدرة الإنسان على الخلق ، ومما أيده في ذلك عجز الناس عن أن يميزوا على وجه اليقين بين الخلق الفني والعقلي والخلق من العدم .. ويرى أن العرب لا يرون من فرق بين الشعر والنثر إلا أن الشعر كلام موزون مقفى ، وأن النقد العربي كان يستلهم الآراء النحوية ؛ بل ذهب إلى أن النقد كان في أيدي النحويين (٦) .

ولا أريد أن أسترسل أكثر مما فعلت في سرد آراء الأستاذ غرنباوم ، فكل بحوثه اللاحقة والنتائج التي يستخلصها شبيهة بما قدمنا ، وما قدمنا جديراً أن نقف عنده وقفة تأمل وتبصر .

لا أظن أن ناقداً أدبياً جاداً في عصرنا هذا ، ينظر إلى موضوع السرقات الشعرية كما فهمه القدماء وعرضوه نظرة جادة (٧) ، نعم هو قد يستأنس به أويورده ، لكنه لا يجعله أساساً في تفسيره لشاعرية الشاعر أو إبداع الكاتب ، لان الشاعر مهما كان اطلاعه وتأثره بالآخرين فهو أولاً وأخيراً محكوم بتجربته الذاتية ومحيطه الاجتماعي .

وإذا كان هذا مقرراً على مستوى الشاعر وهو فرد ، فإننا نعجب من غرنباوم وهو يكتب عن أدب أمة امتد مئات السنين على مسافات شاسعة موزعاً بين حواضر الإمبراطورية العربية . . أقول : نعجب من غرنباوم كيف يطلق حكمه بأن نظرة العرب إلى كذا هي نظرة أرسطو ، وأن الشعر عندهم هو كلام موزون مقفى . . وكل ذلك بلا بينة ولا دليل ، سوى مجرد التشابه الظاهري ، وبدون أي تحليل آخر لمكونات الفكر اليوناني ، وكأن هذا الفكر عنده هو المبدأ الأول الذي ترجع إليه كل الآراء اللاحقة . . والحقيقة أني لا أجد فرقاً بين طريقته في البحث والحكم ، وبين أولئك النقاد الذين أشرت إليهم ، وهم الذين بنوا بحوثهم على السرقات الشعرية ، مع الإشارة أنهم كانوا يملكون من المصداقية أكثر مما يملك غرنباوم ، فهم يعتمدون مجرد التشابه ، قريباً كان أم بعيداً دون النظر إلى تجربة الشاعر ، ودون تحليل لتلك المعاني التي يزعمون سرقتها ، والتي ربما كانت في الأصل أفكاراً عامة تتناقلها الجماعة . . . إن بحث غرنباوم في الأسس الجمالية في الأدب العربي مبني في أساسه على فكرة مفترضة فحواها اعتماد الفكر الإسلامي على الفكر الأرسطي اعتماداً كلياً وحرفياً ، ومثل هذا الفهم لمقولة التأثر والتأثير المعروف في تاريخ الحضارات ، يجعل حضارة فوق أخرى . فهناك يدٌ عليا ويدٌ سفلى واليد السفلى هي دائماً عند غرنباوم الحضارة العربية والفكر الإسلامي ، فهي لا تملك إلا أن تأخذ من الهيلينية ومن اليونان وتستلهم ، دون أن تقدم شيئاً سوى أنها تحكم هذه القوى العليا في

تراثها وعقلها . . ولا خلاف في أن هذه النظرة هي نظرة نفر من المستشرقين الذين ترعرعوا في كنف المركزية الأوروبية»، وغذاهم الفكر الاستعماري الصرف.

ولا يخفى على المدقق أنّ مبحث غرنباوم يفتقر إلى أمر أساسي ، وهو فهم الكاتب لتاريخ الأمة العربية واستيعابه لتطورها الذاتي ونمو علومها ، ومعرفة مدى العلاقة بينها وبين حضارات الأمم الأخرى، وربما كان الأهم من ذلك فهم مقولة التأثر والتأثير الحضارية ضمن منطق حي جدلي لا ميكانيكي صرف . فقد بات من المعروف والبدهي في البحوث ذات السمة الحضارية أن جميع الحضارات الإنسانية يأخذ بعضها من بعض ، يكثر ذلك أو يقل ، والأهم من ذلك كله أن الحضارة الآخذة إنما تأخذ ما تستجيب له متطلباتها الذاتية العقلية والاجتماعية ، بمعنى أن التأثر والتأثير ليس عملية سطحية خارجية ، وإنما هي استجابة داخلية من بنية الحضارة لمتطلباتها من الحضارة الأخرى ، وبعد أنَ تمر هذه المتطلبات بمصفاة عقائدية واجتماعية . . ومن هنا يمكننا أن نفسر ونفهم مسألة اهتمام العرب بترجمة المنطق اليوناني وزهدهم في ترجمة مسرحيات اليونان وملاحمهم.

إننا إذا فهمنا عملية التلاقح بين الحضارات في سياقها الحضاري والتاريخي ، فإنه يحق لنا أن ننظر إلى ماقدمه غرنباوم في بحثه على أنه تسطيح لمسألة من أعقد المسائل، وعلى أنه - بالشكل الذى عرض فيه - ادعاء ليس له دليل.

إن اليونان أمة متوسطية ، وأمم المتوسط بينها من التداخل الجنسي مابينها ، وبينها من التداخل الثقافي أضعاف ما بينها من التداخل الجنسي ، وهذه التداخلات تقتضي منطقياً وجود أمور كثيرة متشابهة : في الآلهة أو تصور الكون ، وطريقة التفكير . . . وليس من السهل ادعاء الأولوية بكذا لهؤلاء أو لهؤلاء . . ودعك من الجزم أن اليونان أخذوا هذا عن العرب أو أن العرب أخذوه عن اليونان . . . والمشكلة عند غرنباوم وعند نفر غيره من المستشرقين أن حضارة اليونان القديمة هي المرجع والمآل ، وكأني بهم لم يسألوا أنفسهم ذلك السؤال البسيط : تلك الحضارة اليونانية التي يلهجون بها : ما مكوناتها ؟ ومن أين استمدت ثقافتها ؟ وزيوس كبير آلهتها ما أصله ؟ وافروديت وفينوس من أين هما؟ . . وتلك الرياضيات وعلم الفلك ماأصولها ومن أتى بها . . وذلك المنطق ما العوامل التي أدت إلى وضعه وما المصادر التي ساعدت على ذلك ؟ هذه كلها أسئلة يمكن لديهم تجاوزها والقفز إلى ما يريدونه ، وهو محدد مسبقاً ومعروف لديهم على نحو ميكانيكي ادعائي ، وبدون تحليل ، فدائماً العرب يأخذون ولا يعطون ، ودائماً يأخذون من اليونان فإذا أعطوا فإنما ينقلون الفكر اليوناني.

ثم إن الأحكام التي يطلقها في مجال النقد العربي ليس لها أدنى حظ من الدقة ، فهو يبحث في العرب ونظراتهم النقدية وكأنهم أمة معلقة في عالم المطلق ، وجدت دفعة واحدة ، وقدمت آراءها دفعة واحدة وانتهى الأمر، وليس أسهل من أن تتحدث عنهم حديثاً عاماً ، فهم - العرب أو النقاد - يرون أن الفرق بين الشعر والنثر إنما هو الوزن والقافية . . ومثل هذه التعميمات مرفوضة شكلاً ومضموناً ؛ لأن مثل هذه الأحكام تحتاج إلى استقراء شامل لحدود الشعر عند النقاد العرب ، واستعراض نظراتهم وآرائهم البعيدة عن الحدود والتعريفات ، ولن أذهب بعيداً أو أبحث كثيراً لأوضح ما أريد ، بل أشير إلى ما قاله ابن سلاّم الجمحي في نقده للشعر الذي رواه ابن إسحاق في السيرة النبوية ، فقد قال عنه : إنه ليس بشعر وإنما هو كلام مؤلف معقود بقواف (٩) . . فالشعر الذي رواه ابن إسحاق يشتمل على القافية والوزن والمعنى ، ومع ذلك فقد قال عنه الجمحي: إنه ليس بشعر، وما ذلك إلا لأن للشعر خصائص يقوم بها في ذهن الجمحي ، وهي تشتمل على الوزن والقافية والمعنى وعلى أشياء أخرى هي جوهر الشعر ، ولو أن غرنباوم كان جاداً في تحديد مفهوم الشعر عند العرب من خلال جهود النقاد وآرائهم لكان في سعة من الأمر ،ولا كتشف أن ما

قدمه في عجالته لا يمثل إلا جانباً من مفهوم قدامة ابن جعفر للشعر [١٠] ، أما الآمدي [١١] وأبو الحسن الجرجاني [١٢] وعبد القاهر الجرجاني [١٣] ومن قبلهم الجاحظ [١٤] ، فإنهم تحدثوا عن الشعر ، وعن الخصائص التي لا يقوم الشعر إلا بها ، وعبروا عن ذلك بعبارات مجازية موحية ، كقولهم كثرة الماء والرونق ، والطلاوة والنداوة . . بل إن المتأخرين ميزوا بين شعر الشعراء وشعر العلماء ، لأن شعر العلماء لا يشتمل على الخصائص الأصيلة التي يتسم بها شعر الشعراء ، لأن شعرهم يتسم بالجفاف ، وبالبعد عن طلاوة شعر الشعراء [١٥] ، لذلك قالوا عن شعر الزمخشري مثلاً ؛ إنه يشبه النحاة [١٦] ، وما ذلك إلا لأنهم لاحظوا انزياحاً في خصائص شعر الزمخشري الفنية عن القيم الأساسية للشعر عندهم ، وهي قيم كان القدماء والمتأخرون يدركونها ويحسونها ويعبرون عنها بعبارات كعبارات ابن سلاّم ومن تلاه ، وعندما قسم ابن قتيبة الشعر إلى أربعة أقسام ذكر أشياء أخرى غير الوزن والقافية [١٧] ، وذكر الإمام عبد القاهر الإيحاء، وأشار إلى الفضاء النفسي للشعر الجيد عندما حلل الأبيات المشهورة المنسوبة لكثير [١٨] . . . ولست هنا في موقع من يلقي درساً يلقنه لطلابه ، وإنما أحاول أن أدلل على أن غرنباوم كان يلقي الحكم على عواهنه ، وكأنه اعتاد أن يلقن طلابه ما يريد ، دون أن يعرض له من يناقشه ، فهو يتحدث في العموميات، ولا يهتم بإيراد حجة على ما يقول . ومن آرائه التي من هذا الضرب زعمه أن النقد العربي كان في أيدي النحويين ، ولا أحد ينكر أن بعض النقاد كانوا من النحاة ، وأن قلة من هؤلاء حكمت النحو في النقد ، أما سائرهم وهم الرعيل الأعظم من النقاد فقد تناولوا النقد من جوانبه الأسلوبية والإبداعية والبلاغية ، وهذا عبد القاهر الجرجاني وهو من كبار شراح الإيضاح للفارسي ، ولم يدع للنحو سبيلاً إلى كتابه أسرار البلاغة . . فإذا كان غرنباوم يشير إلى نقد ابن ابي إسحاق للفرزدق مثلاً [١٩] ، أو إلى مآخذ بعض النقاد النحوية على المتنبي ، فإن هذه المواقف الجزئية في تاريخ النقد العربي لا توجب ذلك التحجير البعيد والجزم بأن النقد العربي كان في أيدي النحويين .

والطريف أن غرنباوم وضع في هذا الموضع حاشية فحواها أن أكثر نقاد العصر الهلنستي وبخاصة الرومان منهم كانوا نحويين أو بلاغيين حرفةً . وكأني به أراد أن يشد هذا الحكم ، ويلوي عنقه ليجعل من النقاد العرب صورة عن نقاد العصر الهلنستي . وهو يلح على هذه الفكرة ويكررها في كل موضع يستدعي ذلك أو لا يستدعيه ، فعند حديثه عن المقامات مثلا نراه يذهب إلى أن المراوحة بين السجع والشعر في قطعة واحدة ظاهرة جاهلية ، وأنه كثيراً ما تجد في القصص عن أيام العرب أن النثر نما حول نواة من الشعر ، وتدل قرائن أخرى على أن القصيدة . كانت توضع بعد أن يوجد الخبر المنثور ، فاستعمال القاص لهما عمداً وجعلهما معاً على قدم المساواة قد يعزي إلى تأثير هيليني . . أما لماذا يعزى ؟ لا ندري ، مع أنه ذكر أن ذلك كان أمراً معروفاً منذ الجاهلية واستمر .. وإذا نحن رجعنا إلى خطب خطباء بني أمية من خلفاء وعمال فإننا نجدهم في خطبهم يحتجون بالشعر ويستشهدون به ، ومن الطبيعي أن يستمر هذا الأمر . أما لماذا يصبح نتيجة لتأثير هيليني وما الدليل على ذلك ؟ فهذا مالم يقدمه لنا غرنباوم ، وربما هي مجرد تشابهات ، وربما هي موجودة في التراث الإنساني لدى أكثر من أمة ، دون أن يكون هناك ما يرجح سبق أمة ما بها أو أخذ أمة عن أمة ومن آرائه التي تلفت النظر إعجابه بأبي بكر الباقلاني صاحب إعجاز القرآن ، فهو يرى أنه «لأول مرة وعلى يد العسكري والباقلاني أصبح البحث والتقويم الجماليان الغاية الأولى للنقد الأدبي ، ولكتاب الباقلاني هذا منزلة رفيعة ، وخاصة إذا عرفنا أنه - أي الباقلاني - كان رائداً في ذلك» [٢٠] وما أدري إنْ كان أي ناقد عربي يضع كتاب الباقلاني في الكتب التي غايتها البحث الجمالي ؟! وإن قراءة جادة لما قدمه الباقلاني في نقده لأبيات من

معلّقة امرئ القيس مثلا (٢١) ، تبين أن الرجل لا علاقة له بالنظرة الموضوعية ، وإنما كل همه أن يهشم ذلك الشعر ويعيب أساليبه ليجعل الإعجاز خاصاً بنظم القرآن الكريم . فبحث الباقلاني بحث موجه مسبقاً كما أنه غير بريء وغير خالص لوجه النقد والتقويم الجمالي ، إن قضية الإعجاز قضية إيمانية ، لا ينتقص منها إعجابنا بشعر شاعر ، ولا يزيدها عظمةً الطعن في شعر شاعر سواء أكان كبيراً أم صغيراً . . . وكان من العجيب أن يجعل غرنباوم غاية هذا الكتاب البحث والتقويم الجمالي .

وعرض غرنباوم لمبحث الحب عند العرب (٢٢) ، وذكر قيس بن ذريح وجميل بن معمر وعروة بن حزام ، ثم قال : إن خيال العامة نسج حول جماعة من هؤلاء المحبين المشردين أساطير عاطفية تمتدح حبهم العفيف الصادق الذي كثيراً ما أوردهم حتفهم الباكر ، ثم ذكر أن فكرة الحب العامة المتجلية في هذه الحلقات الشعرية بما فيها من التفاصيل الباكية المؤثرة من جهة ، والمشاهد الدعابية من جهة أخرى ، تحمل أثراً واضحاً من نظرة اليونان إلى الحب ، والتي تبعث الحياة في القصة اليونانية .

وهنا أتساءل : أية نظرة من نظرات اليونان إلى الحب يريدها الأستاذ ؟ أيريد مايسميه عامة الناس بالحب الأفلاطوني مثلاً . . . وما علاقة الحب الأفلاطوني كما بسطه أفلاطون في (المأدبة) بالحب العذري . . ثم هل الشعوب بحاجة إلى من يعلمها كيف تحب ؟ ما علاقة ذلك الحب الشاذ عند اليونان بهذا الحب الذي نبت وترعرع في البادية العربية تغذوه قيم الإسلام ونواميس الحياء والعفاف والضبط الاجتماعي ؟ والحق أني لا أدري إن كان غرنباوم سيقول إن أتيح له : إن العرب يتنفسون الهواء لأن اليونان كانوا يفعلون ذلك . . . إن الأمر إذا تعدّى حدّه في الزيادة جنح إلى النقصان ، ولقد بالغ غرنباوم أية مبالغة في عَزْو كل ظاهرة من الظواهر الاجتماعية عند العرب إلى اليونان ، وكأن هذا الباحث عاجز حقيقة عن أن ينظر إلى الأمة العربية بعد الإسلام وهي تتطور ذاتيًا متفاعلة مع عدد من الحضارات من خلال ثقافتها واحتياجاتها الداخلية ، وكأن اليونان هم آباء البشرية وأصولها . . وكأن كل ما يمكن أن تبدعه الحضارات إنما هو منهم وإليهم . . . وأذكر هنا بالمناسبة أن أحد الباحثين العرب الذين نهجوا هذا النهج في البحث ، استكثر على العرب كلمة (لغة) فقال إنها من (أوغوس) اليونانية لأنها تشبهها ولأنها لم ترد في القرآن الكريم (٢٣) ؟!!.

إن منهج غرنباوم في البحث في هذا الاتجاه ، ليس غريباً عنا ، فنحن نعرفه لدى نفر من رصفائه من المستشرقين الذين ينظرون إلى العرب من عل ، وقد رسخت في أذهانهم معلومات لا نملك إلا أن نقول إنها مشوهة ، وملأ أدمغتهم أحكام عامة عن العرب والثقافة العربية ، فهم يهجمون على التاريخ والثقافة العربيين مسلحين بأحكام مسبقة ونظرة متعالية ، وبروح صليبية قارة في صميم نفوسهم ، وما أظن هذا يمتّ إلى الموضوعية بصلة ، ولا إلى العلم بوشيجة .

زد على ما تقدم تلك الأحكام العجيبة التي يطلقها ، وهي تذكرنا بقولهم في القديم : فلان أشعر العرب . . . فهو يقول : إن أبا نواس أشد شعراء العرب تفنناً . . لماذا؟ لا ندري لمَ هو كذلك ؟ . . وأبو تمام حمل لواء الحركة الرجعية - هكذا - التي دعت إلى استجادة المعاني وصقل التعبير وتنميق الأسلوب وإيثار الأوزان الثقيلة . . . فهل نجد فرقاً بين هذه الأحكام و تلك الأحكام المرتجلة غير المعللة التي كانت تطلق في المجالس الأدبية من أن أشعر بيت هو كذا وأشعر شاعر هو فلان ؟!! . .

ومن آرائه أيضاً أن القرن التاسع - الثالث الهجري - ظهرت فيه نظرة جديدة إلى الطبيعة ، تولد منها شعر وصفي جديد ، فقد غدت الزهور والجنائن مواضيع لقصائد طويلة ، واستنبطت استعارات زاهية وأحياناً متكلفة ، لإظهار ما في الورد أو النرجس من جمال فائق ، وقد عمل أبو تمام وابن الرومي كثيراً على ترقية هذه النظرة الحديثة إلى الطبيعة التي تحمل شبهاً من آثار الكتاب اليونانيين المتأخرين .

وهكذا يعود إلى النغمة التي مافتئ يكررها منذ بداية بحوثه ، ومع أن غرنباوم يكثر من الحوشي والإحالات ، فإنه يضن علينا في مثل هذه المواضع بأي توضيح أو حاشية تبين لنا أو لنقل تذكر لنا اسم واحد من هؤلاء اليونانيين المتأخرين ، وكأن البحث الأدبي عند العرب لم تكفه ادعاءات الدكتور طه حسين يونانية أبي تمام وابن الرومي وادعاء أثر الوراثة الجنسية في أساليبهم الأدبية وطرائق تفكيرهم ، حتى أتى مبحث غرنباوم ليضيف ادعاء إلى ادعاء ، وليساند الادعاءات السابقة بادعاء آخر . . مع أن نظرة فاحصة لشعر الطبيعة عند العرب تكشف أن هؤلاء الشعراء كانوا منذ الجاهلية مولعين بوصف الطبيعة ووحشها وصحرائها ونباتها وسيولها . . فإذا ما تطور الزمن وارتقت بأجيالهم اللاحقة أسباب الحضارة ، فإن وصفهم للطبيعة سيأخذ منحى آخر ، وسيكون أعمق وأشد تعقيداً وذلك لأن هذه النفوس في القرن التاسع الميلادي / الثالث الهجري قد تغيرت عقيدة وثقافة عما كانت عليه قبل ثلاثة قرون ، بل إنها نهلت من روائع الحضارات الأخرى وتفاعلت معها ، وليست اليونانية ضربة لازب بدون دليل ولا حجة.

إن هذا البحث حتى الآن اتخذ سمة الرد على غرنباوم والاعتراض على آرائه ، مع أن في آرائه اتجاهاً ممتازاً ، لو قيض أن ينتفع به ويجعله ميزاناً للآراء الأخرى ومعياراً لها لتخلصت آراء غرنباوم مما شابها من الاعتقاد بالمركزية الأوربية ، ولكن الرجل كانت له إضاءات في بحوثه لا تلبث أن تنطفئ ، ويعود كاراً إلى أفكاره المسبقة الصنع ، وحتى في إضاءاته تجد ما يلفت النظر . . ففي حديثه عن ابن سينا مثلاً يقول «ولن نستطيع أن نحسن التعرف إلى التفاعل بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ولا أن نحسن تقديره وتقويمه إلا إذا أدركنا الوحدة الثقافية الأساسية بينهما وتأملناها جيداً ، فتلك الصلة بين الشرق والغرب هي التي تفسر أولاً : كيف تقبلت أوربا الفكر العربي وثانياً : تدلنا على الأفكار والنزعات التي نمت مستقلة في الغرب ، وإن بدت لأول وهلة متواشجة بمشابه لها في الشرق ، وتطلعنا على إنتاج غربي لا عارية شرقية» (٢٤) . . فهذه (أولا) تدل على روح موضوعية ، أما تلك ال (ثانيا) فإنها مكيال آخر ، إن الإضاءة الاولى مالبثت أن عريت وانطفأت تحت وطأة المركزية الأوربية . . ولو أنه نظر إلى تلك الوحدة الثقافية في ضوء فكرته الأولى ، لما كان هناك عارية شرقية ولا غربية ، وإنما حضارات تمتزج وتتفاعل .

ولم تخل آراؤه من التناقض ، فقد ذهب - كما ذكرنا - إلى أن العالم العربي اعتنق آراء أرسطو ، وأن عصور العقل لا تصلح أبداً لخلق الفن الملهم ، ولم يملك المترجم العربي نفسه من أن يعلق على ذلك بقوله : «بعد قليل سنجد المؤلف في سياق هذا البحث يقرن بين نهضة الأدب العربي ودخول الثقافة الهيلينية في العالم الإسلامي ، والثقافة الهيلينية تُعلي من شأن العقل ، فكيف تكون نهضة العرب أروع ما شهده الأدب العربي في عصر العقل ، ثم يقال : إن عصور العقل لا تصلح لخلق الفن الملهم ؟ » .

ومن آرائه الجيدة التي أزعم أنها عميقة ، ما ذهب إليه من أن « الشعر الذي هو وسيلة البدويّ الوحيدة للتعبير الرفيع عن النفس قد تمثلت فيه حياته الروحية في أتم أوضاعها ، لذلك قلّما عالج البدوي الظواهر الخارجية والصلات الاجتماعية رغبة فيها ، وإنما فعل ذلك ليجعل منها وسيلة يبسط بها مع نفسه لا غير ، ثم يخلص غرنباوم إلى أنه لا مفر من اعتبار الشعر القديم شعراً وجدانياً إلى مدى بعيد» (٢٥) . إن هذه الملاحظة وأعني بها تجاوز الوصف الخارجي الذي يقدمه لنا الشاعر الجاهلي ، واعتباره تمثيلاً لتلك الحياة الروحية المعتلجة داخله لهي ملاحظة حرية بالتسجيل ، وأن يؤخذ بها في التطبيقات الأدبية والنظرات النقدية . غير أن مثل هذا العمق نادر جداً في نظرات غرنباوم . ويعود السبب إلى أنه كتب في موضوعات ذات عنوانات عريضة وأغرق في العموميات من خلال نموذج في ذهنه ، وأطلق أحكاماً كثيرة هي بحاجة إلى فحص ودراسة . فنراه مثلاً عندما تحدث عن الاستجابة للطبيعة في الشعر العربي يقول :

«إننا إذا نحن قابلنا ذلك الجانب من الشعر العربي الذي يعبر عن الشعور بالطبيعة حتى حوالي سنة ١٠٠٠م ، متناولين مع ذلك بصورة غير مباشرة الدور الذي تلعبه الاستجابه الجمالية أو الشعورية للطبيعة في محصول العرب الروحي بالجانب الذي حظي به الشعر الغربي من ذلك منذ عصر النهضة الإيطالية ، فإنه ليتضح لنا بوجه العموم أن ما حظيت به الطبيعة من اهتمام الشاعر العربي بها أقل جداً مما حظيت به من الفنان الغربي ، وذلك من حيث هي مصدر الإلهام وموضوع له جميعاً . . . ثم يخلص إلى أن شعر الطبيعة لا يشغل في الأدب العربي المكان الهام الذي شغله في آداب الغرب» (٢٦) . . .

ونحن لانريد أن نقول إن الرجل مخطىء ، ولكننا نتمنى لو أنه أتى بدليلٍ ما في حاشية من حواشيه الكثيره، والمطّلع على جانب منّ جوانب التراث الأدبي عند العرب يعرف أن شعر الطبيعة احتل مكاناً لائقاً في الشعر العربي، وتسلل حتى إلى قصائد المديح ، وأروع ماقاله أبو تمام في وصف الطبيعة كان مطلعاً لقصيدة في المديح (٢٧) ، ولا أريد أن أعدد وأكثر ، فحسبنا أن نشير إلى ابن الرومي والبحتري والصنوبري . . وحبذا لو أن غرنباوم قدم لنا جانباً معلوماتياً عما شغلته الطبيعة في آداب الغرب إلى سنة ١٠٠٠م ، حتى كان لها ذلك المكان المهم الذي ليس لها في الأدب العربي الذي كان في قمة ازدهاره آنذاك .

إن طبيعة هذه البحوث المشتتة عند غرنباوم ، وعدم وقوفه عند مسألة معينة ومتابعتها بجدّية ، وإلقاء الأحكام على عواهنها ، وإهمال الاستقراء الدقيق في كثير مما عالجه . . كل هذه أسباب فيما أظن أسهمت في إهمال آرائه لدى الدارسين العرب مع أن بحوثه مترجمة ترجمة جيدة ، ولعل ممّا زاد في زهد الباحثين في آرائه مواقفه التعصبية ، وإيمانه المطلق بمركزية الحضارة الأوروبية في عصرنا الذي تعلو فيه الدعوة إلى حوار الحضارات وإعادة النظر في العلاقات بين الشعوب .

إن مترجمي كتاب غرنباوم وجدوا أنفسهم مضطرين إلى التدخل في الحواشي للتنبيه على بعض القضايا والتناقضات ، وقد أحسنوا صنعاً حين نصّوا في المقدمة على أن الفلك الذي تدور فيه مقالات غرنباوم لا يحمل القول الحاسم الفَصْل . . . وذهبوا إلى أننا لا نستطيع أن ننكر التفاعل بين الثقافات ، ولكن الحكم على هذا التفاعل من جمع صور التشابه - كما فعل غرنباوم - مزلّة خطرة ، لأن التشابه لا يعني دائماً تأثير هذا في ذاك ، بل إنه يعني أيضا أن المقدمات المتشابهة تؤدي إلى نتائج متشابهة . . . وقد كان غرنباوم موفقاً حين قال : «وإذن فلا بد لنا هنا من أن ندخل في حسابنا أمر الوحدة الأساسية في فكر أهل القرون الوسطى ومشاعرهم ، مثلما هي الحال في الإسلام والمسيحية اليونانية ، ووحدة الفكر والمشاعر ترجع إلى تقارب في الأصول ، وترابط في النزعات التي تؤثر في تطور المشاعر والأفكار» وقد علق مترجمو الكتاب على ذلك بقولهم : «ولو أخذ الأستاذ غرنباوم نفسه دائماً بهذا المبدأ لما اضطر أن يسارع في كثير من الأحوال في البحث عن المؤثرات الخارجية ، ولاكتفى بعرض صور التشابه تاركاً أمر التأثير المتبادل حتى تتوافر الشواهد الممكنة مع الأيام ، غير أن لذة الوصول إلى نتائج حاسمة أو باهرة في أمر من الأمور كثيراً ما تؤدي بالباحث إلى أن يحمل شواهده القليلة مالا تستطيع أن تفي به» (٢٨) .

كما أن المستعرب أحمد سمايلوفتش سجّل عدداً من الملاحظات على دراسات غرنباوم ، كان من أهمها أن تعصب هذا الرجل في بحوثه أمر لا يطاق ، وأن بحوثه في جملتها لا تقدم ولا تؤخر ، بل إن بحوثه لاتنبئ عن قدرته بصفته مفكرًا خبيراً ، وقد جاء هذا في تعليقه على بحث غرنباوم «في النقد العربي» قال : «ونستطيع أن نقول بعد هذا إن كلام غرنباوم عن النقد في هذا القرن الذي ذكره ليس كلاماً شافياً ، فهو لم يدلنا على خط واضح يبرز لنا اتجاه النقد في هذا الوقت، ولم يوضح في قوة اتجاه صاحب الموازنة في كتابه ، وهل كان متأثرًا بمن سبقه أولا ؟ ثم ما هدف الآمدي من كتابه وما أثر كتابه في النقد ؟ ولم يذكر لنا مثالاً واحداً حتى نعرف مدى قدرته على تناول منهج

النقاد مثل الآمدي وغيره ، أما إن يكون الكلام عن النقد في القرن الرابع الهجري بهذا الاتساع والشمول بدون تحديد نقاط يقوم عليها البحث ومحاولة استيفائها فهذا ما لا نقبله من مفكر خبير مثل غرنباوم » .

وبعد ، فإن ماقدمته في هذا البحث إنما هو جولة سريعة بين آراء غرنباوم ، ومناقشة لطائفة من آرائه في الأدب العربي ونقده ، ولم أعرض لآرائه في الفكر الديني والدين الإسلامي لأن مسار البحث لا يسمح بذلك .

ومـا قدمناه لا ينفي جوانب مضيئه في دراسات غرنباوم ، يجب أن يعترف له بها ، فقد قدم بحثاً ممتازاً عن أثر العرب في شعر التربادور ، كما كتب عن رسالة العشق التي صنفها ابن سينا ، وجمع شعر أبي دؤاد الإيادي وحققه وقدم له . . . وهذه كلها جهود يشكر عليها . . . على أن هذا كله لا يخرجه عن إطار دائرة الاستشراق المبني على فكرة المركزية الأوربية التي نرجو أن يتجاوزها الزمان .

الحواشي والإحالات

(١) غوستاف غرنباوم ١٩٠٩ - ١٩٧٢ مستشرق نمسوي الأصل، تخرج في جامعتي ڤيينا وبرلين وعين أستاذاً مساعداً للدراسات العربية والإسلامية في جامعة نيويورك (١٩٣٨ - ١٩٤٢) وفي جامعة شيكاغو (١٩٤٣ - ١٩٤٩) وأستاذاً فيها (١٩٤٩ - ١٩٥٧) وأستاذاً لتاريخ الشرق الأدنى في جامعة كاليفورنيا (١٩٥٧) ثم رئيساً لقسم دراسات الشرق الأدنى فيها .
انظر المستشرقون لنجيب العقيقي ٣ : ١٧٠ وموسوعة المستشرقين عبد الرحمن بدوي : ١١١ .

(٢) قام بترجمة هذا الكتاب كل من : إحسان عباس وأنيس فريحة ومحمد يوسف نجم وكمال يازجي وصدر عن دار مكتبة الحياة ببيروت ١٩٥٩ وذلك بالاشتراك مع مؤسسة فرنكين.

(٣) وهو كتاب صدر في عام ١٩٥٩ عن دار مكتبة الحياة أيضاً، وفيه دراسات ونصوص شعرية تتعلق بثلاثة شعراء هم : مطيع بن إياس وسلم الخاسر وأبو الشمقمق.

(٤) انظر المبحث الخاص بـ (الإنسان وقواه الإدراكية) في كتاب أرسطو: ٦١ لماجد فخري .

(٥) انظر ٦٩ ، ٧٠ في المرجع السابق .

(٦) الكلام مقتبس من كلام غرنباوم في كتابه دراسات في الأدب العربي ، مبحث : الأسس الجمالية في الأدب العربي ٩ وما بعدها .

(٧) انظر على سبيل المثال : الإبانة عن سرقات المتنبي للعميدي. تحقيق إبراهيم الدسوقي البساطي . دار المعارف - القاهرة ١٩٦١ .

(٨) انظر : من التراث إلى الثورة ٥٢٦ - ٥٨٠ . طيب تيزيني. دار دمشق ١٩٧٩ - الطبعة الثالثة .

(٩) طبقات فحول الشعراء ١ : ٨ تح محمود محمد شاكر .

(١٠) نقد الشعر : ١٤ تح : كمال مصطفى : مصر ١٩٦٣ وانظر المصطلح النقدي في «نقد الشعر» ١٩٨ لإدرين الناقوري . دار النشر المغربية ١٩٨٢ .

(١١) الموازنة ١ : ٥ ، ٦ ، ٧ وفي مواضع آخر . تح السيد أحمد صقر . دار المعارف بمصر ١٩٦١ .

(١٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ١٥ تح محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ١٩٦٦ .

(١٣) أسرار البلاغة : ٢١ تح هـ ريتر . دار المسيرة بيروت ١٩٧٩ .

(١٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ٩٤ . إحسان عباس . بيروت ١٩٧١ .

(١٥) انظر حادثة طريفة في المقابسات للتوحيدي ٢٩٧ ، ٢٩٨ ط السندوبي.

(١٦) إنباه الرواة للقفطي ٣ :٢٦٧ .

(١٧) الشعر والشعراء : المقدمة .

(١٨) أسرار البلاغة : ٢١ و ٢٢ ط ريتر

(١٩) طبقات فحول الشعراء : ٢١ .

(٢٠) دراسات غرنباوم : ١٠١ .

(٢١) إعجاز القرآن : ٢٢٨ ، ١٧٧ ، ١٧٢ ، ١٦٨ ، ١٨١ . تح السيد أحمد صقر دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .

(٢٢) دراسات غرنباوم ١٤٧ .

(٢٣) هو فؤاد حنا ترزي في كتابه في أصول اللغة والنحو: ١١ . مكتبة لبنان .

(٢٤) دراسات غرنباوم : ٩٤ .

(٢٥) دراسات غرنباوم ١٣٣ .

(٢٦) المرجع السابق ١٥٩ .

(٢٧) المقصود هنا قصيدته التي أولها :

رقّت حواشي الدهر فهي تمرمر
وغدا الثرى حليه يتكسر

(٢٨) فلسفة الاستشراق : ٣٤٩ . دار المعارف بمصر .

أصول نقد النصوص ونشر الكتب لبرجستراسر

عباس عبدالحليم عباس - جدة

برجستراسر / أصول نقد النصوص ونشر الكتب إعداد وتقديم محمد حمدي البكري ٠- الرياض : دار المريخ ، ١٩٨٢م.

تقديم

يعدّ المستشرق الألماني برجستراسر علماً من أعلام الاستشراق الذين قَضوا حياتهم العلمية يبحثون في خزائن التراث ، ويعملون على إخراج نصوصه ، وتوضيح شروط التعامل مع مصادره ؛ بل ومرسين أصول نقده وتحقيقه ، ومن ثم قواعد نشره وإخراجه .

وستحاول هذه المقالة أن تبيّن منهج هذا العلَم في مجال تحقيق التراث ونشره ، وإلقاء الضوء على أفكاره واجتهاداته من خلال محاضراته التي ألقاها على طلبة كلية الآداب بجامعة القاهرة ما بين عامي ١٩٣١ - ١٩٣٢م ، وقد جُمعت فيما بعد بين دفتي كتاب بعنوان «أصول نقد النصوص ونشر الكتب» فكانت هذه المحاضرات أول محاولة منهجية تعمل على إرساء قواعد (علم النشر والتحقيق) فيما يخص تراثنا العربي المخطوط ، من خلال تجربة مباشرة مع هذا التراث على اختلاف فنونه ، وتنوّع ميادينه . ونحن ، إذ نقوم بمخض زبدة هذه المحاضرات ، وتوضيح صورة هذا المنهج نرجو أن نتمكن من إلقاء الضوء على الكيفية التي كان يتعامل بها المستشرقون مع تراثنا العربيّ ، والوجه الذي من خلاله أخرجوا لنا كثيراً من مصادر تراثنا المخطوة ، لنفيد من الجانب الإيجابي لهذه التجربة ، ونتلافى جوانب القصور فيها ، ثم نتّخذ موقفاً معيناً يساعدنا بالتالي على تطوير مفردات مناهجها وعناصرها بما يتلاءم مع التطور الحتمي الذي لحق بطرق البحث ومناهجه ، منذ الثلث الأول من هذا القرن والمستمر حتى هذه الساعة .

يمكن القول إن «برجستراسر» حاول أن يسير في محاضراته تلك بمنهج وصفي تشخيصي غايته التعليم ، بالرغم من ذلك لم يستطع الرجل أن يوضح معالم خطّته ، وينفرد بمنهجه في كل جزئية من أجزاء عمله ، إذ نصادف بعض المحاولات المقارنة عند الحديث عن ظاهرة يمكن مقارنتها بين التراثين العربيّ والأوربيّ ، فضلاً عن المنهج التاريخي الذي كان يشد برجستراسر أحياناً حتى ينسى المنهج التعليمي الذي هو غاية المحاضرات أساساً ، وكانت تبرز هذه النزعة التاريخية كلما صادف ظاهرة ذات جذور قديمة في علم الكتابة ، وأساليب التأليف عند العرب ، مثلما بدا ذلك واضحاً في الحديث عن (المقابلة) مع هذا وذاك ، وثمة أشياء كثيرة تُحسب لهذا الرجل في هذه المدة الحرجة من فترات الاهتمام بتراثنا المخطوط ونشره ، زد على ذلك أن الرجل ذو اطلاع كبير على هذا التراث ومصادره ، وآية ذلك تلك الأمثلة التي تفوق الحصر ، من المخطوطات والمصادر التي تعامل معها أو اطّلع عليها ، أو اتصل بها بشكل أو بآخر ، وهي أمثلة سببّت لي حيرة كلما رغبت في الاستشهاد بواحد منها في قضية أو أخرى من قضايا منهجه التي سأعرض له .

عرض المنهج

قلنا إن منهج الرجل وصفيّ تشخيصيّ ذو غاية تعليمية، فقد قام بوصف الظواهر، وتشخيصها، مبيّنًا كيفية التعامل مع الظاهرة وتشخيص عللها، ومن ثم معالجتها بالطرق المناسبة، فكان محتوى حديثه يتضمن عدداً من المحاور الرئيسة في هذا المجال، مرتبة ترتيبًا تدريجيّاً، من الخارج إلى الداخل، ومن الكبير إلى الصغير، ومن الدقيق إلى الأكثر دقة . . . ، بحيث انقسمت المحاضرات على أقسام ثلاثة (النُّسخ، النص، ثم العمل والاصطلاح) .

١ - منهجه في نقد النسخ والتمييز بينها

يرى برجستراسر أن من واجب الباحث أن يتحرى نقداً موضوعياً لقيمة النسخة أو النسخ المخطوطة التي يتعامل معها، ولاكتشاف هذه القيمة، علينا أن نتعرف إلى العلامات الظاهرة والباطنة معًا . فالظاهرة تقضي بأن لا ينبني تفضيل النسخة على أساس تاريخي، فقِدَمُ تاريخ النسخة ليس وحده مبرراً لتفضيلها، فلا بدّ من البحث في جوانب أخرى، أولها : كاتب النسخة، فكلما كانت مكتوبة بيد مؤلفها كلما كان ذلك أدعى إلى الدقة، كما يجب أن نعرف، أيضًا، إذا ما كان ناقل النص (راوية) ثقة مشهوراً، أم غير ذلك .

ويركز برجستراسر اهتمامه، بالإضافة إلى ما سبق، على ناسخ النّسخة؛ لأن كثيرين من النّساخ يهمهم سرعة الانتهاء من الكتاب، وحسن منظره، غير آبهين بخلل يعتريه، أو نقص يصيبه جراء هذه السرعة . وإذا كان ثمة إمكانية لنقد أصل النّسخة، ومعرفة ما يمكن معرفته حولها فإن ذلك أزيد للفائدة .

وفي حديثه عن العلامات الباطنة يدعو برجستراسر الناقد (ويعني به المحقق) إلى التدخل بفهمه ومعرفته؛ لتعويض نقص العلامات الظاهرة، بالبحث فيما يمكن تصويبه من خلل، وما يمكن تعديله من تقديم أو تأخير، وغير ذلك من الأخطاء الممكن كشفها بالتدبّر والتفكير، والمعرفة والحصافة . غير أن الرجل يتشدد في ضرورة اتباع الموازنة، وهي شبيهة بالمقابلة ولكنها سابقة لها، فيرى أن الواجب تصحيح النسخة على أصلها الذي نسخت منه، لا على نسخة أخرى لئلا ينتج لدينا أصلان . وإذا كان ثمة غير إبرازة (طبعة)، كأن يكون المؤلف أبرز واحدة، وعدد من تلاميذه أبرزوا أخر . فعلى الناشر أن يحذر المزج بين هذه الإبرازات، وأن يتذكر أن النسخة التي تستحق النشر هي التي أبرزها المؤلف بنفسه، لا التي برزت بعد وفاته . ويفضل النسخ المسهبة على المختصرة، وذات النسخ الكثيرة على قليلة النسخ .

بعد هذا كله يتساءل المرء : إذا صادفنا خللاً أو نقصًا ولم يكن ثمة سبيل إلى الأصل فما العمل ؟ يجيب برجستراسر بأنه لا يجوز للناشر أن يحدس أو يخمّن، إلا فيما هو خطأ ظاهر، أو تحريف واضح حدث أثناء النّسخ . فللناشر أن ينقد الروايات، ويختار الأليق، وليس له أن يدخل في النص ما ليس فيه، مثلما ليس له أن يحذف منه ما هو فيه . ويرى الرجل أن النقص الموجود في النسخة المراد نشرها (الرواية الأولية) لا يعني أن نفقد الأمل في إمكانية تصحيحه، إذ يمكن الاستعانة بما يوجد في المصادر الفرعية الأخرى (الروايات الثانوية) كالشرح، والترجمة، والاقتباس . . . وغير ذلك مما يمكن أن يتضمّن شيئاً من النقص الموجود في نسختنا . . . زد على ذلك أشياء أخرى قد تعدّ مراجع يستدل بها الناشر على صحة الأصل كأسماء الأماكن والأشخاص وغيرها .

٢ - منهجه في تحقيق النص ، أو ما أسماه (نقد النص)

نظر برجستراسر إلى النص من زاويتين الأولى : من زاوية مؤلفه، ماذا كتب ؟ وما الذي عناه ؟ فأكد الرجل ضرورة الفهم بوصفه خطوة أولى لنقد النص أو شرحه على السواء، ولا بد لهذا الفهم من عمادتين يقوم عليهما، تلكما هما :

أ - معرفة المادة التي يبحث فيها الكتاب، كالطب، والجغرافيا، والرياضيات، والشعر وغيرها. وهنا يقر برجستراسر مبدأ الاستعانة بالوهم والتخيل، مع ضرورة تقديم ما يمكن تقديمه من حجج وأدلة، بحيث يمكن أن نتصور ما يمكن وجوده مكان الموجود، وبعد ذلك ننقد ما نتج، منتبهين إلى ضرورة أن يكون تصحيحنا في الهوامش لا في المتن.

ب - معرفة اللغة والأسلوب، بحيث يتجاوز الناقد المعنى المباشر للكلمة إلى ما يعرف بعلم (الأشياء والأسماء). بالإضافة للاستفادة من معرفتنا لعادة المؤلف وأسلوبه ولغته في الكتاب نفسه، أو في غيره، بيد أنه يلزمنا الحذر من تصحيح الناشر لما لم يفهمه. ومما يدخل تحت بند اللغة مسائل مثل: (التنقيط) (والتشكيل) اللذين غالبًا ما يتعرضان للنقص أو التغيير.

والزاوية الثانية الخاصة بنقد النص هي ما يتعلق بناسخه، فالنّاسخ قد يخطئ عمداً أو اتفاقاً (وهنا يسهب برجستراسر في وصف أخطاء الناسخ فيما يقارب صفحات عشراً، مجرد وصف لا غير) فيذكر الإسقاط، والزيادة والتكرار، والتقديم والتأخير، وغير ذلك ليخرج في النهاية بنتيجتين مفادهما: أن النص الأقصر أصح، وأن المفهوم أفضل من غير المفهوم.

٣ - منهجه في العمل والاصطلاح

لقد استطاع برجستراسر أن يتابع نهج التدرج المنطقي في التعامل مع نصوص التراث المراد نشرها، وذلك واضح من خلال تقسيمه للمسألة إلى ثلاث مراحل، تمثلت الأولى بنقد النسخ وتمييزها عن بعضها بعضًا، وذلك في حالة التعدد، للخروج بنسخة يمكن الاعتماد عليها إلى جانب الأصل، أو يمكن الاستعاضة بها عن ذلك الأصل، وهذه مرحلة النظر إلى ما هو خارج النص. أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الانتقال من الخارج إلى الداخل، وتبدأ حالما يقر قرارنا على نسخة أو أكثر بهدف نشرها وإخراجها، وتلك كانت مرحلة «نقد النص» أي تجلية ما يعتوره من خلل، أو نقص، أو غلط ... ومحاولة الوصول إلى وجه الصواب، وهذا كله يقودنا ضمنًا إلى مرحلة أخيرة أسماها برجستراسر «العمل والاصطلاح». وهي مرحلة الإنجاز المتمثلة في الخطوات التالية:

أ - معرفة ما إذا كان الكتاب قد سبق نشره، وذلك من خلال فهارس خاصة للمطبوعات، فإذا صح ذلك، نقدنا هذه النشرة (الطبعة)، فإن كان ناشرها قد استخدم في عمله جميع النسخ الموجودة للكتاب، واستوفى الطرق العلمية في ذلك، اكتفينا بهذه النشرة، وإن لم يكن قد نشر من قبل، أو كانت نشرته فاسدة لسبب ما، وجب الانتقال إلى الخطوة التالية.

ب - استقصاء النسخ الموجودة لمخطوطات الكتاب، وهذا ممكن عن طريق فهارس المخطوطات، والعلاقات الشخصية بمن لهم صلة بمثل هذه الموضوعات.

ج - مقابلة النسخ، فإذا كانت كثيرة جداً نختار أهمها وأنفسها وفق ما عرف في منهج نقد النسخ. والمقابلة عمل صعب، له كيفيته الخاصة، وهي نوعان: مشافهة ومعاينة. والمهم في الأمر أن نقابل كل النسخ بأصل واحد، ونكتب الاختلافات على دفاتر خاصة بهذا الغرض مستخدمين لكل نسخة لونًا أو رمزًا يميزها عن غيرها.

د - وبعد المقابلة تأتي مسألة ترتيب النص. وأهم ما يبرز هنا مسألة الرموز والاختصارات من أقواس وحروف وأرقام وغيرها، مما أسماه برجستراسر بالاصطلاح ويتضمن الترتيب عملية التفقير، والتسطير، وترقيم الأبيات الشعرية ... ونظام

الإحالة والإرجاع وعمليات التوثيق كافّة بالإضافة إلى ما أسماه (عدة النقد) المتمثلة بالمراجع، والنسخ التي استعان بها الناقد نفسه مما يوضع عادة تحت المتن .

هـ - أما المقدمة، ففيها يتم تعديد كل نسخ الكتاب، وذكر رموز النسخ المستخدمة، والقواعد التي استند إليها في اختياره لهذه النسخة دون تلك . وإن كان الكتاب قد نشر من قبل أم لا، فيصف النشرة القديمة في حال وجودها من حيث المظهر والمضمون محاولاً إظهار قيمتها أيضًا .

و - وأخيرًا الفهارس، كالأعلام، فالأعلام تشمل الرجال والنساء والجبال والأنهار وغير ذلك، ثم الآيات والشعر، ولترتيب كل منها كيفية خاصة يجب مراعاتها، ثم فهرست ما سرده المؤلف سوى الآيات والأبيات الشعرية، وأخيرًا فهرست المفردات والكلمات .

وترتيب الفهارس آخر عمل يقوم به الناشر، ثم يظهر الكتاب وينتقده العلماء، فعلى الناشر أن لا يهمل انتقاداتهم وتصويباتهم، ولا خير في أن يخرج ملحقًا يستدرك فيه ما يراه مناسبًا من ذلك كله .

نقد المنهج

في ختام عرضنا لمنهج برجستراسر في نشر تراثنا العربي وتحقيق نصوصه لا بأس من إيراد بعض الملاحظات على ما تقدم :

أولاً : المصطلح

نتساءل بعد ما قرأنا محاضرات هذا الرجل التي يقعّد فيها لعلم نقد النصوص ونشر الكتب، على حد تعبيره، عن مصطلح هذا العلم، ألا يوجد مصطلحات خاصة بهذا العلم، لتحد من الخلط بين المفاهيم، والفوضى في استخدام الكلمات ؟ إن برجستراسر نفسه كان يخلط بين المصطلحات كثيرًا، فنجده يستخدم كلمة (ناقد) مكان (ناشر) أو العكس، و(دارس) مكان (شارح) وغير ذلك مما يوحي بعدم دقة الرجل في مصطلحه، ومما يطول الحديث عنه بحيث نفرد له بحثًا مستقلاً، وأقترح في هذا الصدد أن تقوم إحدى الهيئات المختصة بعمل معجم خاص لمصطلحات علم النشر والتحقيق، ضبطًا لهذا المسألة، وخدمة للعاملين على إخراج تراثنا العربي ونشره وتحقيقه .

ثانيًا : الاستطراد

بحيث يخرج بك عن الموضوع الرئيس (نقد النصوص ونشر الكتب) أو يكاد، فالرجل متأثر بطريقة الجاحظ بوضوح، فتراه ينسى موضوعه عندما يتحدث لك عن مصطلح التفليق عند البلاغيين، أو عندما يتذكر الدعوة إلى (العربية الوسطى) أو غير ذلك، وهذا الاستطراد كان سببًا في التكرار أحيانًا، والتشتت أحيانًا أخرى، وربما التناقض، مثلما حدث ذلك في موقفه من صلاحيات الناشر في الحدث والتخمين .

ثالثًا : المثالية

إذ افترض برجستراسر توافر أفضل الظروف، غالبًا، في الناشر والمنشور معًا، ولا شك أن مشكلات كثيرة تواجه ناشري النصوص ومحققي التراث، لا تجد لها ذكرًا عنده، وبالتالي لا ندري ما هو موقفه منها .

وأخيرًا؛ بقيت ملاحظة حول عدم السماح للناشر بحذف شيء من الكتاب حتى لو كان يمس الدين والأخلاق ولا أدري ما الضرر في ذلك إذا تمت الإشارة إلى مثل هذا الحذف ؟ ومع هذا وذاك، تبقى محاولة هذا المستشرق رائدة في مجالها، خدمت التراث العربي وناشريه في مرحلة من المراحل، ولا بأس في تطويرها بما يلائم روح هذا التراث، والله الهادي إلى سواء السبيل .

الصبح المنير في شعر أبي بصير (الأعشى)

بتحقيق رودولف جاير

محمود إبراهيم محمد محمود
مدرس مساعد بقسم الدراسات الأدبية - دارالعلوم - جامعة القاهرة

الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس بن جندل الأعشى تحقيق رودولف جاير - مطبعة أدولف هلزهوس ، ١٩٢٧م .

تقديم

اهتم المستشرقون بتراثنا العربي تحقيقاً ونشراً ودراسة ، وكرّسوا جهودهم لتلك المهمة ، وقد نشروا كثيراً من تراثنا ، معتمدين في ذلك على الأصول المخطوطة للكتاب ، مع النص في المقدمة على أماكن هذه المخطوطات وصفاتها، وقد نشروا كثيراً - متبعين هذا المنهج - من دواوين الشعر الجاهلي والمجموعات الشعرية القديمة مثل النقائض والمفضليات وغيرها (١) ومن هذه الدواوين التي حظيت باهتمام المستشرقين «ديوان الأعشى» الذي نشره لأول مرة المستشرق الألماني رودولف جاير Rudolf Geyr (١٨٦١ - ١٩٢٩) ، الذي كان أستاذاً للعربية في جامعة كراكوفيا في بولونيا (٢) . ولجاير جهود أخرى في نشر التراث العربي وتحقيقه من تلك الجهود : أسماء الوحوش للأصمعي ، وما خالف فيه الإنسان البهيمة لقطرب (فيينا ١٨٨٨) ، أيضاً نشر أشعار «أوس بن حجر» متناً وترجمة ألمانية بمقدمة وافية (فيينا ١٨٩٢) . ونشر قصيدتين للأعشى : ما بكاء الكبير ... وودّع هريرة ، متناً وترجمة ألمانية (ليبزج ١٩٠٥) وغير ذلك من الآثار التي قام بنشرها وترجمتها (٣) .

• أما عن نشرته لديوان الأعشى

فقد طبعت في مطبعة أدولف هلزهوس بيانة ١٩٢٧ ، وعنّون لها على الغلاف بالعنوان التالي :

«كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس بن جندل الأعشى»

وهذا العنوان يوهم القارئ - لأول وهلة - أنه في أصول الديوان المخطوطة ، وأن محقق الديوان نقله عنها لاسيما وأنه عنوان جار على طريقة القدماء العرب في استعمال «التسجيع» في عنونة كتبهم . والحق يقال إن هذه التسمية زيادة من «جاير» وغير موجودة في أصول الديوان المخطوطة .

ويواجهنا بعد صفحة الغلاف ، الصفحة التالية ، وقد كتب عليها ما يلي :

«ديوان شعر الأعشى ميمون بن قيس بن جندل مع شرح أبي العباس ثعلب»

وهذا العنوان مقارب لما هو في الأصل المخطوط إلا أنه تبين له بعد ذلك أن هذا الشرح ليس لثعلب ، وسنتزيد هذا الأمر تفصيلاً بعد قليل .

• منهجه في هذه النشرة

- جاء شعر الأعشى من هذه المطبوعة - التي تضم شعر الأعشى والأعشين الآخرين في (٨٢) قصيدة بعضها مقطعات ، وذلك كل ماورد في المخطوطات

التي اعتمدها، ثم أضاف إليها كل ما جمعه من المصادر المختلفة. واستغرقت هذه الإضافات الأرقام من (٨٣) إلى رقم (٢٢٢) وهي آخر شعر الأعشى، ويبلغ عدد صفحات هذه النشرة (٣٦٠) صفحة من القطع الكبير، وقد جعل للتعليقات والحواشي ترقيمًا يختلف عن ترقيم صفحات الديوان استغرق ذلك (٢٤٤) صفحة، ثم أضاف إليها استدراكات استغرقت الصفحات (٣٠٦ - ٣٢٨).

- والحق أن جاير في هذه النشرة قد بذل جهدًا كبيرًا، وعمله يعدّ مثالاً للدقة والأمانة العلمية والإخلاص.

وقدم لنشرته تلك بمقدمة باللغة الألمانية تحدث فيها عن جهوده التي بذلها في تحقيق هذا الديوان، وقد ترجم «محمد محمد حسين» هذه المقدمة إلى العربية، ونشرها في مقدمة نشرته لشعر الأعشى، وسوف أعتمد على هذه الترجمة في وصف جاير للمخطوطات.

- ذكر جاير في مقدمته أنه استحضر نسخًا من مخطوطات الديوان حتى تجمع لديه ست نسخ، وهي:

١ - المخطوط الأسكوريالي ورمز له بحرف: E.

٢ - مخطوط دار الكتب المصرية ورمزه: C.

٣ - مخطوط ستراسبورج ورمزه: C^a.

٤ - مخطوط ساخو: C^6، وهما منقولان عن نسخة دار الكتب.

٥ - مخطوط جامعة لندن ورمزه: L.

٦ - مخطوط مكتبة باريس ورمزه: P.

وهذا عمل منهجي جيد.

- قدم لنا وصفًا مطولاً للمخطوط الأسكوريالي، وجعله الهيكل الأساسي للديوان، وذكر أنه لاقى صعوبة كبيرة في قراءة هذا المخطوط لقدَم خطه، ولما أصابه من آثار حريق ذهب بمعالم المثلث الأعلى لكل ورقة، وكانت الصفحات الست الأخيرة فريسة اللهب، وبذلك ضاعت نهاية المخطوط وضاع معها إمضاء الكاتب وتاريخ الكتابة». وهذه الآثار التي أصابت المخطوط قد أثرت على نشرة جاير لشعر الأعشى، حيث نجد في كل صفحة من صفحات الديوان موضع بياض، وكان يشير في الهامش إلى مقدار الأسطر التي لم يستطع قراءتها وهذا عمل جيد.

- وصور لنا لوحتين من أول المخطوط الأسكوريالي، وضحت هذه الصورة العنوان الأصلي للمخطوط والحالة التي عليها، وكان مكتوبًا عليه أنه من صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى المنبوز بثعلب، رحمه الله، وظن في بادئ الأمر أن التفسير من صنع ثعلب بالإضافة إلى روايته للشعر، ولكن تبين له بالدراسة أن هذا التفسير ليس لثعلب، وإنما له رواية النص فقط. وذكر أدلة ثلاثة لنفي صلة ثعلب بهذا التفسير، وخلاصة هذه الأدلة:

١ - أن الشرح كثيرًا ما يتناول البيت بقراءة مخالفة لنص ثعلب الشعري، فمثلاً: القصيدة (١) ذكر فيها البيت (٣٣) هكذا (آلت طليحًا) بينما هي في التفسير (آضت طليحًا).

٢ - كثيرًا ما يسير الشرح في سياق القصائد على نظام مخالف لترتيب نص ثعلب، فنجد في القصيدة (٣٥) مثلاً أن تفسير البيت (٢٣) يأتي بعد البيت (٢٤).

٣ - يلاحظ أن أكثر الرواة وعلماء اللغة الذين ذكروا في التفسير من البصريين ومن المعروف أن ثعلبًا علم من أعلام الكوفيين، بالإضافة إلى أن اسم ثعلب لم يظهر في التفسير كله إلا ثلاث مرات فقط، وقد ذُكر في هذه المواضع ذكرًا عابرًا (٥).

- وهذه الأدلة لها وجاهتها ومنهجيتها غير أنها لا تقطع بنفي صلة ثعلب بهذا الشرح، ورغم ذلك كان «جاير» أشد إقناعًا من مصحح شرح ديوان زهير بن أبي سلمى الذي طبع بمطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م)، الذي قال في مقدمته للكتاب وذلك عندما تشكك في نسبة الشرح لثعلب وبخاصة أنه لم يجد ما يدل على ذلك في كتب الفهرسة القديمة - ما نصه: «وإذا وازنّا هذا الشرح بشرحه لديوان الأعشى المطبوع في بيانة سنة ١٩٢٧م أظهرت لنا هذه الموازنة وحدة هؤلاء الشيوخ في كلا الشرحين، فقد

كثر النقل عنهم (أي عن أبي عبيدة والأصمعي وعمرو بن أبي عمرو) في ذلك الشرح كما كثر هنا» (٦).
وعلى هذا رجع أن شرح ديوان زهير لثعلب، وإن لم يقطع يقينًا بذلك، ولكن دعواه هذه ليست على إطلاقها لما يأتي:

أولاً: لم يطلع على نفي جاير لصلة ثعلب بشرح ديوان الأعشى في مقدمته التي لم تكن ترجمت إلى العربية في ذلك الوقت، وقد أشار فيها «جاير» إلى خطئه في إثبات اسم ثعلب على غلاف الديوان.

ثانيًا: هناك فرق واضح في المنهج بين شرح ديوان زهير وبين شرح ديوان الأعشى، وأن تشابها في أسماء الرواة، فوحدة الشيوخ الرواة لا تنهض دليلاً على إثبات أن المفسر كان واحدًا.

ثالثًا: كان على «جاير» وأيضًا على مصحح شرح ديوان زهير أن يعقدا مقارنة بين منهج ثعلب فيما وصلنا من كتبه مثل «مجالس ثعلب» ومنهجه في هذين الديوانين وغيرهما، حتى يتبين لنا صفة هذا المنهج الذي يمكن أن يقاس عليه في نفي النسبة أو إثباتها، ومن هذا الباب أجدني لا أوافق على ما ذهب إليه «جاير» عندما قال: (أما عن النص الشعري فهو لثعلب، لاشك في ذلك) (٧).

- والحق يقال إن هناك شكاً أيضًا يمكن أن يحوم حول نسبة رواية هذا الديوان أعني ما في مخطوط الأسكوريالي لثعلب، لأنني وجدت روايات لشعر الأعشى رواها ثعلب في مجالسه وفي شرح ديوان زهير، تخالف رواية الديوان الذي يزعم «جاير» يقينًا أنها رواية ثعلب؛ من تلك الروايات:

١ - في المجالس: «وأنشد للأعشى:

وشمول تحسب العين إذا
صَفَقَت بُرْدَتَها نُوْرَ الذَّبَحْ» (٨)

- ورد في الديوان ق (٣٩) بيت (٣٣) برواية: «وُرْدَتَها». ص: ١٦٢.

٢ - في المجالس «وروى للأعشى:

ويقبل ذو الحاج والراغبو
ن في . . .» (٩)

- جاء في الديوان ق (٢) ب (٥٣) ص: ١٩، برواية: «ذو البَثّ».

٣ - في مجالس ثعلب أيضًا روايتان لبيت واحد ليست إحداهما في رواية النص الشعري بالديوان. الأولى، يقول الأعشى:

ونُبِّئتُ قيسًا ولم آته
وقد زعموا سادَ أهلَ اليَمَن

فعيب عليه - أو عابه قيس نفسه - فرده فقال:

ونُبِّئتُ قيسًا ولم آته
على نأيه سادَ أهْلَ اليمن (١٠)

- في حين أن الرواية في الديوان ص ٢٢، ق (٢) ب (٧٩):

ونبئت قيسًا ولم أبله
كما زعموا خير أهل اليمن

والفرق واضح بين الروايات جميعًا.

٤ - وفي شرح ديوان زهير - مثلاً - روى للأعشى بيت كالآتي:

ما جعل الجُدُّ الظَّنُون الذي
جُنِّب صَوْبَ اللجب الماطر (١١)

- في حين أن الرواية بالديوان جاءت:

ما يُجعل الجُدُّ الظنون الذي
جُنِّب صَوْبَ اللجب الزاخر

هذا وغيره من الروايات التي رويت عن ثعلب، وتخالف رواية ديوان الأعشى تطرح شكوكًا جديدة على نسبة رواية ديوان الأعشى لثعلب، وليس معنى ذلك أيضًا أنه ليس لثعلب؛ بل لا نقطع بهذا ولا بذاك، بل قد يكون هناك تداخل بين الروايات في هذا الديوان، فالرواية فيه لا تخلص لثعلب ولا لغيره من الرواة.

- ذكر أن بالمخطوط الأسكوريالي (٧٤) قصيدة ثم أضاف إليها ما وجده من النصوص في المخطوطات

الأخرى، وأكمل بها الديوان حتى بلغ مجموع القصائد والمقطّعات (٨٢) قصيدة. ووضع روايات المخطوطات الأخرى في آخر الديوان مع التخريج والتعليقات. والمقدمات التي وجدت بهذه المخطوطات أيضًا أخّرها إلى آخر الديوان ووضعها في مقدمة تخريج كل قصيدة.

- وضع قوسين حول كل زيادة أدخلها في الديوان سواء كان ذلك في النص أو في التفسير، وصنّف الأقواس إلى ثلاثة أصناف:

الأول: ( ) جعلها للتكملة التي يكمل بها النص الشعري من الرواية الموجودة بالشرح على سبيل المثال؛ البيت (٦٧) قصيدة (٢):

«وما قَدْ أخَذْنَ وما قَدْ تَركْـ

ـنَ في الحَيِّ من نـ(ـعْمَة و دمَن)»

وواضح أن الحريق قد ذهب بأواخر البيت فأكمله من الشرح حيث جاء فيه «النّعمةُ ما منُّوا به على الأسرى والدِّمنة العداوة» ص ( ): ٢٠، ٢١.

الثاني: [ ] جعلها للتكملة التي يأخذها من المصادر الأخرى مثال ذلك بيت (٥٣) ق (١):

«ترى من عصـ[ـاك أصبح مخذو

لًا وكعب الذي يطيعك عالي]»

حيث ورد هذا البيت مع أبيات أخر في عدة مصادر من كتب الأدب فأكمله منها.

الثالث: جعل العلامة ‹ › لما يضعه اعتمادًا على اجتهاده، وفهمه الخاص بعد أن تعذر عليه وجود البيت في الشرح أو في مكان آخر مثال ذلك البيت (٤٤) من ق (٢):

«‹ولم يَلْحَقُوه› (عَلَـ)ـى شَوْطه

وراجَعَ من ذلّة فاطْمَأنّ».

وهذا يعني أنه أفاد كثيرًا من المصادر والمراجع التي رجع إليها، وترد العلامتان الثانية والثالثة كثيرًا في الشرح.

- اهتم «جاير» بتخريج جميع أبيات الديوان التي وجد لها ذكرًا في المصادر، وجمع كل ما روي للأبيات من روايات بطريقة لا تعرف الملل، وتدعو إلى الإعجاب والدهشة، وهو عمل مهم جدًا لفهم الشعر، واعتمد في خلال ذلك على عدد ضخم من المصادر المختلفة المطبوعة والمخطوطة، وقد بلغت في مجموعها (٥٦٩) مؤلفًا، وهو جهد عجيب لا يتوفر عليه كثير من المحققين ولا يصبر له. وعلى كثرة مصادره نجده يضع لكلٍّ منها اسمًا مختصرًا باللغة الألمانية يعتمد عليه في التخريج والتعليقات والحواشي مثال ذلك:

كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري = Dm

شرح على متن المغني للدماميني = Dmm

رسالة الغفران لأبي العلاء المعري = Gfr

وهكذا حتى أتى على جميع قائمة المصادر والمراجع؛ بل تجاوز ذلك بأن وضع رموزًا مختصرة للأعلام الذين ورد ذكرهم في الديوان من ذلك رمز «لأبي عمرو» هكذا: "A . A = , Abu, Amr".

ولقد نهج هذا المنهج بعض المحققين الشرقيين في العصر الحديث مثل العلامة: عبدالعزيز الميمني في كتابه المحقَّق «سمط اللآلي».

- ضبط «جاير» الشرح والشعر والتعليقات ضبطًا كاملاً، ورقم قصائد الديوان وأبياته، وهذا عمل مفيد للباحث في التخريج والإرجاع. وكتب حواشيه وتعليقاته باللغة الألمانية، وإذا نقل من المصادر العربية قدم له باللغة الألمانية أيضًا.

- جعل الشعر في أعلى الصفحة والشرح الذي عليه في أسفل الصفحة ووضع في ثنايا الشرح أرقام أبيات الشعر التي يتناولها الشرح، ولتوضيح ذلك نسوق مثالاً:

«[٤٩ - ٥٣] ويروى قارع الناس عن أحلامهم قرعًا»

ومعنى ذلك أن الشرح الذي ورد بعد هذه الأرقام في المطبوعة، ورد بعد الأبيات (٤٩ - ٥٣) في المخطوط. أيضًا وضع أرقام صفحات المخطوطات في ثنايا المطبوعة.

- رتب الشعر الذي جمعه من المصادر المختلفة ترتيبًا أبجديًا، ورقمه ترقيمًا متممًا به ترقيم قصائد الديوان، وعَنْونَ لهذا الملحق بقوله: «مجموعة ما أنشدوا للأعشى ميمون من شعر غير موجود بديوانه» وعمله هذا يَسَّر الإفادة من هذا الملحق .

• مآخذ على نشرة جاير :

على الرغم من الجهد المبذول في هذه النشرة إلا أنها لا تخلو من المآخذ والملاحظات، قال أبو فهر محمود محمد شاكر؛ في إحدى حواشيه على تفسير الطبري ما نصه: «ديوان الأعشى المطبوع في أوروبه ديوان كثير الخطأ والتحريف والتصحيف» (١٢) هذه كلمة خبير، فهي حقًا نسخة مليئة بالأخطاء المتنوعة؛ التي منها ما يرجع إلى ضبط الكلمات، ومنها ما يرجع إلى التصحيف الناتج عن أخطاء الطباعة، ومنها ما يرجع إلى خطأ جاير في قراءة المخطوط أو فهمه، ومنها ما يرجع إلى احتراق جزء من المخطوط. وهي بهذه الحالة لا يكاد يستقيم معها فهم شعر الأعشى حق فهمه، أو فهم الشروح التي عليه. وعلى الرغم من محاولة «محمد حسين» استدراك الأخطاء الخاصة بالشعر في نشرته لديوان الأعشى عن نسخة جاير، إلا أنه لم يزل الكثير منها باق في هذه النشرة الجديدة، ففي مواطن كثيرة تابع محمد حسين «جاير» في تصحيفه؛ بل نجده في بعض الأحيان يشرح الأبيات دون التنبه لتصحيفها، وسأكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة التي تابع فيها محمد حسين لنشرة جاير، أو التي حاول تصويب بعضها، ولكنه وقع في خطأ آخر مثله. من تلك النماذج:

١ - البيت (٢١) من قصيدة (٢) ورد في النسختين هكذا: [مع ملاحظة أن النشرتين تتفقان تمامًا في ترقيم الشعر]: صَلِيفِيَّةً طيِّبًا طَعْمُها . . . ».

وفسرها محمد حسين في نشرته بقوله: «صليفية معتقة» ولا أدري من أين أتى بهذا المعنى الغريب، وهو ليس موجودًا في كتب اللغة، وإنما الموجود صواب رواية البيت «صَرِيفِيَّة» وهي في اللسان، ومفسرة هناك بالمعنى الذي ذكره.

٢ - وفي القصيدة (٣١) بيت (٦) ورد في النسختين

رَجَعَتَ لما رُمْتَ مُسْتَحْسَنًا
تَرَى لِلْكَواعِب كَهْرًا وبيصا

وهو بهذه الرواية خطأ لا يناسب معنى الأبيات ولا معنى البيت نفسه، وإنما صواب الرواية كما ورد في كتاب «تأويل مشكل القرآن» كالآتي:

رَجَعْتَ لما رُمْتَ مُسْتَحْسِرا
ترى لِلْكَواكِب كَهْرا وبيصا(١٣)

وعلى الرغم من تصحيف البيت في النشرتين نجده يفسره دون إشارة لتصحيفه .

٣ - في القصيدة (٣٦) البيتان (٥٥ - ٥٧) ورد في نسخة جاير:

ولقد أمنحُ مَنْ عـاديْتُه
كُلَّمًا يَحْسِمن من داءِ الكَشَح
ذا جُبَار مُنْضِجا ميسَمُهُ
يُذْكِرُ الجارمَ ما كان اجْتَرَح

وهما كذلك في نسخة محمد حسين غير أنه كتب الكلمة الأولى هكذا: (كُلُّ مَا) وظن أنه قد صوبها، في حين أن معناها لم يتغير بعد؛ بل هي في نشرة جاير أصح وإنما الخطأ نتج عنده من ضبط الكلمة، حيث إن صواب الكلمتين هو ما أشار إليه أبو فهر في تفسير الطبري كالآتي:

«كَلْمًا» جمع كَلمة، ويعني به شعره وهجاؤه والثانية «ذا حُبار» بالحاء أي ذا أثر (١٤) وواضح أن محمد حسين لم يتنبه لخطأ الكلمة الثانية، وفسرها كما هي مكتوبة في نشرة جاير .

ولدي طائفة أخرى من هذه التصحيفات أضرب صفحًا عن ذكرها الآن .

- على الرغم من رجوع «جاير» إلى طائفة كبيرة من المصادر و المراجع، إلا أنه لا يفيد منها أحيانًا في تقويم النص أو إكمال ما به من نقص مثال ذلك:

١ - في ص (٦٤) سطر (٤) من أسفل سقط أول نسب (هوذة) الذي مدحه الأعشى، وقد وضع جاير

جزءاً من هذا السقط نقلاً عن بعض كتب الأنساب ووضع مكان بقية النسب نقطاً في حين أن النسب بأكمله في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص : ٣١٠ .

٢ - في ص (٤) سطر (٨) بالشرح يوجد بياض (وروى أبو . . .) وتركه هكذا في حين أن تكملته موجودة في كتاب «معجم ما استعجم» - وهو من مراجع جاير - حيث جاء فيه (وروى أبو عبيدة : «فيادقلي») (١٥) .

٣ - في ص ٣١ السطر الأخير بياض والرواية فيه عن أبي عبيدة، وكلامه موجود بنصه في مجاز القرآن، والكلام فيهما عن معنى «الماعون» في الجاهلية والإسلام (١٦) .

- هناك مواضع كثيرة من البياض في الشرح كان يمكن «لجاير» أن يستكملها من كتب اللغة، أو يوضح ذلك النقص في الهامش، ولكنه لم يفعل .

- وكذلك نجد هذه النشرة قد خلت من الفهارس الفنية واكتفى «جاير» بصنع فهرس واحد للأعلام . ومن المآخذ التي على ملحق «جاير» لشعر الأعشى نجده يضع أبياتاً كثيرة في الملحق ويجعل لهارقماً في حين أنها قد تكون رواية أخرى لبيت ورد بالديوان، وأحياناً تكون رواية مصحفة، وكان عليه ألا يضعها في ملحقه هذا، ويكفي الإشارة إليها في الحواشي، من ذلك : رقم (١٤٩) في الملحق هو البيت (١٨) من القصيدة (١٩) .

ورقم (١٣٩) هما البيتان من القصيدة (٢٠) برواية مصحفة . بالإضافة إلى أن هناك أبياتا بينة الخطأ في نسبتها للأعشى، وغير ذلك مما هو في حاجة إلى مراجعة وتحرير . وبعد . . .

فهذه ملاحظات قد أوجزتها إيجازاً، وأرجو أن أزيدها بياناً في مقدمة نشرتي الجديدة لديوان الأعشى والتي آمل أن أقدمها للقراء قريباً، والتي ستتميز - إن شاء الله - بتفادي أخطاء وعيوب النشرات السابقة، وباعتمادها على أصول مخطوطة جديدة لم تصل إليها يد «جاير» وستزيد عليها كثير من الشعر والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، هو حسبنا ونعم الوكيل .

الهوامش

١ - راجع كتاب محمود الطناحي «مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي» الخانجي ١٩٨٦م ، حيث عقد فصلاً خاصاً عن جهود المستشرقين في نشر التراث .
٢ - المستشرقون، نجيب العقيقي، ص ٢٨٢ .
٣ - السابق والصفحة نفسها .
٤ - انظر مقدمة جاير المترجمة أول ديوان الأعشى شرح وتعليق محمد محمد حسين طبعة دار النهضة العربية، بيروت - مصورة عن طبعة مكتبة الآداب الثانية - ١٩٧٦م .
٥ - السابق، ص ٧ ومابعدها .
٦ - مقدمة شرح ديوان زهير بن أبي سلمى لثعلب ، ص٤ ، ٥ .
٧ - مقدمة جاير المترجمة ، ص ٨ .
٨ - مجالس ثعلب ، ص ٥٠٩ .
٩ - السابق، ص ٥٠٨ .
١٠ - السابق ، ص ٣٤٦ .
١١ - شرح ديوان زهير ص ١٧٤ .
١٢ - تفسير الطبري ٩/ ٥٤٤ .
١٣ - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص ١٦٩ .
١٤ - هامش تفسير الطبري ٩/ ٥٤٤ .
١٥ - معجم ما استعجم ص ١٠٠٥ .
١٦ - مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ : ٣١٣ .

المصادر والمراجع

١ - تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر دار التراث بمصر ١٩٧٣م .
٢ - تفسير الطبري تحقيق محمود محمد شاكر بالاشتراك مع أخيه ، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٧١م .
٣ - شرح ثعلب لديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب المصرية ١٩٤٤م .
٤ - ديوان الأعشى شرح وتعليق محمد محمد حسين طبعة دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٦ ؛ وهي مصورة عن الطبعة الثانية لمكتبة الآداب .
٥ - ديوان شعر الأعشى تحقيق رودولف جاير مطبعة أدولف هلزهوس بيانة ١٩٢٧ .
٦ - مجاز القرآن لأبي عبيدة، تحقيق محمد فؤاد سزكين . الناشر الخانجي الطبعة الأولى ١٩٦٢م / ١٣٨١هـ .
٧ - مجالس ثعلب تحقيق عبدالسلام هارون دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٦٩م .
٨ - المستشرقون ، نجيب العقيقي دار المعارف بمصر .
٩ - معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع ، للبكري ، تحقيق مصطفى السقا - لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧م .

كتاب المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان

تأليف أبي عبدالله محمد بن أحمد بن هشام اللّخمي السبتي المتوفى سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١م

دراسة وتحقيق : خوسيه بيريث لاثارو

عبدالقادر زمامه

الأستاذ المحاضر بكلية الآداب ـ فاس - المغرب

ابن هشام ، أبو عبدالله محمد بن أحمد / كتاب المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان تحقيق خوسيه بيريث لاثارو .- مدريد : المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي ، ١٩٩٠م .

كتاب المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام اللّخمي السبتي ٥٧٧هـ/ ١١٨١م . ليس من الكتب المجهولة أو المنسية أو التي أهمل الحديث عنها الباحثون والدارسون ولا سيما منهم أصحاب الدراسات المغربية والأندلسية ؛ كما أنه ليس من الكتب التي أهمل الحديث عنها أصحاب الدراسات في موضوع « لحن العامّة » فمخطوطاته في دير الأسكوريال كانت محل اهتمام ودراسة وانتقاء واختيار ، وظهر ذلك بوضوح في أقلام عديدة ومناسبات عديدة لعدة اعتبارات تتعلق بما أنجزه ابن هشام اللّخمي في كتابه هذا من انتقادات لمن قبله في هذا الموضوع من أهل الغرب الإسلامي ، وما جمعه من مادة لغوية متنوعة الشكل والمضمون ، والأصل والاستعمال والخطأ والصواب ، وكان ابن هشام يتحرى في بحثه واستقرائه ماكان مستعملاً من الألفاظ والتعابير في كل من الأندلس والمغرب والطريف في الأمر أن كثيراً من هذه الألفاظ : أصيلة ودخيلة لايزال مستعملاً في المغرب إلى الآن بعد قرون مرت على وفاة ابن هشام اللخمي السبتي .

كما أن ابن هشام في المقدمة القصيرة التي كتبها لمؤلفه هذا أبان عن هدفه وأعرب عن خطته ليجعل من كتابه : مدخلاً إلى تقويم اللسان وتعليم الفصاحة التي هي جمال الإنسان وقد استغرق انتقاده على أبي بكر الزبيدي الأندلسي في كتابه : « لحن العامة » ما يقرب من خمسين صفحة من هذه الطبعة التي نقدمها كما استغرق انتقاده على ابن مكي الصقلي في كتابه : « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » مايقرب من أربعين صفحة من هذه الطبعة ، واستغرق ماقدمه ابن هشام من مادة جديدة - في نظره - تحدث عما فيها من لحن أو ضعف أو تحريف أو تعميم أو تخصيص أو استعمال لا يليق بمن يدقق المعنى ويتحرى الصواب في لغة الضاد ما يقرب من سبعين ومئتين صفحة .

وختم كتابه بفصل أدبي لغوي طريف جمع فيه ما تمثلت به العامة من حكم وأشعار وأمثال ، وما لحق ذلك من لحن أو تحريف أوخطأ مع إكمال الناقص ونسبة الأقوال والنصوص إلى أصحابها ، وغني عن البيان والإيضاح أن مدلول كلمتي «العامة» و «اللحن» عند الزبيدي وعند كثير ممن ألفوا في موضوع : «لحن العامة» ليس مدلولاً راجعاً إلى الدهماء والرعاع ومن لا حظ لهم من المعرفة الأدبية واللغوية والنحوية !!

بل هو مدلول يرجع إلى من لم يأخذ قلمه ولسانه وتعبيره بالتحقيق والتدقيق ومراجعة الألفاظ في المعاجم واتباع مناهج أهل البيان من شعراء وكتاب ممن يستعملون لغة سليمة ويحافظون على الدقة في الألفاظ والتعابير والدلالات ، فمن هذه الزاوية يكون عمل ابن

هشام في هذا الكتاب عملا مفيداً لأنه سجل جانباً لغوياً عند طائفة من أهل الأندلس والمغرب ، كما سجل رأيه في هذا الجانب اللغوي ، بدقة واتزان ، وبطبيعة الحال فإن رأي ابن هشام لا فيما انتقده على الزبيدي ولا فيما انتقده على ابن مكي الصقلي ولا فيما جاء به من أشياء أخرى ليس هو الرأي الصحيح والسليم دائماً ، بل إنه جاء بالصحيح والسقيم ، والغث والسمين ، ومجال البحث والتحقيق والتدقيق في الموضوعات التي أثارها ليس ضيقاً ولا مغلقاً ، إلا أن الشيء الذي ينبغي أن نعرفه هو أن ابن هشام اللخمي السبتي كان لغوياً ، ميدانياً ، له حاسة لغوية وذوق اجتماعي وتحقيق دلالي ولذة في تتبع شكليات الكلمات وتحديد معانيها ، فنشعر ونحن نتابع فصول كتابه وكأننا أمام لغوي معاصر ، له منهاج في التفكير وطريقة في التعبير ، هذا ما جعل كتاب : «المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان» يستأثر باهتمام كثير من الباحثين وعدد من المجلات العلمية الهادفة إلى إحياء مكنونات التراث ، وفي هذا النطاق نجد أن فصولاً من هذا الكتاب - الذي حفظت مخطوطاته في دير الأسكوريال بأسبانيا - قد نشرت في مناسبات شتى نذكر منها ما يأتي :

- ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة . نشرها المرحوم عبد العزيز الأهواني في مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد (٣) الجزء الأول والجزء الثاني سنة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م .
- آخر فصل من كتاب لحن العامة لابن هشام اللخمي نشره عبد العزيز الأهواني في كتاب : إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين تأليف عبد الرحمن بدوي - دار المعارف القاهرة ١٩٦٢م .
- الرد على الزبيدي في لحن العامة . نشره عبد العزيز مطر في مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الثاني عشر الجزء الأول ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .
- وخلال السنوات الأخيرة كانت مجلة المورد البغدادية تنشر الكتاب في أعدادها المتتابعة .
- وربما نشرت فصول أخرى من هذا الكتاب المفيد في مجلات أخرى ومناسبات أخرى ، لم نطلع عليها الآن .
- واليوم يتم نشر الكتاب كله في حلة أنيقة وطبعة جيدة مع تقديم وتحقيقات وتعليقات قام بها (خوسيه بيريث لاثارو) وكان هذا الطبع في عاصمة أسبانيا «مدريد» سنة ١٩٩٢م برعاية معهد التعاون مع العالم العربي ، ولاشك أن ظهور هذا الكتاب في سفر مستقل محقق كان أمنية من أماني الباحثين اللغويين ولاسيما من يهتم منهم بموضوع «لحن العامة» وكذلك الباحثون المهتمون بالدراسات الأندلسية والمغربية .

ولا نودّع هذا التقديم الموجز دون أن نشير إلى بعض الكلمات التي أثارها ابن هشام وتحدث عن شكلها ومدلولها مما لا يزال معروفا في المغرب إلى الآن .

- أدغَص = أدغَس : كلمة تعني اللِّبأ وهو أول مايرضع الحيوان من لبن أمه فيقوى ويكتمل خلقه ، والكلمة من أصل بربري قديم ولاتزال مستعملة في المغرب إلى الآن .
- أسطوان = السطوان ، وهو الممر والدهليز الذي يكون عادة بين الباب الخارجية والدار المسكونة ، الكلمة من أصل لاتيني قديم .
- باكور : التّين المبكر الذي يظهر أول الصيف والكلمة عربية فصيحة وهي في المعاجم اللغوية لا تختص بالتين بل بكل فاكهة مبكرة .
- برطال : ج براطيل ، ضرب من العصافير الشهيرة في المغرب ويظهر أنها من أصل لاتيني أسباني .
- بلارج : طائر شهير من الطيور المهاجرة ويسمى : اللّقلاق ، ويظهر في المغرب أوائل الربيع والكلمة من أصل يوناني

وهناك كلمات أخرى حضارية تتناول النبات والحيوان والإنسان والأعلام الجغرافية كثيرة لا مجال لها الآن في هذا التقديم ، ويكفي أن كتاباً مثل «المدخل» يعد مرجعاً مفيداً لضبطها وتحقيق دلالتها والمقارنة بين الاستعمال في الماضي والحاضر .

المستشرقون و توجيه السياسة التعليمية في العالم العربي

لنايف بن ثنيان بن محمد آل سعود

أمين سليمان سيدو

مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض

آل سعود ، نايف بن ثنيان / المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي مع دراسة تطبيقية على دول الخليج العربي .- ط١ .- الرياض : دار أمية ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .- ٣٦٠ص .

تحظى قضية الاستشراق باهتمام الدارسين فى منطقة الخليج العربى بشكل عام ، وفي المملكة العربية السعودية بشكل خاص ، نظراً لخطورة هذا التيار الفكري الغازي، والأهداف البعيدة التى يرمي إليها المستشرقون في تناولهم للدراسات الإسلامية ، والسيرة النبوية ، وافتراءاتهم على التاريخ الإسلامي.

وقد ظهرت عشرات الدراسات التي تناولت قضية (الثالوث الصليبي) : الاستشراق، والاستعمار، والغزو الفكري، وناقشت أفكارهم وممارساتهم وأنشطتهم التي تكيد للإسلام والمسلمين، وتسعى إلى نشر النصرانية فى البلاد الإسلامية وبين أبناء المسلمين.

ومعظم الكتّاب الذين درسوا قضية الاستشراق أجمعوا على أن أقنعة المستشرقين تتغير ، لكن الوجه الواحد، والهدف الرئيس للاستشرق هو إبدال الإسلام بالنصرانية.

وهذا الكتاب دراسة علمية حديثة تناقش ظاهرة الاسشراق وتأثير المستشرقين في توجيه السياسة التعليمية في المنطقة العربية مع دراسة تطبيقية على دول مجلس التعاون الخليجي.

أبواب الكتاب وفصوله

جعل المؤلف كتابه في ثلاثة أبواب رئيسة، يندرج تحت كل باب منها عدد من الفصول على النحو التالي :

الباب الأول : حدد فيه مفهوم الاستشراق من أنه علم له كيانه ومجالات دراساته وأساليبه التي يقوم عليها، بحيث أصبح من المجدي أن تتعدد مدارسه وأغراضه، وأن ينعقد من أجله العديد من المؤتمرات التي تقدم فيها البحوث، وتنظم من خلالها حركة العمل، وأن تقام من أجله المعاهد العلمية التي تدرس الأسس التي يقوم عليها البحث الاستشراقي. ثم عرّف الاستشراق من حيث اللغة، والاصطلاح، وانتقل بعدئذ إلى تعريف الاستعمار، وأهدافه، وأهم مظاهره الثقافية، واستعرض نشأة الاستشراق وآراء علماء العرب والغرب عن بدء حركة الاستشراق ونشوئه، مشيراً إلى أن الاستشراق بدأ مبكراً قبل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ثم توسع واكتملت

وسائله في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، ولكنه بلغ عنفوانه، وتسلطه وقوته إبان الاستعمار الغربي لبلاد الإسلام في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي ثم تراجع عن شدته وحدته وتعصبه بعض الشيء في العقد الخامس من القرن الحالي، ومازال العمل الاستشراقي يعمل إلى اليوم .

وحدد المؤلف الأطوار الثلاثة للاستشراق: طور التكوين، وطور التقدم، وطور الانطلاق، وحصر دوافع الاستشراق في الجوانب التالية: الدوافع الدينية، والدوافع الاستعمارية، والدوافع العلمية، والدوافع التاريخية، والدوافع الاقتصادية والدوافع العقدية والفكرية، والدوافع النفسية. وأدت تلك الدوافع إلى ميلاد فكرة الاستشراق والاهتمام بها على جميع المستويات العلمية، والبابوية (الدينية)، والاجتماعية، والسياسية، والنفسية، والاستعمارية، ثم تحدث عن الحروب الصليبية وأثرها على الدراسات الاستشراقية في مراحلها الأولى، وأشهر من عرف بالاستشراق في تلك الفترة، فأشار إلى عوامل وأسباب الحروب الصليبية، والظروف التي مر بها المسلمون من فرقة ونزاع. أما أهم المستشرقين في فترة الحروب الصليبية وما بعدها، فحصرهم المؤلف في ثلاثة عشر مستشرقًا، وهم: جربردي أورالياك، قسطنطين الأفريقي، ديكويل، أدلرد أوف باث، بطرس المكرم، جيراردي كريمونا، ميخائيل سكوت، توماس الأكويني، رايموند مارتيني، روجر بيكون، رايموند لولو، ليون الأفريقي. ثم استعرض تاريخ التنصير، وأهم مؤتمراته، فحدد أهداف التنصير في ثلاث نقاط رئيسة :

أولاهما: هدم الإسلام في قلوب المسلمين، وقطع صلتهم بالله، وجعلهم مسخًا لا يعرف عوامل الحياة القوية التي لا تقوم إلا على العقيدة القويمة والأخلاق الفاضلة.

وثانيتها: إخضاع العالم الإسلامي لسيطرة الاستعمار والتحكم في مقدراته وإمكاناته، وذلك من خلال اشتراك المنصرين في المؤتمرات الاستعمارية .

وثالثتها: الحقد الدفين في صدور الصليبيين للإسلام وأهله .

أما عن وسائل التنصير فقد قسَّمها المؤلف إلى مجموعات تخدم ثلاثة مجالات رئيسة، هي المؤتمرات الفكرية، والعلاج الطبيعي، والشئون الاجتماعية .

وأوضح أن تاريخ التنصير مرتبط ارتباطًا وثيقًا بتاريخ الاستشراق، وهما لا ينفصلان عن تاريخ الاستعمار السياسي والفكري والأخلاقي. فالاستشراق والتنصير دعامتان للاستعمار وامتداد للحروب الصليبية لمحاولة تحطيم الإسلام وأهله .

وتحدَّث عن نشأة الاستشراق البريطاني الذي هو جزء من الاستشراق الغربي في دوافعه وأهدافه، إلا أن دوافعه الاستعمارية والتنصيرية تطغى على دوافعه الأخرى وبيَّن علاقة الاستشراق وصلته بالاستعمار والتنصير .

أما الباب الثاني فقد جعله المؤلف للحديث عن مناهج التعليم في العالم العربي قبل الاستعمار البريطاني، ودراسة معاهد التعليم وأساليبه وموضوعات التدريب، فذكر أهم المؤسسات التربوية التي كان المسلمون يتلقون فيها العلوم الدينية والدنيوية، وهي: المسجد، والكتَّاب، والمدارس ثم تحدث عن السياسة التعليمية في الوطن العربي في المراحل الأولى للاستعمار البريطاني وأثر المستشرقين فيها، وظهور المناهج التعليمية الجديدة، ثم انتقل بعدئذ بالحديث عن الغزو الفكري وأساليبه لتشويه الشريعة الإسلامية، واستعرض أهم آراء المستشرقين والمنصرين حول التعليم في العالم العربي، وركز على نشاط الاستعمار البريطاني في مجال تعليم النشء وفي الاختلاط وإفساد

مناهج التعليم. والهدف من ذلك صهر المسلمين في بوتقة الغرب، لكي يصبحوا خاضعين قانعين بما يمليه عليهم قادة الغرب، بعيدين كل البعد عن الإسلام وتعاليمه.

وذكر أهم الجامعات والمدارس التي أنشأها الإستعمار البريطاني في العالم العربي وعلاقتها بالإرساليات التنصيرية وإسهام المستشرقين فيها.

وحوى **الباب الثالث** دراسة تطبيقية على دول الخليج العربي «دول مجلس التعاون» ويشمل مدخلاً وثلاثة فصول: المدخل تعريف بدول منطقة الخليج العربي التي منيت بالاستعمار والغزو الفكري وأساليبه لتشويه الشريعة الإسلامية.

تحدَّث في **الفصل الأول** عن قضية التعليم في دول الخليج العربي قبل الاستعمار، وتناول في **الفصل الثاني** أهمية التعليم في التأثير على المجتمع، واستعرض موقف السلطات الاستعمارية من التعليم في منطقة الخليج العربي، وتحدث عن وسائل التأثير على مناهج التعليم.

وأما **الفصل الثالث** فتناول آثار توجيه الاستشراق للسياسة التعليمية، وتحدث أولاً عن أثر المدارس والإرساليات التنصيرية، واستهل هذا المبحث بلمحة تاريخية عن بدايات دخول البعثات والإرساليات التنصيرية إلى منطقة الخليج العربي التي تحمل في جعبتها الغزو الفكري النصراني، وثانيًا تحدث عن السياسة التعليمية في كل دولة من دول الخليج العربي بعد الإستقلال، وهي: دولة الإمارات العربية المتحدة، ودولة البحرين، سلطنة عمان، دولة قطر، المملكة العربية السعودية.

خاتمة الكتاب وتوصيات المؤلف

الفصل الختامي دراسة لتوجيهات المستشرقين في السياسة التعليمية، وأهم المؤتمرات الاستشراقية والتنصيرية.

وأجمل المؤلف في تركيز شديد النتائج التي توصل إليها في هذه الدراسة، في التالي:

١ - إن الاستشراق يمتد بجذوره إلى ما يقرب من ألف عام مضت. والدوافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كانت تتمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالمين الإسلامي والنصراني، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوربيين بتعاليم الإسلام وعاداته.

٢ - إن الاستشراق والتنصير والاستعمار ثالوث يقف دائمًا بالمرصاد لأي مظهر من مظاهر النهضة في العالم الإسلامي.

٣ - إن نظرة المستشرقين لمفهوم الدين الإسلامي كنظرتهم لمعرفة الدين النصراني، وهم في ذلك يبتغون إبعاد سلطان الدين الإسلامي عن النفوس بدعوى التغيير والتطوير للمبادئ والمفهومات.

٤ - إن المستشرقين كان لهم جهد ملموس في جمع المخطوطات وفهرستها وتحقيقها ونشرها، كما قاموا بترجمة مئات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغة الأوربية، وأيضًا قاموا بتأليف كتب في مجالات الدراسات العربية والإسلامية، ولكنها تحمل الكثير من النقد غير المنصف عن الإسلام وأهله.

٥ - إن الاستشراق البريطاني كان في خدمة الاستعمار. فكان المستشرقون يمارسون التجسس على البلاد الإسلامية، للتعرف على أحوالها، وكتابة التقارير عنها.

٦ - إن المنصرين اتخذوا خطوات شتى في مجال الثقافة والتعليم، لذلك كان تاريخ الأعمال التنصيرية في البلاد الإسلامية إلى حد كبير تاريخًا للتعليم.

٧ - إن الأفكار الهدامة التي تبث عن طريق مناهج التعليم الغربي في العالم الإسلامي تتم كلها بنوع من التخطيط الذكي الخبيث من خارج الدول

الإسلامية، وينفذها تلاميذهم في الدول الإسلامية ممن تأثروا بهم.

٨ - كان من نتائج الأخذ بالمناهج الغربية في التعليم في بعض أجزاء العالم الإسلامي أن ظهر جيل صنعه المستعمر، وأسلم إليه مقاليد الحكم والقيادة والقرار، وقد تميز هذا الجيل بإعجابه بالحضارة الغربية وبكل ما هو أجنبي، فاستمد مثله وثقافته وسلوكه من معطيات هذه الحضارة الغربية.

٩ - عاشت منطقة الخليج العربي (دول مجلس التعاون) مدة من التخلف الثقافي والعلمي والاجتماعي، حيث فرض عليها الاستعمار (باستثناء المملكة العربية السعودية) خلال مراحله المتعاقبة عزلة شبه تامة عن الاتصال بالعالم الخارجي. ولم تحاول أي من دول الاستعمار أن تقدم أية وسيلة لرفع المستوى الفكري والثقافي والاجتماعي لشعوب المنطقة. وفي ظل هذه الظروف وجد دعاة التنصير فرصة سانحة لجعل هذه المنطقة ميدانًا لنشاطهم التنصيري، وساعدهم على ذلك وجود القوات الاستعمارية وتشجيعها ومساندتها لهم؛ لاتحاد الأهداف والأغراض.

١٠- إن الأفكار الدخيلة عن طريق التعليم أو التثقيف لم تستطع أن تحل محل الأفكار التي قام عليها سلف الأمة.

وأستعرض ها هنا أهم التوصيات التي أوصى بها الباحث في هذه الدراسة، وهي:

١ - إصدار دائرة معارف إسلامية جديدة، لكي لا نظل نقتات فكرياً من دائرة المعارف الإسلامية التي قام بإعدادها المستشرقون قبل الحرب العالمية الثانية.

٢ - إنشاء مركز أبحاث خليجي مركزي للدراسات الاستشراقية والتنصيرية من أجل فضح مخططات الغرب، وكشف نواياهم وأطماعهم في الهيمنة على المنطقة العربية، وفي مقدمتها الخليج العربي.

٣ - إنشاء دار نشر إسلامية عالية في منطقة الخليج العربي تقوم بنشر المطبوعات الإسلامية بكافة اللغات.

٤ - إصدار مجلة دورية في منطقة الخليج العربي تتابع بحوث الاستشراق عن التراث الإسلامي وترد عليها، وتقوِّم دراساته واتجاهاته.

٥ - تطهير وسائل الإعلام والمراكز الثقافية والفكرية والتعليمية في منطقة الخليج العربي من الآثار الضارة للغزو وتوجيهها توجيهًا إسلامياً رشيداً.

٦ - العمل على تطوير نظام التعليم في منطقة الخليج العربي، والابتعاد به عن طريق مناهج التعليم الغربي والتركيز على الدراسات الإسلامية.

٧ - تدريس الشريعة الإسلامية في جامعات دول الخليج العربي ومقارنتها بالقوانين الحديثة.

٨ - أن يتعقب طلاب العلم من الدراسات العليا في منطقة الخليج العربي في بحوثهم ورسائلهم العلمية المستشرقين الذين كتبوا عن الإسلام، وذلك بالرد والنقد.

٩ - عدم إرسال بعثات دراسية خارج منطقة الخليج العربي إلى أوربا وأمريكا وغيرها من أجل التحصيل العلمي إلا إذا استدعت الضرورة دراسة تخصص نادر مهم جداً لا يوجد في الجامعات العربية والإسلامية.

١٠- تقليل الاعتماد على القوة البشرية الوافدة من خارج المنطقة العربية والإسلامية في منطقة الخليج العربي من خبراء وفنيين وغيرهم، إلا إذا كانت هناك حاجة ملحة في استقدامهم من أجل الإفادة من خبرتهم في بعض الأمور الدنيوية ولمدة محددة، على أن يقوموا بتدريب من يتم اختيارهم من أبناء المنطقة حتى يقوموا بوظيفتهم في المستقبل.

الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا

١٢٦١ - ١٣٦٩هـ/ ١٨٤٤ - ١٩٥٠م

رسالة دكتوراه لعمر سالم بابكور

بابكور، عمر سالم / الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ١٢٦١ - ١٣٦٩هـ/ ١٨٤٤ - ١٩٥٠م . - رسالة (دكتوراه) . - إشراف محمد سيد محمد . - مكة المكرمة : جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م . - ٥٣٤ورقة .

يقصد بشرق إفريقية في هذا البحث المنطقة التي تشغلها الآن دول كينيا وتنزانيا وأوغندا، وقد تضمنت الرسالة مقدمة وخمسة فصول وخاتمة .

تضمنت المقدمة دراسة لأهم الوثائق والمصادر التي اعتمد عليها البحث .

أما التمهيد وعنوانه : «الوجود العربي الإسلامي في شرق إفريقية حتى القرن الثالث عشر الهجري» فقد تناول العلاقات بين الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقية، كما عني هذا الفصل التمهيدي بالهجرات العربية إلى شرق إفريقية، وأيضًا تناول الفصل بالدراسة الإمارات الإسلامية التي قامت في شرق إفريقية .

أما الفصل الأول وعنوانه : «الإرساليات التنصيرية في شرق إفريقية» فقد درس الإرساليات البروتستانتية والكاثوليكية ودورها في نشر النصرانية في تلك المنطقة .

وعالج الفصل الثاني مبادرة الإرساليات للتخلص من النفوذ العربي الإسلامي في شرق إفريقية بالوقوف ضد التجار المسلمين العرب والسواحليين، وعرقلة نشاطهم التجاري والإسلامي كما ناقش الفصل أيضًا بالتفصيل محاربة اللغة العربية والسواحلية وتشجيع اللهجات المحلية .

أما الفصل الثالث وعنوانه : «طبيعة ومناهج العمل التنصيري» فقد تناول بالشرح التفصيلي التنصير عن طريق الخدمات العلاجية وعن طريق التعليم .

وشرح الفصل الرابع دور الاستعمار الأوربي وبصفة خاصة الاستعمار الإنجليزي والألماني في دعم العمل التنصيري .

أما الفصل الخامس وعنوانه : «حركات المقاومة والجهاد الإسلامي ضد التحالف الاستعماري الصليبي»، فقد تناول الجهاد الإسلامي وطرد المنصرين من أوغندا، وأيضًا عالج الفصل المقاومة العربية الإسلامية في أعالي نهر الكونغو ونياسالاند، وأخيرًا شرح الفصل موقف العلماء والدعاة في الساحل وزنجبار من الغزو التنصيري في المجتمعات العربية الإسلامية .

أما خاتمة الرسالة فقد تناولت أهم النتائج التي توصل إليها البحث . ومنها :

١ - أوضحت الدراسة أن مسلمي شرق إفريقية كانوا ضمن المخطط الصليبي الذي استهدف القضاء على الإسلام والمسلمين .

٢ - برهنت الدراسة على أن بداية الحملات التنصيرية في شرق إفريقية واكبت أولى مراحل الاستعمار الأوربي في هذه المنطقة، وأثبتت الوثائق أن هناك ارتباطًا بين المؤسسات النصرانية والمؤسسات الاستعمارية .

٣ - شرحت الدراسة بدء تغلغل المبشرين الأوربيين منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وأن هناك خططًا من رجال الدين الكاثوليك والبروتستانت لنشر النصرانية هناك .

٤ – عالجت الرسالة موضوع نشر الإسلام بين الشعوب الإفريقية، وأثبتت أن الإسلام لم يفرض عليهم فرضًا، إنما حمل تلك الرسالة قوم من أهل إفريقية أنفسهم من السواحليين وهم سلالة تمتزج فيها دماء قبائل البانتو الإفريقية والعرب المسلمين القادمين من شبه الجزيرة العربية.

٥ – أثبت البحث أن مجال الخدمات العلمية والعلاجية تكفلت به مؤسسات تعليمية وهيئات طبية كانت تحركها دوافع وأهداف تنصيرية.

٦ – أخيراً؛ أبرزت الرسالة دور رجال الدعوة الذين لم تضعفهم أساليب البطش والاضطهاد من جانب الدول الاستعمارية عن أداء رسالتهم.

واشتملت الرسالة على ملحق لنماذج من الوثائق التي استعانت بها الدراسة، وعلى عدة خرائط توضح المدن العربية الإسلامية المطلة على الساحل الشرقي لإفريقية.

موقف المستشرق سيديو من السيرة النبوية

رسالة ماجستير لسلطان بن عمر الحصين

الحصين، سلطان بن عمر / موقف المستشرق سيديو من السيرة النبوية : **دراسة نقدية من خلال كتابه تاريخ العرب العام**. – رسالة (ماجستير). – **إشراف** حامد غنيم أبو سعيد. – **المدينة المنورة : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، كلية الدعوة، قسم الاستشراق، **١٤١٣هـ. – ٩٦ ورقة**.

في جانب الدراسات الاستشراقية نجد أن السيرة النبوية تأخذ حيزاً كبيراً من كتابات المستشرقين حول الإسلام، ونكاد لا نجد كتابًا، عن الإسلام وتاريخه إلا وقد تناول شيئًا من سيرة النبي ﷺ وشخصيته.

بل إننا نجد أن معظم مترجمي القرآن من المستشرقين قدموا لذلك بمقدمة عن السيرة النبوية العطرة، وبعضهم كان هدفه من الترجمة للقرآن هو عرض الجانب الفلسفي والفكري بوصف هذا القطاع مهماً في دراسة تاريخ الرسول ﷺ وتاريخ الفتوح الإسلامية، وقد لاقت تلك الكتابات الاستشراقية الإعجاب عند المسلمين خاصة التي جاءت على يد أكابر المستشرقين أمثال كارل بروكلمان، وجولد تسيهر، ومونتغمري وات، ولويس ماسنيون، ومارجليوث، وغيرهم.

ولقد جاءت مواقفهم العامة تجاه السيرة النبوية متشابهة إلى حد ما فكثير منهم يصف كتاباته بالموضوعية والعلمية، ولكنه يخرج عن المنهج الذي رسمه لنفسه، وكثير منهم ينظر إلى شخصية الرسول ﷺ على أنه شخصية مبدعة ومجددة ومصلحة، ولكنهم يسلبون عنه صفة النبوة وخاصية الرسالة والوحي، وهناك بعض المستشرقين ممن شاركوا بكتاباتهم في السيرة النبوية ولكنهم لم يحظوا بذلك البريق من الشهرة مع العلم أنهم قدموا أعمالاً لاقت رواجًا وانتشاراً لا تقل كثيراً عن أعمال المستشرقين المشاهير ومن بين هؤلاء المستشرقين المستشرق الفرنسي «سيديو» أستاذ التاريخ في كلية سان لويس، ويأتي كتابه تاريخ العرب العام في مقدمة كتبه التي ذاع صيتها وتلقفتها أيدي الدارسين في كثير من الجامعات الغربية والشرقية.

ويمكن تلخيص أهمية البحث وسبب اختياره – كما أشار الباحث – في النقاط التالية :

١ – الإسهام في الدفاع عن سيرة الرسول الكريم ﷺ ضد شبهات ومطاعن المستشرقين.

٢ - أهمية السيرة النبوية في كتابات المستشرقين وتركيزهم عليها في أغلب دراساتهم .
٣ - الكشف عن أحد المستشرقين الذين قدموا أعمالاً في السيرة النبوية والتاريخ .
٤ - انتشار كتاب تاريخ العرب العام بين القراء والباحثين الغربيين والشرقيين، وتعدد ترجماته إلى اللغات الأجنبية .
٥ - عدم صدور دراسة مستقلة عن المستشرق سيديو أو عن كتابه تاريخ العرب العام فيما يعلم الباحث .
٦ - تباين وجهات النظر في الحكم على كتاب تاريخ العرب العام بين مادح وقادح والحاجة إلى الحكم على موقف تلك الآراء على المستشرق في ضوء موقفه من الإسلام عامة ومن السيرة النبوية على وجه الخصوص .

مما سبق أحسب أن دراسة هذا الموضوع مسألة جديرة بالاهتمام، وهذا ماسيحاول الباحث القيام به، سائلاً المولى تبارك وتعالى التوفيق والعون .

* مشكلة البحث :

يناقش البحث الموضوعات التالية :
١ - آراء «سيديو» في شخصية الرسول ﷺ وحياته الخاصة .
٢ - آراء «سيديو» في علاقة الرسول ﷺ بالصحابة .
٣ - آراء «سيديو» في علاقة الرسول ﷺ باليهود .
٤ - آراء «سيديو» في موقف الرسول ﷺ من العقائد .
٥ - آراء «سيديو» في موقف الرسول ﷺ من العبادات .
٦ - منهج «سيديو» في عرض السيرة النبوية .

ويتلخص منهج البحث فيما يلي :
١ - عرض آراء المستشرق «سيديو» في مجال السيرة عرضاً موضوعياً يعتمد فيه على كتاب تاريخ العرب العام .
٢ - مناقشة آراء المستشرق التي تم عرضها في ضوء الرؤية الإسلامية للفترة المدروسة، وفي ضوء المصادر الإسلامية ونقد هذه الآراء نقداً علمياً .
٣ - تتبع الترتيب الزمني للأحداث التي تم مناقشتها وكذلك الأحداث التاريخية، والنظر في سلامة منهجه في ذلك، وكذلك نقد التفسير المادي للأحداث عنده كما تشمل أيضًا المصادر التاريخية التي اعتمد عليها .
٤ - الرجوع إلى المصادر الإسلامية الصحيحة مع التركيز على مصادر السيرة النبوية، والرجوع إلى بعض كتابات المستشرقين وردودهم على بعضهم لتدعيم المناقشة والنقد .

الإرساليات إلى بلاد الشام خلال القرن الثالث عشر الهجري وحركة التصدي الإسلامي لها

رسالة ماجستير ليسرى محمد الحنفي

الحنفي، يسرى محمد / الإرساليات إلى بلاد الشام خلال القرن الثالث عشر الهجري وحركة التصدي الإسلامي لها . . . ٠- رسالة (ماجستير) ٠- إشراف عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش ٠- مكة المكرمة : جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ٠- مجلدان .

اشتملت هذه الرسالة على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

في التمهيد شرحت الباحثة معنى الإرساليات لغةً واصطلاحًا، ثم بينت بإسهاب أحوال بلاد الشام في تلك الفترة، ثم قدمت لمحة عن تاريخ الإرساليات ونشاطها المبكر . ثم جاء الفصل الأول، لتوضيح الدوافع والأهداف الدينية والسياسية والاقتصادية . وتناولت في الفصل الثاني وسائل الإرساليات الأجنبية

لتحقيق أهدافها في بلاد الشام، وذلك عن طريق تقديم الخدمات الصحية والتعليمية، كما بينت مدى إسهام الإعانات المادية والامتيازات والمعاهدات في تحقيق تلك الأهداف، واستغلال الدول الأجنبية لدعوى حماية الأقليات النصرانية في المنطقة. وقد خصصت الفصل الثالث لبيان مناطق انتشار الإرساليات المختلفة من كاثوليكية وبروتستانتية وأرثوذكسية. وبيَّنت في الفصل الرابع حركة التصدي الإسلامي ودور ولاة الشام، ودور العلماء والمصلحين والقوى الوطنية في حركة التصدي. أما في الفصل الخامس فقد قامت بتوضيح آثار وجود الإرساليات الأجنبية في بلاد الشام. وجاءت خاتمة البحث لبيان ماتوصلت إليه الباحثة من نتائج وتوصيات. وبعد ذلك ضمنت الرسالة صوراً من بعض الوثائق والمخطوطات المهمة التي ترتبط بالموضوع. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة مايلي:

١ - تنقسم الإرساليات الأجنبية إلى إرساليات كاثوليكية، وكانت تشرف عليها كل من فرنسا والنمسا وإيطاليا، وبروتستانتية وكانت تدعمها كل من بريطانيا وأمريكا وألمانيا، وأرثوذكسية وكانت تدعمها روسيا.

٢ - مدى الحقد الصليبي واليهودي على عقيدة الإسلام ونبي المسلمين، واستعداد الغرب لهدم هذا الدين بأية وسيلة.

٣ - قيام بعض المؤرخين والكتاب العرب في ذلك الوقت، وخاصة النصارى منهم - بالترويج لنشاط المؤسسات التنصيرية في البلاد وتزيينه في نفوس الشباب.

٤ - دخول الدول الاستعمارية إلى البلاد بحجج واهية كان من أهمها حماية الأقليات النصرانية.

٥ - وجود الخلافات والمشاحنات بين البعثات الأجنبية تبعًا لأهواء الدول الأجنبية التي تقف وراءها، مما يؤكد أن الغزو السياسي والثقافي الأوربي تستَّر تحت ظل الغزو الديني التنصيري.

٦ - تركيز العمل التنصيري على الأطفال والنساء استغلالاً لحب التقليد لديهم، ولما لهم من تأثير على المجتمع.

٧ - كان لتقصير الولاة العثمانيين في تقديم الخدمات الصحية وغيرها من الخدمات دور مهم في انتشار ونجاح المؤسسات التنصيرية في البلاد.

٨ - كان للامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأجنبية وارتباطها معها بمعاهدات سياسية وتجارية نتائجها الوخيمة على البلاد، أهمها تدخل القناصل الأجانب - لمصلحة الإرساليات - في أمور الدولة بشكل سافر.

٩ - بيان موقف الكنائس المحلية العدائي تجاه المنصرين الوافدين إلى البلاد والعمل على محاربتهم.

١٠ - محاولة الدول الأجنبية ضرب الدولة العثمانية في شتى الميادين، وذلك عن طريق المرسلين الأجانب من النصارى واليهود ومن عاونهم من نصارى أهل الشام.

١١ - كان تأثير العمل التنصيري في بلاد الشام عميقًا بالنسبة للتشكيك في الدين وتشويه العقيدة ومجال الفكر.

١٢ - ظهور رد الفعل الإسلامي تجاه الإرساليات والعمل على إيجاد مؤسسات إسلامية لسد حاجة المسلمين من الخدمات الضرورية.

١٣ - تنبيه المسلمين من مغبة الغفلة عما يقوم به الغرب الاستعماري من تحركات خفية ضد الإسلام وبلاد المسلمين.